أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

تصدر عن

الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

العدد ١١ أبريل ٢٠٢٣ رمضان ١٤٤٤

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ



العرب بين رمضان والقرآن

د. محمد الصغير

هل يمكن أن يصدر القرآن عن نبي كاذب؟!

محمد إلهامي

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

د. عبد الحي يوسف

خاطرةٌ في أحسن الكتب في التفسير

الشيخ محمد بن محمد الأسطل

وغيرها من المقالات...

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

محتويات العدد

علماء الهيئة

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

AnsarMagazine

admin@ansarmag.com

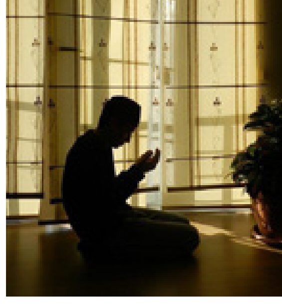
الأمين العام للهيئة

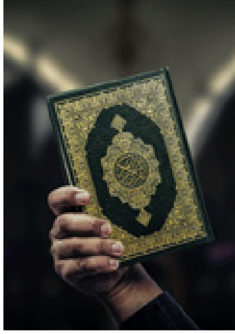
د. محمد الصغير

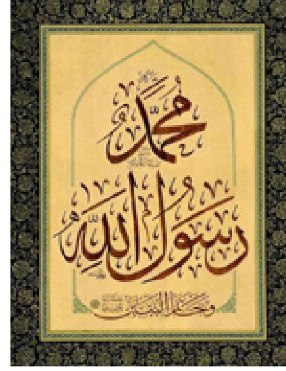
رئيس التحرير

محمد إلهامي







أئمة الهدى

الصادعون بالحق

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١- كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢- ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

٣- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

- ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : admin@ansarmag.com

موضوع العدد القادم:

الذكرى السنوية لصدور مجلة «أنصار النبي ﷺ»

أرسلوا إلينا بملاحظاتكم وآرائكم وأفكاركم لتطوير المجلة في عامها الثاني

تهنئة خاصة من مجلة 

لقرائها الكرام ولجميع الأمة الإسلامية بقدوم

شهر رمضان المبارك

أعاده الله علينا وعليكم بالخير واليمن والبركات

وأعاننا وإياكم في هذا الشهر الكريم على عبادته وطاعته

فريق مجلة 

الافتتاحية

العرب بين رمضان والقرآن



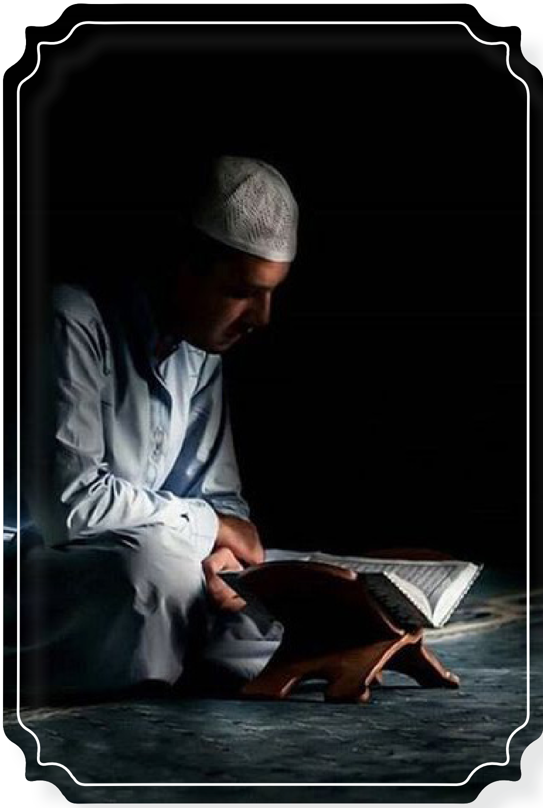
د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

البطاقة التعريفية الأولى لشهر رمضان -والتي تشير إلى سبب فضله وشرفه- كونه ظرف زمان تنزل القرآن الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهذا التفضيل جعله أيضاً شهر عبادة الصيام، إحدى أركان ودعائم الإسلام، وتميزت الليلة المباركة التي تنزل القرآن فيها بأنها ليلة الشرف والقدر، وهي خير من ألف شهر: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

بل أصبح الشهر الفضيل مقسوماً بين عبادتين، إحداهما تمهّد للأخرى وتعين عليها، فالنهار للصيام والليل للقيام وتلاوة القرآن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».



وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[1].

ولم يقتصر فضل القرآن على الليلة أو الشهر، بل وصل خيره وحصلت بركته على كل من كانت له به علاقة أو صلة، فقد اصطفى الله أهل القرآن فجعلهم أهله وخاصته، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وجعل الله إكرام حامل القرآن من إجلاله تعالى وتقدس، وأكرم العرب ولغتهم ورفع ذكرهم ومنزلتهم فاتخذ العربية وعاء للكتاب المجيد، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

والذكر هو الشرف، ومن ملامح تشريف الله للعرب ولغتهم، أن المعجزة الأخيرة وكلمة الوحي الخاتمة بلسان عربي مبين، وهذا بداية التكريم لأن قانون المعجزات أن تكون المعجزة مما برع فيه

١. رواهما البخاري ومسلم.

القوم وملكوا ناصيته، وإلا كيف يتحقق الإعجاز والتحدي، وفي ذلك شهادة للعرب بتمكنهم من فصاحة اللسان وأساليب البلاغة والبيان، وقد وصل بهم الأمر إلى إقامة معارض ومؤتمرات للشعر والنثر، وكل فنون الكلام؛ كسوق عكاظ وذي المجنة وذي المجاز، وفيها يتبارى المبرزون أمام لجان التحكيم التي تختار قصيدة الموسم وأفصح خطبة، ومن حاز أعلى درجات التكريم علقت قصيدته على أستار الكعبة وتصبح «معلقة».



ومن هنا كانت معجزة النبي العربي ﷺ، كلاماً وبياناً، تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وسجد المنصف منهم لفصاحته، بل كان كبراؤهم يتسللون ليلاً لسماعه خفية، حتى قال قائلهم: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه.

حوى القرآن الكريم صوراً أخرى من الإعجاز يعرفها أصحاب الفنون المختلفة، بما يؤكد أنه لا تنقضي عجائبه ولا يَخلق عن كثرة الرد، وكان لرسول الله ﷺ مع القرآن في رمضان شأن مختلف عن باقي الشهور والأيام، فكان يعرضه على جبريل، وفي العام الذي قبض فيه عرضه مرتين، وهذا يؤكد أن القرآن لا يؤخذ إلا من معلم، ولو حق لأحد أن يستغني عن العرض والمراجعة لكان رسول الله ﷺ، وهذا يجعلنا في رمضان أمام حال مختلف حيث ذكرى نزوله، وما يصاحب الذكرى من عظيم الفضل وكبير الأجر، ومن حرم الأجر في هذا الموسم فهو المحروم حقاً:

«رغم أنف رجل أدركه رمضان وانقضى ولم يُغفر له».

أكاديمية أنصار النبي

SUPPORTERS OF PROPHET ACADEMY

أكاديمية أنصار النبي

أكاديميــة علميــة ودعـويــة عالميــة، منبثقــة عــن الهيئــة العالمية لنصرة نبــي الإســلام، تعتمــد التقنيــات والأساليــب الحديثــة فــي التعليــم، تنظــم وتقــدم برامــج ودورات علميــة، ودبلـومــات شرعيــة وفنيــة ومهاريــة فــي مختلــف مجــالات النصرة النبويــة، وتقــوم علــى تخريج وتأهيــل متخصصيــن فــي فقــه نصرة النبي صلــى اللــه عليــه وســلم علميــا وعمليــا، وتعمــل علــى تمكيــن الشبــاب المسلــم مــن المشــاركة الواعيــة الفعالــة فــي مجــالات النصرة المتعــددة.

الشيخ د.محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

+90 536 491 13 74

@ansaracademy_

الشيخ د. عبد الحي يوسف

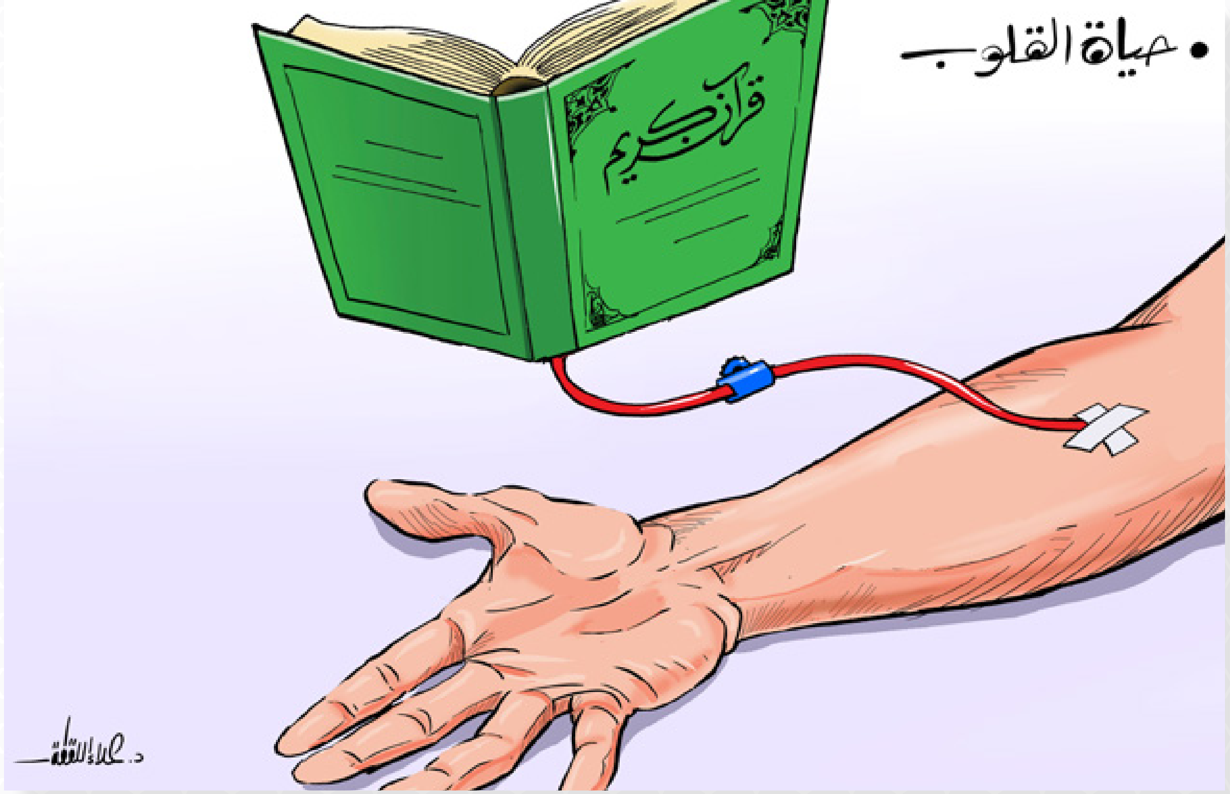
عميد أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم





كاريكاتير




• حياة القلوب
قرآن كريم
د. علاء اللقطة


• حرق نسخة من القرآن الكريم في السويد..
الإسلام
د. علاء اللقطة



هل يمكن أن يصدر القرآن عن نبي كاذب؟!

•• نظرة نفسية ••



محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

جاء نبينا ﷺ بكثير من المعجزات الحسية والمادية، ومع ذلك ظلت معجزته الكبرى والخالدة هي هذا الكتاب: القرآن الكريم..

ومع أن هذا الموضوع طالما كُتِب فيه، إلا أنه بدا لي أمورٌ فيه لم أرها فيما قرأتُ، وإن كنت موقناً أني مسبوقٌ إليها، لكني لجهلي وقلة بضاعتي لم أقع عليها، أو لعلي قرأت ونسيت فبقيت المعاني في نفسي وذهب عني موردها.

لقد تعددت وجوه إعجاز القرآن الكريم، أي: تعددت الطرق التي يثبت بها أن هذا القرآن هو كلمة الله!

ومن وجوه الإعجاز تعامل النبي ﷺ نفسه مع القرآن، وتعامل القرآن مع النبي ﷺ، أقصد بذلك هذا الأمر النفسي والنزعة النفسية والطبع الإنساني، فإن التأمل في هذا يقطع بأن القرآن كلام الله، وليس كلاماً من عند محمد.. ترى هل يمكن أن يقال عن ذلك "إعجاز نفسي؟!".. الله أعلم! وليس من مقصدي ابتكار الاصطلاحات.. ولكن النظر يحمل على سؤال علماء النفس والخبراء بالطبائع عن الأمر من هذا الباب.. الباب النفسي!



إن وقفة واحدة، من منظور النفس وطبائعها، مع آيات القرآن تقطع بأن محمداً لا يمكن أن يكون قد أَلَّف القرآن أو جاء به من عند نفسه، ليؤيد بذلك دعواه (الكاذبة) في أنه نبي من عند الله..

وبداية السؤال تقول: إن هذا الذي يزعم أنه نبيٌّ، لماذا يفعل ذلك؟

إنه ليس أحد زعم لنفسه النبوة إلا وقد ابتغى بذلك أن يكون زعيماً وقائداً وسيداً في قومه، وهذا الرجل الذي يريد ذلك إنما يندفع إليه تحت ضغط نزعة نفسه المترعة بالتعاظم والعجب واستحقاق الرئاسة.



مثل هذه النفس حين تزعم لنفسها النبوة فإنها تُقرِّب ما بينها وبين الإله، لتأخذ من قداسة الإله ما يرفعها فوق البشر، وتمنح لنفسها من العصمة ما لا يزعمه لنفسه البشر.. فأما محمد ﷺ فعلى العكس من ذلك..

فمع أن القرآن والسنة كلامٌ نطق به النبي ﷺ في قومه، إلا أنه كان حريصاً وواضحاً في التفريق بينهما، وأن الكلام الأول هو كلام الله بلفظه ومعناه، وأنه يتحداهم به، ويكرر عليهم التحدي أن

يأتوا بكلام مثله.. وأما الكلام الثاني فهو ألفاظه هو -وإن كانت معانيه وحياً- وهذا قسم هو لا يتحداهم به، ولا يستغرب عليهم إذا أتَوْا بمثله!

ولا يقع الشك عند من له أدنى معرفة باللغة العربية أن الأسلوبين مختلفان، والفارق بينهما واضح! كذلك لم يقع الشك لدى من حاولوا حفظ القرآن والسنة في أن حفظ القرآن أسهل كثيراً كثيراً من حفظ الحديث!



فلئن كان محمدٌ ﷺ يطيق أن يأتي بالكلام الأبلغ، والأيسر في الحفظ والتذكر، وإذا كان محمد ﷺ يطيق أن يصدر عنه أسلوبان مختلفان في الكلام والبيان.. **فلماذا لم يجعل كل كلامه قرآناً ينسبه إلى الله ويتحداهم به؟!**

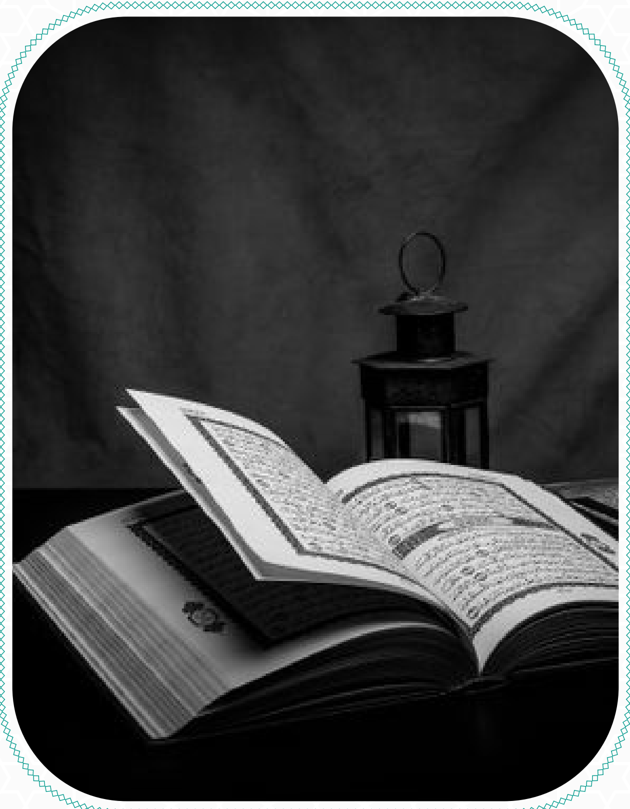
لماذا قبل أن يجعل كلامه الأبلغ المعجز كلاماً لله، وجعل كلامه هو في الدرجة الأدنى، حيث لا يتحداهم به، ولا يستغرب عليهم أن يأتوا بمثله؟!

لقد ظل القرآن يكرر من الألفاظ والمعاني ما يُثَبِّت به منزلة محمد ﷺ:

١ فهو بشر لم يجاوز هذه المرتبة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]

٢ وهو يتلقى الوحي ولا يخترعه: ﴿أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]

٣ وهو لا يملك تبديل شيء فيه ولا تغييره: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]



٤ ومثله في هذا مثل الأنبياء السابقين: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]

٥ وأنه لا يعلم الغيب: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠]

٦ وأنه كان في غفلة عن هذا كله طوال عمره السابق: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]

٧ وأنه لا يملك إعطاء الثواب، ولا يملك كذلك إنزال العقاب: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦، ٤٧]، وكذلك ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]

٨ ولا يملك حتى إجراء المعجزات التي تجري على يده ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

٩ ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

١٠ وهو نفسه مُخاطب بهذا الوحي ويخاف إذا عصى ربه أن ينزل به العذاب: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

٢

كذلك، فمثل هذه النفس الممتلئة بحب الزعامة والصدارة والرئاسة، والتي تتصدر لدعوى النبوة، لا تقبل أن تسجل على نفسها خطاباً لأتباعه فيه ما حفل به القرآن الكريم.. لقد جاء في القرآن أنواع من الخطاب للنبي ﷺ لا يمكن معها الشكُّ في أن هذا من كلام النبي نفسه!

١ فقد جاء في القرآن العتاب للنبي ﷺ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ [عبس: ١ - ٣].



٢ وجاء فيه التخطئة له ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا *وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٧].

٣ وجاء فيه الامتنان عليه بتعليمه ما كان يجهله، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ [هود: ٤٩].. وجاء فيه الامتنان عليه بتنبيهه إلى ما كان في غفلة عنه ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

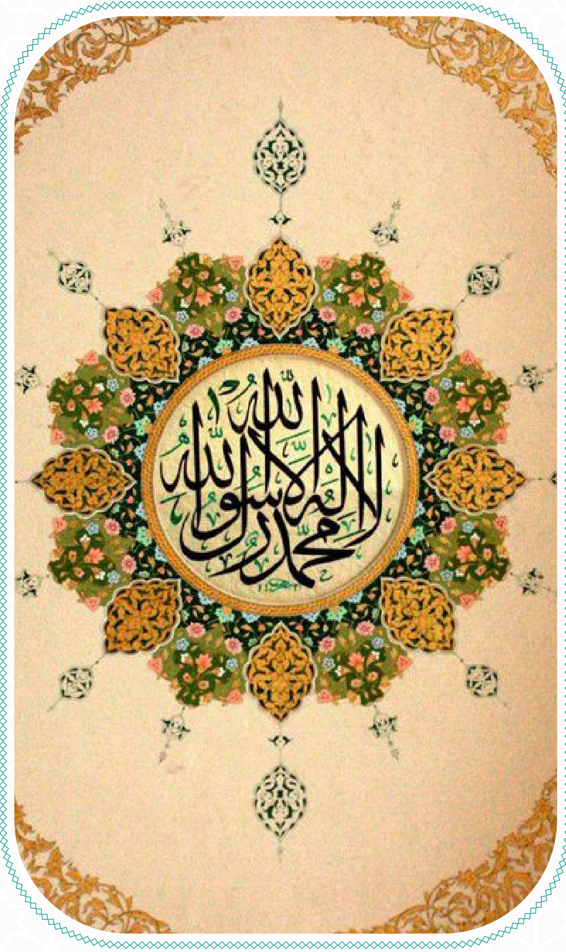
٤ وجاء فيه نسخ وإزالة أمور كان قد فعلها النبي بنفسه، فنزل في التبني: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، ونزل في المؤاخاة والتوارث بها ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

٥ وجاء فيه الكشف عما يكتمه ويستحي منه: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].



٦ وجاء فيه الأمر الشديد له، والنهي الشديد كذلك ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢]، ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠]، ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣]، ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥]

٧ وجاء فيه القطع والجزم بأن الأمر ليس على ما يهوى، ففي أشد لحظة مرت عليه حيث أصابه قومه وأدموه، قال: «كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم؟»، فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. ويوم رأى عمه الحبيب ممثلا بجثمانه فأقسم على الثأر له بسبعين نزل قول الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]



٨ بل وجاء فيه الوعيد له: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥]، وكذلك ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]

٩ وانقطع عنه في مرات احتاج إليه فيها، حتى عرف ذلك المشركون يوما فقالوا: إن ربَّ محمد قد قلاه، فنزل القرآن بسورة الضحى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]. وانقطع كذلك عندما اتهم المنافقون أم المؤمنين عائشة في حادث الإفك، وهذا أخطر موقف يتعرض له رجل زعيم في قومه، وانقطع فيه الوحي شهراً، فلو كان ﷺ يكذب في موقف واحد في حياته لاصطنع قرآناً في هذا الموقف! وحاشاه ﷺ!

١٠ وتحدث القرآن عن زوجات النبي ﷺ حديثاً طويلاً، ما كان للعربي في ذلك الوقت مع شدة الغيرة العربية، ثم ما كان لنفسية الزعيم المتطلع للسيادة والرئاسة أن تقبله فضلاً عن أن تخترعه وتؤلفه: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠]، ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

٣

وتكاد كل صفحة في المصحف يُستخرج منها شيء كهذا في خطاب الله لنبيه، يثبت به أن هذا الكلام ما كان ليكون أبداً، كلام رجل كتبه بنفسه، ليؤيد به دعواه في النبوة!

ومن الآيات ما لا يوضع تحت عنوان مما سبق، لكن التأمل فيها يقطع أنها لا يمكن أن تصدر عن رجل يكذب، إذ هي خطاب لا يؤلفه أحد يخاطب به نفسه، فمنها:

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].. فما من كاذب يزعم لنفسه النبوة والوحي، يلقي على نفسه هذه الشبهة، أو يضع نفسه تحت هذا الاحتمال!



ومنها: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].. فما من كاذب يزعم لنفسه النبوة يوجّه إلى نفسه هذا الكلام!

ومنها: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].. فما من كاذب يزعم لنفسه النبوة، يريد بذلك السيادة، يصوِّر نفسه في هذه اللحظة من الضعف والوصول إلى حافة اليأس!

وثمة أمور أخرى تدخل أيضاً في هذا الباب، ولكن نتركها لمن يتوسع فيها.. مثل: لئن كان محمد ﷺ زعم النبوة لنفسه رغبة في السيادة والزعامة، فلماذا اهتم بالطبقات والفئات التي لا يرجى منها كثير نفع في هذا المشروع الطموح، بينما تثير قضاياها مزيداً من المشكلات؟!

لماذا كل هذا الكلام عن النساء وحقوقهن في الميراث والمهور والزواج والطلاق، في مجتمع قد استقر فيه الأمر على امتهان المرأة.. إن إثارة هذا الموضوع، ووضع هذه الأحكام لا يأتي إلا بالصعوبات والعراقيل في مشروع الزعامة والسيادة المأمول!

وذات هذا الكلام يقال عن فئة العبيد والموالي، فإنهم في ذلك المجتمع لم يكونوا ركناً يلجأ إليه في حال الضعف، أو قوة يستعان بها في حال الاستعانة! وما تأتي إثارة موضوعهم ولا إعطائهم حقوقهم ولا الحث على تحريرهم إلا بالمزيد من النافرين!

بل أشد من هذا الكلام يقال عن تعاليم النبي في معاملة الحيوان والنبات.. إن الثروة الهائلة في نصوص النبي للرفق بالحيوان ورعاية النبات لا محل لها من الإعراب إن كان النبي رجلاً زعم لنفسه النبوة لكي يتوصل بذلك إلى السيادة والزعامة والرئاسة!

وكذلك لهجة التحدي التي تحداها النبي لبني إسرائيل، وهم أهل علم وكتاب وفيهم بقية آثار النبوات السابقة، فمثلما تحدى العرب أهل الفصاحة بأنهم عاجزين عن مشابهة القرآن، فقد تحدى أهل الكتاب بأنه يكشف لهم ما يخبؤونه من الأحكام أو من قصصهم مع أنبيائهم، أو قصص عقوباتهم كالذين سخط الله عليهم فجعلهم قردة وخنازير.. إلخ!

إن لهجة التحدي الحافلة التي ينطق بها القرآن، والتي تحرج الخصم إحراجا هائلا، وتضربه في أعمق ما يتميز به.. تلك اللهجة هي مخاطرة لا يقدم عليها كاذب يزعم لنفسه غير الحقيقة!!

فهل يبقى بعد ذلك شكٌّ في أن النبي ﷺ هو رجل الصدق، وأن القرآن هو كلام الله حقا؟! وأنه المعجزة الخالدة!



رئيس هيئة علماء فلسطين في الخارج د. نواف التكروري لـ «أنصار النبي ﷺ»:

وجدنا في أفغانستان خيراً غالباً وفضلاً كثيراً.. ووجدنا أيضاً خللاً! ووجدنا وزيراً يمشي على رِجل واحدة!

- لسنا ذراعاً لأحد، ومواقفنا مستقلة ونعلنها للجميع، ولا نزعم لأنفسنا العصمة
- أنظمة الدول الإسلامية هي التحدي الأكبر أمام الإمارة الإسلامية.. لقد امتنعوا حتى عن اعتماد سفرائهم
- تضم هيئة علماء فلسطين بالخارج أكثر من ثلاثمائة عالم، وتناظرها في الداخل رابطة علماء فلسطين
- انفردنا في هيئة علماء فلسطين بالخارج بأن أسسنا مجلساً استشارياً من أربعين عالماً من كبار علماء الأمة ووجهائها.. نعرض عليه خططنا ونستشيره!

أجرى الحوار: محمد إلهامي (رئيس التحرير)

نواصل في هذا الجزء الثاني الحوار الذي أجريناه مع د. نواف التكروري، رئيس (هيئة علماء فلسطين في الخارج)، وتتناول هذا الجزء إطلالة على زيارته لأفغانستان ضمن الوفد العلمائي الذي زار الإمارة الإسلامية، كما نتعرف فيه على هيئة علماء فلسطين بالخارج التي يرأسها، وأبرز أعمالها وأهدافها.

أنصار النبي ﷺ: فضيلة د. نواف، عدتم قبل نحو شهرين من أول زيارة لوفد علمائي إلى أفغانستان بعد التحرير، ما أهم ما تحب أن تعرّف المسلمين عليه مما وجدته في الإمارة هناك؟



د. نواف: في الواقع أول ما يرغب كثيرون في الحديث عنه هو ما وجدناه بشأن التعليم، من وجهة نظري بالتأكيد هناك خلل في هذا الجانب ويحتاج إلى تعديل، ولكن لم نكن نحن مَن تعرفنا على هذا الخلل واكتشفناه، فأكثر قيادات الإمارة الإسلامية يقرون بأنه خلل، وهم يدركون أنه لا بد من تجاوزه، وأن التعليم غاية عظيمة وأمر مهم لعامة الشعب ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، وهذا ديدن عامة القيادة.

إلا أنهم يراعون لحل هذه المسألة ظروفاً تحتاج مراعاة ومناصحة من أهل العلم، والذي أعتقده أن تغيير هذا الخلل يحتاج مزيداً من التواصل مع هؤلاء الإخوة، ومزيداً من زياراتهم، لا سيما من قِبل العلماء وأهل الفضل في الأمة وأهل الغيرة على هؤلاء الإخوة، ودعمهم، وإعانتهم في التمكن من إقامة هذا التعليم على الوجه الشرعي الذي يتبناه أكثرهم وعامتهم، وهو ألا يكون في التعليم اختلاط، وأن تكون المناهج سليمة.

وأقول بوضوح لإخواننا في أفغانستان: إن إغلاق المدارس ومنع التعليم ليس هو طريق الحل، وأقول للأمة إن هذا يحتاج إلى تعاون لتوفير سبل هذا التعليم السليم والصحيح والمناهج السليمة، وعليكم أن تمكنوهم



من أسباب تعليم شرعي صحيح مناسب منسجم مع الشرع لا اختلاط فيه، ولا سفر بلا محرم، وسائر هذه الأمور، لا بد أن تعينهم الأمة وأن تقف إلى جانبهم، وكل من يتهم هؤلاء الإخوة وينسب إليهم معاداة التعليم عليه أن يطرح طرحاً وأن يعرض عرضاً في إعانتهم على التمكن من التعليم.. هذا مطلوب من الدول ومن العلماء.

وأقول أيضاً: إن هذه المسألة تحتاج مزيداً من التواصل والتناصح، وأنا موقن من استجابتهم وقبولهم للنصح، وقد سمعنا من عدد من الوزراء والمسؤولين والعلماء حاجتهم إلى التناصح، وحاجتهم إلى أن يأتيهم العلماء ويقدموا نصحهم، حتى قال لنا بعضهم: لا نريد مَن يمتدحنا بل نريد من يقدم لنا النصح. وقال لنا وزير التعليم العالي: نحن نطلب من العلماء أن يقدموا لنا النصح وأن ينظروا فيما نقرر، فإن كان منسجماً مع الشرع أيدوه وأعانونا عليه وإن كان مخالفاً نصحونا وسوف نغير ونبدل.

وأعتقد أن هذا أمر طيب ويقدر.

أريد أن ألخص ما وجدناه -وقد قلته في مواضع عدة- وجدنا خيراً غالباً وفضلاً كبيراً، وخللاً موجوداً كما هو في حال أكثر بلاد المسلمين، بل أكثر تجمعات أهل العلم التي لا تخلو من خلل، وهذا الخلل قابل للعلاج بالتواصل الصادق الأخوي وتبادل النصح، هذا ما وجدناه، وفي تقديري أن هذه الروح المتواضعة والاستعداد للأخذ والعطاء وتبادل الرأي والتغيير، حيث ثبت لديهم خلل السلوك والطريق، وهذا كان واضحاً بالنسبة إليهم، ولذلك فإنني أدعو المسلمين جميعاً -وأخص العلماء وأهل الفكر- إلى مزيد من التواصل الرفيق الصادق المتأني والمتدرج بالنصح مع هؤلاء الإخوة.

ما أهم التحديات التي تواجهها الإمارة الإسلامية بعد التحرير؟

د. نواف: أهم التحديات هي تصرفات البلاد البلاد العربية والإسلامية تجاه الإمارة الإسلامية، والتزام هذه الدول بما تمليه أمريكا، من عدم الاعتراف بالإمارة، والإحجام عن مدّ يد العون لها، وتركها بلا سند فيتحقق بذلك هدف الأمريكان من أن الإسلام لا يصلح للحكم.. إن هذه التصرفات تشكل تحدياً كبيراً، نسأل الله تعالى أن يعين إخواننا على تجاوزه، وهذا يوجب على بلاد المسلمين، وعلى أغنيائهم، وأصحاب الطَّول فيهم، وأصحاب القدرات، أن يعينوا هؤلاء الإخوة بكل الإمكانات وبالمستطاع؛ لكي يثبتوا جدارتهم وقدرتهم على القيام بواجبهم أمام هذا التحدي الكبير.

ومن التحديات الماثلة والواضحة، أن هؤلاء الإخوة ورثوا حالاً ووضعاً صعباً شاقاً فيه أكثر من نصف مليون يتيم، وما يقارب مائة ألف أرملة، ومائة وخمسة وخمسين ألف معاق، بما في ذلك وزير الشهداء والجرحى الذي يمشي على رِجل واحدة بعد أن بُترت الأخرى، وقد رأيناه والتقيناه وهو رجلٌ فاضلٌ صادقٌ ولا نزكي على الله أحداً.



إن هذا الوضع يحتاج لأن تكون مؤسسات الخير حاضرةً في هذه البلاد، ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الإخوة يهتمون بالأرامل والأيتام والمعوقين جميعهم، حتى من أبناء من عادوهم وقاتلوهم تحت مظلة الأمريكان، وهذه خطوة عظيمة تعكس مدى تحملهم للمسؤولية عن الشعب، يتحملون جراحه وآلامه، وهذا لابد من التركيز عليه.

أيضاً مما يرتبط بموضوع التحديات التي تثيرها تصرفات أنظمة الدول الإسلامية، أن هذه

الحكومات لم تعتمد سفراء الإمارة الإسلامية، بل هي لا تعترف إلا بالسفراء الذين وضعتهم الحكومة السابقة، الحكومة التي كانت موالية للاحتلال الأمريكي، فلم تقبل أنظمة الدول الإسلامية أي تغيير لسفراء أفغانستان لديها.. وهؤلاء السفراء التابعون للحكومة السابقة الموالية للاحتلال، لا يطاوعون حكومة الإمارة الإسلامية ولا يلتزمون أمرها، وهذا أوجد عندها عائقاً للتواصل مع بلاد العالم الإسلامي. فالواجب على هذه الأنظمة أن تعتمد سفراء الإمارة، وأن يعاملوا حكومتها كدولة مستقلة تفرز سفراءها، دون التزام بالقرار الأمريكي الذي يريد أن يفشل تجربة هؤلاء المجاهدين.



وأعتقد أن طريق العلماء لهذا البلد مُعبَّد مفتوح، فينبغي على أهل العلم أن يكونوا قريبين من هذه الإمارة؛ فهي إمارة علماء، وينبغي أن يدعموهم ويحثوا غيرهم على دعمهم بكل الوسائل والسبل، فأمامهم تحديات يجدونها كثيرة، تحتاج إلى تعاون وعون من المسلمين جميعاً، والله أعلم.

أنصار النبي ﷺ: لا تزال فكرة العلماء الذين يديرون حكومة إسلامية فكرة مستغربة، فهل العلماء هم مَن يديرون الحكم هناك بالفعل؟

د. نواف: نعم، هم علماء وطلبة علم، وهم متواضعون يرون أنفسهم طلبة علم مستعدين لاتباع العلماء، وبالفعل ضربوا مثلاً رائعاً في التواضع والتآزر، فقد قبِل جندهم وقياداتهم العمل دون رواتب أو برواتب يسيرة جداً تؤدي أقل الغرض وتحقق حد الكفاف، وذلك من أجل تثبيت أركان الإسلام في بلدهم.

فالعلماء هم الذين يقودون هذه الإمارة، وهم بفضل الله يقدّرون العلماء ويتبادلون الرأي معهم، ومما سمعناه من وزير الداخلية أن أمير المؤمنين يرغب بتشكيل جسم علمائي للتشاور معهم حول قضايا الأمة والإمارة، وهذا الجسم العلمائي ليس مكوناً من علماء الأفغان وحدهم بل من علماء الأمة كافة، وهذه خطوة تعبر وتدلل على حرصهم على التواصل مع الأمة ومع قضاياها عامةً.

أنصار النبي ﷺ كيف وجدتم حضور قضية بيت المقدس لدى الإمارة الإسلامية في أفغانستان؟

د. نواف: لا تغيب القضية الفلسطينية عن مثل هؤلاء الرجال، فقد بذلوا أعمارهم وجهدهم وجهادهم في مقاتلة العدو -المحتل لبلادهم- حتى حققوا نصراً للمسلمين على أرض أفغانستان، وقد شهدنا أنهم لا يغيب عنهم المسجد الأقصى، فقد ذكروه في كثير من المواقف والمناسبات.

وإن كانت قضية فلسطين في الحقيقة -من وجهة نظر العلماء الذين كانوا بالوفد الزائر- لم يكن لها الأولوية أثناء هذه الزيارة، ولكنهم أبدوا حبّهم وتعلّقهم بالمسجد الأقصى وحرصهم على المشاركة في الدفاع عنه بكل السبل وبكل الوسائل؛ ولكن الوفد الزائر لم يحرص على فتح هذا الموضوع؛ لتقديره أن الأَولى أن يُترك الإخوة في الإمارة الإسلامية في هذا الظرف لترسيخ وتثبيت دعائم دولتهم على الوجه الصحيح والسليم، وإن مثلهم لا يفرط ولن يفرط -بإذن الله تعالى- بنصره قِبلة المسلمين الأُولى -المسجد الأقصى- والدفاع عنها، فقد ذادوا عن بلادهم بدافع عقائدي، ومَن كان دافعه العقيدة والإيمان فسيكون أكثر تحديّا وعزمًا تجاه المسجد الأقصى المبارك.

وقد رأينا أن بلاد المسلمين عند أحدهم تُرتب كالتالي: مكة المكرمة ثم المدينة المنورة ثم بيت المقدس، ثم بلده الذي وُلد فيه، ثم بقية بلاد المسلمين! هذا هو ترتيبهم، وعليه أستطيع أن أقول إن قضية بيت المقدس عند الإخوة في الإمارة الإسلامية حاضرة، حتى وإن لم نبحث معهم ذلك بحكم أن الظرف والواقع يقتضي عدم أولويته في الوقت الحاضر بالنسبة لوضعهم، ونسأل الله أن يثبتهم وأن ينصرهم وأن يرشدهم وأن يهدينا وإياهم سبيل الرشاد.

هيئة علماء فلسطين

أنصار النبي ﷺ: هل لنا بنبذة عن هيئة علماء فلسطين في الخارج وأين مقرها ومَن أبرز رموزها؟



د. نواف: هيئة علماء فلسطين هيئة مستقلة لها ذمتها الخاصة، وقد تأسست عام ٢٠٠٩م.

حينها تدارستْ مجموعة من العلماء الفلسطينيين على مدار عامين وتشاوروا مع العلماء من فلسطين ومن خارجها، ومع ثلة من علماء الأمة حتى خرجت فكرة إنشاء الهيئة. وكان المأمول حينها أن تُشكَّل هيئة علماء من أجل فلسطين، وتشمل بإطار واسع العلماء من كل الأمة؛ فقضية فلسطين -كما تراها الهيئة- قضية الأمة كلها وليستْ قضية علماء فلسطين وحدهم، بل هي قضية علماء الأمة وأبناء الأمة كلهم، ولكن لأسباب ظرفية نوقشت حينها أُنشئت هيئة علماء فلسطين.

وبالنسبة للعضوية في هيئة علماء فلسطين فهي على ثلاثة أنواع:

- العضو العامل: وهو العالم الفلسطيني الحاصل/الحاصلة على درجة الماجستير أو الدكتوراه بالشريعة الإسلامية وعلومها المختلفة.

- والعضو المؤازر: وهو العالم الفلسطيني الحاصل على درجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية.

وثمة عضوية فخرية يمنحها المكتب التنفيذي في الهيئة للعلماء من غير الفلسطينيين، الذين لهم جهود مميزة في خدمة القضية والدفاع عنها.

يمكن تلخيص رسالة الهيئة في: سعيها الحثيث لجمع علماء فلسطين والتواصل مع علماء الأمة، وتوفير سبل التعاون بينهم لرفع وحَمْل مشروع القضية الفلسطينية، وتعبئة الأمة لتقديم الدعم لقضية المسجد الأقصى وتحريره، وهي في سبيل ذلك تتعاون مع المؤسسات العلمائية تعاوناً كاملاً، وعلى وجه التقريب نقدّر أن جلّ أعمالنا في هيئة علماء فلسطين -بنسبة من ٧٠ إلى ٧٥%- متعلق بالتأصيل للقضية الفلسطينية والتحريض على نصرتها، والتواصل مع الأمة بكل فئاتها -لا سيما العلماء والجامعات- للاهتمام بالقضية الفلسطينية.

وفي نفس الوقت -وبفضل الله تعالى- هيئة علماء فلسطين لا تغفل أي قضية من قضايا الأمة الإسلامية، ويُعطَى هذا الجانب حيز بنسبة من ٢٥ إلى ٣٠%، تخصصه الهيئة للاهتمام بقضايا الأمة عموماً، فلا تدع الهيئة قضية من قضايا الأمة إلا ويكون لها سهم مشاركة في نصرتها بما تستطيع وبما تراه ممكناً.

وعند الحديث عن البنية الهيكلية لهيئة علماء فلسطين، فإن جسمها العريض يتشكل من الجمعية العمومية التي تتكون من نحو ٣٠٠ عالم من علماء فلسطين، ممن يقيمون خارجها وهم موزَّعون في بلاد العالم الإسلامي.

ويجدر التنويه إلى أن علماء فلسطين ممن يقيمون داخلها تجمعهم رابطة اسمها: رابطة علماء فلسطين، في الضفة وفي غزة وفي القدس، ومقرها الحالي في غزة، وهي تتابع شأن مستجدات قضية فلسطين والتأصيل لها من داخل فلسطين، وتحث الأمة على نصرتها.



وبذلك تتكامل جهودنا مع جهود إخواننا داخل فلسطين، ومع إيماننا ورغبتنا بأن يكون الجسم العلمائي الفلسطيني واحداً، إلا أن ظروف الاحتلال تَحُول دون تواصلنا واجتماعنا؛ فكان هذا التقاسم في

المسؤوليات بيننا وبين إخواننا. وستبقى هيئة علماء فلسطين -في خارجها- خادمة لأهلنا الثابتين الصامدين المرابطين على تراب فلسطين، وأيضاً في تحريك الأمة والتواصل مع علمائها في دول العالم.

ويدير أعمال الهيئة مكتب تنفيذي يتكون من ٩ إلى ١١ عضواً، وهم موجودون -من أعضاء الهيئة- في بلاد عدة من دول العالم، أبرزها لبنان والأردن وبعض دول الخليج وأوروبا وتركيا، ويتولى المكتب التنفيذي متابعة أعمال الهيئة في عدة أقسام هي:

قسم القدس، وهو معني بشؤون دراسة أوضاع مدينة القدس ومتابعتها وتحريض الأمة على نصرتها.

وقسم العلاقات العامة، وقسم المرأة العالمة، وقسم العلماء الشباب، وقسم الدعوة، وقسم العضوية والفروع، وقسم البحوث والدراسات (معراج)، وقسم التخطيط والتدريب، وقسم الإعلام الذي يعبّر عن الهيئة ويغطّي مناشطها.



وقد شكّلت هيئة علماء فلسطين مجلسًا استشاريًا لها، يتكون من أربعين عالماً من كبار علماء الأمة ووجهائها، وتعرض على هذا المجلس خطط المكتب التنفيذي، ويُستشار في القضايا الكبرى ويؤخذ رأيه، ويأتي ذلك من منطلق أن هذه القضية قضية الأمة الإسلامية. وأعتقد أن هذه سابقة، فلا أعرف مؤسسة من مؤسسات العلماء جعلت لها مجلساً استشارياً من علماء الأمة، وذلك أن القضية التي نحملها نراها تحتاج إلى جهود الأمة كلها وفي المقدمة العلماء.

ومن رموز الهيئة وعلمائها، شيخنا رئيس الهيئة الأول ومؤسسها الشيخ الدكتور عبدالغني التميمي، والشيخ الدكتور عمر الأشقر، والشيخ الدكتور صلاح الخالدي، والشيخ الدكتور عبد المعز حريز، والشيخ الدكتور تيسير الفتياني، والشيخ حسين العواودة -رحمهم الله جميعاً- ومن رموزها أيضاً الشيخ الدكتور همام سعيد، والشيخ الدكتور أحمد نوفل.


عمر الأشقر

ويتكون المكتب التنفيذي الحالي للهيئة من ثلة من علماء الأمة، وهم:

د. نواف تكروري، وهو من علماء الفقه، وهو رئيس الهيئة الحالي. د. عبد الجبار سعيد، وهو مدرس في كلية الشريعة في جامعة قطر وهو نائب لرئيس الهيئة. د. حافظ الكرمي، رئيس مركز إسلامي في بريطانيا وهو رئيس قسم الإعلام في الهيئة. د. محمد سعيد بكر، وهو من علماء الحديث والسيرة ورئيس قسم الدعوة في الهيئة. د. أحمد الرقب، وهو من علماء التفسير ورئيس قسم التخطيط والتدريب في الهيئة. محمد خير موسى، وهو من الشباب المفكر ومؤلف وكاتب، وهو رئيس قسم العلماء الشباب. د. ابراهيم مهنا، وهو من علماء الفقه، وهو رئيس قسم العضوية والفروع. د. فاطمة عبد الله عزام، وهي مدرسة للفقه الإسلامي في جامعة قطر، ورئيسة قسم العالمات في هيئة علماء فلسطين. ش. علي اليوسف، وهو داعية وباحث مقدسي ورئيس قسم القدس في هيئة علماء فلسطين. د. محمد همام، وهو من علماء الفقه وأصوله ورئيس قسم البحوث والدراسات.

أنصار النبي ﷺ لماذا تُتهم هيئة علماء فلسطين بأنها ذراع شرعي لحركة سياسية؟

د. نواف: هيئة علماء فلسطين هيئة مستقلة تمامًا، وهي في ذات الوقت داعمة للمقاومة الفلسطينية عمومًا، وليس لفصيل دون آخر، بل لكل فصائل المقاومة لا سيما الإسلامية منها، فهذه الهيئة مشروع وجودها أصيل وداعم للعاملين في خدمة القضية الفلسطينية، وهي إن رأت موقفاً تقدر أن فيه خللاً فهي تقول رأيها فيه، وتبين بأن هذا خلل ينبغي الرجوع عنه، سواء أكان ذلك من خلال التواصل المباشر -إن كان متاحًا مع هذه الجهة أو تلك- أو إذا اقتضى الأمر فهي تعلن ذلك من خلال بياناتها وتنشر وتوضح موقفها علنًا للناس والأمة.

بعض الناس لا يعجبهم هذه المنهجية في النصح والنقد، ويفهم أن دعم العالِم للمشروع يقتضي أن يذوب فيه وأن يكون معه في حقه وباطله وفي صوابه وخلله، وهذا برأينا غير صحيح؛ فنحن لا يمنعنا -في هيئة علماء فلسطين- أن نعترض وأن نقول ما نراه حقًّا بتقديرنا. ونؤمن أن اعتراضنا على جهة، أو فئة، أو حركة، أو دولة في موقف ما، أو الذهاب مع جهة أخرى في دعم حقها وفي جهادها ومقاومتها وصمودها؛ كل هذا لا يمنع أن يكون للهيئة انتقاداً في مواطن أو مواقف لها. وهذا ديدن هيئة علماء فلسطين -بفضل الله تعالى- في تعاملها مع كل الجهات والحركات والبلاد والدول، لاسيما المقاومة الفلسطينية.

وعليه فإن للهيئة موقفاً تعتز به، بأن تكون مؤسسة شرعية مؤصلة تعبّر بحرية واستقلالية ودون ذوبان في أي مشروع أو حركة، وهي لا مانع لديها ولا يضيرها أن يرى البعض أنها مع هذه الجهة، فهي معها في حقها.. ومعها في جهادها.. ومعها في صمودها.. ومعها في مقاومتها للمحتل؛ وإن رأت خللًا أو موقفًا يتطلب نصحاً وانتقاداً.. فعلت ذلك ومارسته بكل حرية وأريحية. ولا يعني انتقادها لجهة ما أنها تحذف هذه الجهة أو تحكم عليها بعدم صلاحيتها لمشروع المقاومة أو نحو ذلك؛ فكل البشر -أفراد وجماعات ودول- معرضون للخطأ والصواب، والمسلمون بعضهم لبعض نَصَحَة، أما المنافقون فهم غَشَشَة.

لذلك نحن نعد أنفسنا في هيئة علماء فلسطين، هيئة مستقلة في تصرفاتها، ولها مؤسساتها التي ترجع إليها في تقرير مواقفها، وهي ليست تبعًا لأي جهة أو جماعة أو حركة.



وهنا أريد أن أؤكد على ملاحظة، أن ما تراه هيئة علماء فلسطين في موقف من المواقف خطأً -مما لم يكن فيه نص شرعي واضح ودليل قطعي- يبقى حالة اجتهادية، فقد يكون موقفنا الذي نعبر عنه يعتريه شيء من الخلل؛ فنحن بشر لا ندعي لأنفسنا العصمة. ولكن الواجب يقتضي علينا أن نجتهد وأن نبذل الوُسع ونبيّن ما نراه حقاً.. فنُصلح به وننصح به.. وهذا -بفضل الله تعالى- ما نمارسه حقًا.

أنصار النبي: ما المشروعات التي تهتم هيئة علماء فلسطين في الخارج العمل بها؟

د. نواف: بحمد الله تعالى الهيئة تقوم على مشروعات طيبة وخادمة لقضية فلسطين، ولقضايا الأمة عامةً، كما ذكرت وأشرت أن هيئة علماء فلسطين لا تترك قضية من قضايا الأمة إلا ولها بها سهم، ولها تعمق واختصاص بقضية فلسطين، وبإعداد أجيال الأمة لها، بما تهتم به الهيئة من التأصيل لمسائل القضية الفلسطينية. وهذا قسم البحوث والدراسات يقوم على هذا الجانب.

وكذلك الاهتمام بالعلماء الشباب وإعدادهم من كل أنحاء العالم -ليس من أبناء فلسطين فقط- بعمل ملتقيات لهم وتحميلهم هَمّ القضية، وهَم الدعوة في بلادهم، وتقوم الهيئة بمشروعات دعوية في البلاد، وهذه يتابعها قسم الدعوة في بلاد العالم الإسلامي، يحرض ويحرك شباب الأمة وأبناءها لحمل القضية وحمل هَم دينهم والانطلاق به وإعداد الدعاة. وعندنا مركز اسمه مركز الشيخ حسين العواودة، ومؤسسة رواسي لإعداد الدعاة، هذا مركز يدرب الدعاة ويعدهم وكذلك يقوم بالأعمال الدعوية في العالم، وتهتم الهيئة

بالتواصل مع مؤسسات العلماء، ولذلك أسسنا تنسيقية لمؤسسات العلماء بشأن القدس يشارك فيها أكثر من ٨٠ مؤسسة علمائية في أنحاء العالم الإسلامي، وهذه تتولى تنسيق نشاطات العلماء دون أن تكون جسماً علمائياً خاصاً، بل تنسق أعمال العلماء لخدمة قضية فلسطين.



أيضاً إصدار المواقف والبيانات حول كل الأحداث التي تجري في الأمة على وجه العموم، وفي القضية الفلسطينية على وجه الخصوص، وللهيئة ذراع خيري وإنساني وإغاثي تقوم من خلاله بما يجب عليها تجاه ما يجري في فلسطين على وجه الخصوص وفي الأمة على وجه العموم، وفي أحداث الزلزال الأخير كان للهيئة دور بارز، إذ سيّرت وفوداً من الشباب للإسهام في الإنقاذ، وأعلنت عنه من خلال جمعيات خيرية نتعاون معها بحملة تبرعات، وقدمت في الجنوب التركي والشمال السوري مساعداتٍ في جانب الحاجة اليسيرة، ولكن بالنسبة لحجم الهيئة وإمكاناتها تُعَد مساعدات جيدة، عينية ونقدية.

هذه بعض أعمال الهيئة التي تقوم بها.

كيف يستطيع المسلم أن يتواصل مع هيئة علماء فلسطين في الخارج ويدعمها في أعمالها؟

كان مقر هيئة علماء فلسطين السابق لبنان، أما حاليًا فهو مدينة إسطنبول، وللهيئة فرع أيضاً في لبنان، وفرع في المناطق المحررة من سوريا، وفرع في جنوب شرق آسيا، وفرع في تركيا يغطي العمل في المحافظات التركية، وتقوم هذه الفروع بأعمال الهيئة عامةً في مناطقها، ونتواصل مع الجامعات والمؤسسات، والوزارات، والعلماء ومؤسساتهم.

أما بالنسبة للتواصل مع الهيئة فهو متاح ضمن أرقام هواتف وبريد إلكتروني وبرمجيات التواصل، ومنها:

- الموقع الإلكتروني الرسمي لهيئة علماء فلسطين palscholars.org
- البريد الإلكتروني الرسمي لهيئة علماء فلسطين mail@palscholars.org
- هاتف المدير التنفيذي لهيئة علماء فلسطين 00905359747464
- البريد الإلكتروني للمدير التنفيذي لهيئة علماء فلسطين palscholars.ist@gmail.com

ولا شك أن هيئة علماء فلسطين تحتاج الدعم والعون والمساعدة بظروفها الحالية، فكثير من مشاريعها تتقلص وتضعُف بسبب قلة الموارد المالية والإمكانات، وهي تأمل من أهل الفضل أن يعينوها دوماً لتنفيذ مشاريعها التي تنعكس إيجابياً على القضية الفلسطينية، وعلى قضايا الأمم بشكل عام. وجزاكم الله خيراً.

أنصار النبي ﷺ: شكر الله لكم د. نواف، وأعانكم على ما نذرتم أنفسكم له.

د. نواف: بارك الله فيكم ورضي عنكم، ونشكر لكم هذه الجهود الوافرة التي تقومون بها في مجلة أنصار النبي، وفي الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ.



﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾



د. عبد الحي يوسف

عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

القرآن كلام الله المعجز المنزَّل على قلب محمد ﷺ، المتعبَّد بتلاوته، المتحدَّى بأقصر سورة منه، والذي فتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، وهدى به من الضلالة ونجا من الجهالة وبصَّر من العمى، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وقد تحدث النبي ﷺ بنعمة الله عليه في نزول هذا القرآن فقال: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِىَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه البخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وربنا جل جلاله أخبرنا أن الإنس والجن عاجزون عن معارضته، فقال سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]



وقد قرعت أسماع المشركين تلك الآيات التي تتحداهم كقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤]

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤-٢٥]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨]



ولم يكن أمام المشركين إلا أن يرددوا تلك الأباطيل والترهات كقول قائلهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقول الآخر: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، وقول الثالث: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ثم يبلغ بهم العجز قمته بالادعاء الأجوف حين يرددون: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]، وهم -مع كونهم أهل الفصاحة واللَّسَن- لا يملكون إلا أن يُصغوا إليه، ويعجبوا من نظمه.

روى ابن إسحاق في سيرته عن الزهري قال: حُدّثت أن أبا جهل، وأبا سفيان، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل منهم مجلساً، فيستمع منه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً! ثم انصرفوا.

حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة، ثم انصرفوا!

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا!

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها. فقال الأخنس: أنا والذي حلفت به كذلك! ثم خرج

من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، فما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرّكب وكنّا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك هذه؟ فوالله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه! ا.هـ

وهذه الفِرَى التي رددها صعاليك المشركين قديماً جاء من بعدهم المنصِّرون والمستشرقون بمئات السنين ليجترُّوها ويروجوها -في ثوب البحث العلمي- محاولين التشكيك في صحة الوحي؛ حتى زعموا أنها حالة من الصرع كانت تعتري النبي ﷺ! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]



القرآن كلام الله

وقد ساق أهل العلم الثقات الأثبات من الأدلة والبراهين التي تزرع في القلب يقيناً أن القرآن كلام الله عز وجل، وأن محمداً ﷺ ليس إلا مبلِّغاً عن ربه جل جلاله، ومن تلك الأدلة:

أولاً: بلوغ القرآن الغاية في الفصاحة والبلاغة وسلاسة الأسلوب وتناسق المعاني؛ حتى إنك لتلحظ ذلك جلياً في الآيات التي تتناول الحدود والأحكام؛ فما جاءت بصيغة القوانين المجردة بل هي في قمة البلاغة؛ دعك من الآيات التي في الترغيب والترهيب، أو في القصص والأمثال.

وقد ساق القاضي عياض بن موسى رحمه الله تعالى في كتابه (الشفا) نماذج من تلك الجمل كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١] وقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:



٣٤] وقوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ [العنكبوت: ٤٠]

ثانياً: أن العرب المعاندين الصادين عن سبيل الله، والذين كانوا أحرص الناس على تكذيب محمد ﷺ قد أقروا أن هذا القرآن ما يمكن أن يكون من كلام البشر، فها هو ذا الوليد بن المغيرة المخزومي -وهو من أعدى أعداء النبي ﷺ- جمع قريشاً عند حضور الموسم وقال: إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً.

فقالوا: نقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه. قالوا: مجنون. قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر. قالوا: فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا: فما نقول؟ قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل، وإن أقرب القول إنه ساحر، فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته.

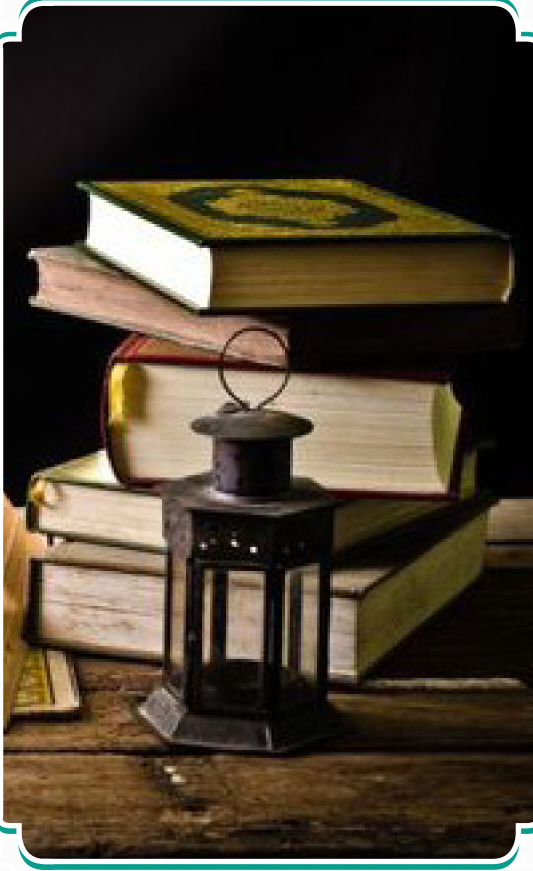
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس. فأنزل الله تعالى في الوليد: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١]

وذكر أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فسجد وقال: سجدت لفصاحته!

وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾ [يوسف: ٨٠]، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام!

ثالثاً: ما اشتملت عليه بعض آيات القرآن من عتاب للنبي ﷺ؛ كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]



حتى قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية!

وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١-٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

رابعاً: ما اشتمل عليه من الإخبار عن غيبيات وقع تصديقها على مرِّ الزمان، كقوله تعالى:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢-٤]

وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله جل في علاه: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

وقوله جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]

وقوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وها هي مئات السنين قد مرت وما استطاع أحد أن يزيد في القرآن أو ينقص منه، ومتى ما حاول أحد ذلك فضحه الله على رؤوس الأشهاد؛ فهو كتاب محفوظ في الصدور وفي السطور ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]



خامساً: أن البشر مهما أوتوا من سعة العلم وقوة الإدراك والإحاطة بالأمور، فإنه لا بد أن يقع في كلامهم من الخطأ والسهو والنسيان ما يحصل اكتشافه بأدنى تأمل، ولا يسلم من ذلك كتاب قط قام على تأليفه بشر، بيد أن كتاب الله عز وجل محالٌ أن تجد فيه آيتين محكمتين متعارضتين بحيث لا يمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه، بل يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

حتى إنك لتجد القصة الواحدة تتكرر في القرآن مراراً -كقصة إبراهيم أو قصة موسى أو قصة عيسى- تارة في القرآن المكي وتارة في القرآن المدني، ولا تجد في هذه المواضع كلها ما يحكم عليه بالتناقض أو التعارض أو الاختلاف ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ [فصلت: ٤٤]

سادساً: من وجوه إعجاز القرآن تلك الآيات التي وردت بتعجيز قوم في مسائل وإعلامهم بأنهم لا يفعلونها، وقد كان هذا التحدي على رؤوس الأشهاد فما فعلوها ولا قدروا عليها، ومن ذلك قوله لليهود: ﴿قُلۡ

إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥]

قال أبو إسحاق الزجاج: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾، وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً، فلم يتمنه واحد منهم، وعن النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه». يعني: يموت مكانه.

فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحى إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا، ولكن الله يفعل ما يريد، فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]

فأخبرهم أنهم لا يفعلون فوقع كما أخبر.

سابعاً: جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، ثم أتى العلم الحديث بإثباتها على الوجه الذي حكاه القرآن، كمراحل نمو الجنين في رحم الأم، وأحوال البحار وأن قاعها مظلم، ونحو ذلك مما اصطلح على تسميته في عصرنا بالإعجاز العلمي، وقد ألف فيه من العلماء المعاصرين الجم الغفير.

ثامناً: من وجوه إعجاز القرآن أنه لا تشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يخلق على كثرة الرد، هو الفصل ليس بالهزل، قال القاضي رحمه الله تعالى: قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، لا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام -ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه- يُمَلُّ مع الترديد، ويعادي إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويؤنس



بتلاوته في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحوناً وطرقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها. ا.هـ

تاسعاً: ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الإعجاز التشريعي الذي كان عدلاً كله، تحقق به المصلحة وتدرأ به المفسدة وتستقيم به أحوال الناس، وما زال أهل العلم يزدادون كل يوم يقيناً أن القرآن كلام الله حين يلمسون شقاء البشر بتلك القوانين التي اخترعها بعضهم؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فحصل به الإنصاف التام للنوع الإنساني.

عاشراً: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم لقوة خطره، فقد رأينا من قريب ذلك الرجل الطاعن في السن في بعض بلاد أوروبا يدخل متجراً لشراء بعض حاجته، فإذا به تدمع عيناه حين يسمع صوت قارئ يرتل القرآن بواسطة مسجل، وحين يسأله صاحب المتجر: هل تفهم ما تسمع؟ فيكون جوابه: لا، ولكنه لامس قلبي!

وفي صحيح البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير للإسلام.

وفي رواية: وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي.

وحُكي أن نصرانياً بقارئ فوقف يبكي فقيل له: مم بكيت؟ قال: للشجا والنظم!

في محراب الإعجاز





الشيخ سامي الساعدي

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]

نعم، لا يمكن أبداً أن يكون مفترًى.

إن كلاماً بهذا السبك اللغوي، وبهذا السمو المعنوي، وبهذه العظمة التشريعية، وبهذه العذوبة البيانية، لا يمكن أبداً أن يكون إلا كلام الله تعالى.



«وما كان هذا القرآن العظيم في علو شأنه، المحلى له في أسلوبه ونظمه، وعلومه العالية، وحكمته السامية، وتشريعه العادل وآدابه المثلى وتمحيصه للحقائق الإلهية والاجتماعية، وإنبائه بالغيوب الماضية والآتية، وجعل المقصد من إصلاحه ما بيّنه آنفاً من اتباع الحق والهدى، واجتناب الضلال باتباع الهوى، والاعتماد فيهما على العلم الصحيح - ما كان وما صح ولا يعقل أن يفتريه أحد على الله من دونه ويسنده إليه؛ إذ لا يقدر غيره عز وجل عليه»[١].

وإنك إذا ما تأملت بعض كلمات القرآن وتراكيبه، لتعجب كيف أن اللفظة خارج القرآن قد تكون ثقيلة في النطق، وأن حركة الحرف قد تكون ممجوجة في الأسماع، لكنها ما إن تتبوأ مكانها في آية من آيات القرآن، حتى تُنفَخَ فيها روحُ البلاغة، كأنما هي ميت دَبَّتْ في جسده الحياة!

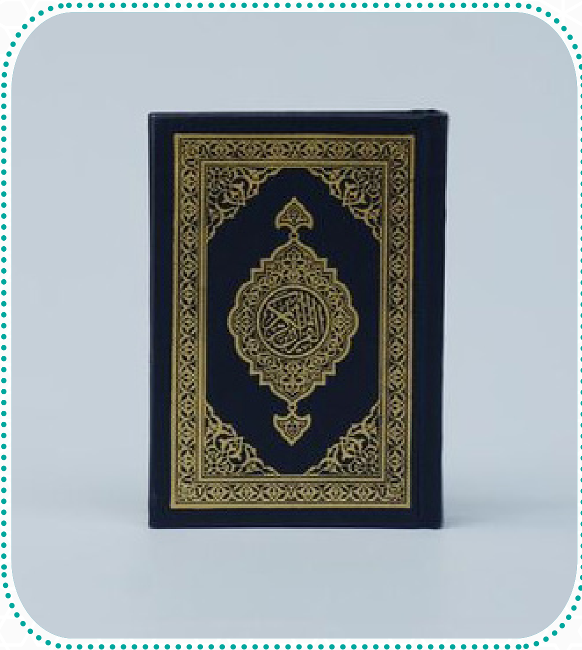
فعلى سبيل المثال يذكر علماء البلاغة أن مما ينافي البلاغة تنافر الحروف؛ كجمع الغين والطاء والشين أو جمع السين والتاء والشين والزاي في كلمة واحدة، مما يسبب ثقلًا غير محبب على الأذن، ويمثلون لذلك بقول امرئ القيس في معلقته وهو يصف غزارة شعر محبوبته:

غدائره مستشزرات إلى العُلا •• تضل العقاص في مثنّى ومرسَلِ

لكنك لا تجد شيئًا من ذلك إذا ما قرأت قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩]

إن هذا الإحياء العجيب مع خصال أُخرى هو الذي جعل رجلًا عربيًا قحًا، وقرشياً فصيحاً، ومخزومياً صليبةً كأبي الوليد عُتْبَة بنِ شيبةَ بنِ ربيعةَ يقول -وقد أُخِذَ بسطوة البلاغة القرآنية-: «والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا

١. تفسير المنار.



الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كُفِيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلكه ملككم، وعزُّه عزكم وكنتم أسعد الناس به». قالوا: «سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه». قال: «هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم»[٢].

وجاء في رواية ابن عباس عند الحاكم أن عتبة قال: «وماذا أقول؟! فوالله، ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله، إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته»[٣].

وهذه السطوة هي التي سفعتْ بناصية الشاعر المُجيد والأديب الأريب أنيس بن جُنادة الغفاري، فإذا هو «ساجد» في محراب البلاغة القرآنية. وكان قد أرسله أخوه أبو ذر قبل إسلامه ليستعلمَ له خبر النبي ﷺ، فلمّا رجع سأله أبو ذر: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحرا!

قال أنيس: «لقد سمعتُ قولَ الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر -أي على أنواع الشعر وطرقه وأوزانه- فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون»[٤].

ومعنى قوله «فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر»: أنه لا يصح لأحد أن يقول إنه شِعر[٥].

---

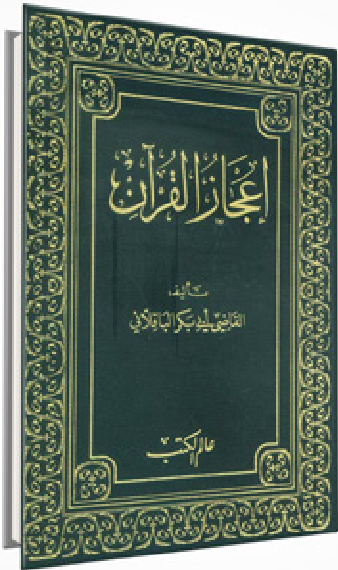
٢. رواه البيهقي في دلائل النبوة، وأبو نعيم في الدلائل وحسّنه الألباني.
٣. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
٤. رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.
٥. المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم.

وهي هي السطوة ذاتها التي ساقت عمرو بن عَبَسة رضي الله عنه إلى نزع القطن من أذنيه، بعد أن خوَّفَه قومه مما أسمَوه (سِحر محمد)! قال: «فقلتُ أنا رجل شاعر ما يخفى عليّ جيد الكلام مِن رديئه». فما إن سمع كلام الله تعالى من فم المصطفى ﷺ حتى أيقن أنه ليس من كلام البشر ووقر الإسلام في قلبه.

الله أكـــبر إنَّ دِيـــنَ محـمدٍ •• وَكِتَـابُهُ أقــوَى وأقْـوَمُ قِيلًا

لَا تَذْكُروا الكتبَ السوالفَ عندهُ •• طَلَعَ الصباحُ فأطفِئِ القنديلا

وهكذا عجز القوم، فكأنما أُلجِمَت أفواههم، واحتبست الحروف على ألسنتهم، فكانوا كما قال عبدالقاهر الجرجاني: «أَسَالَ عليهم الواديَ عجزًا، وأخذ عليهم مَنَافِذَ القول أخذًا».



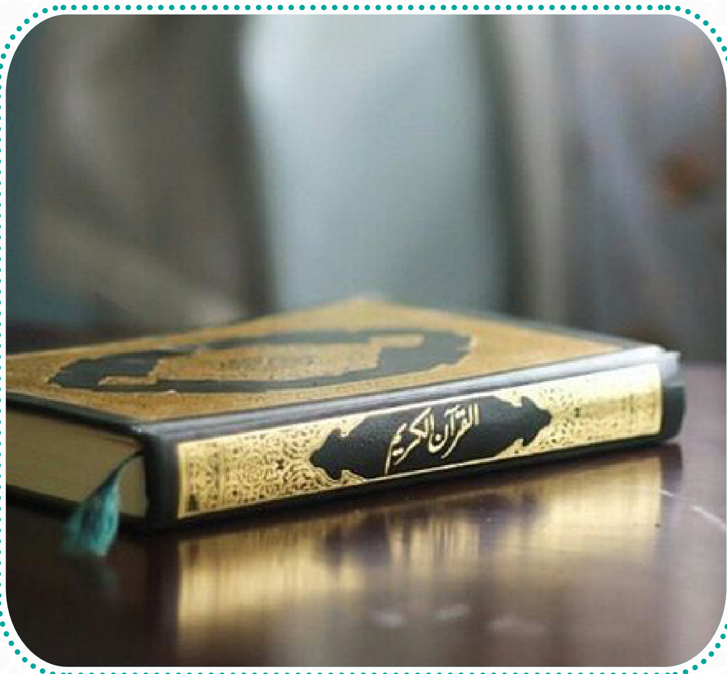
ولذلك فلا غرو أن احتفى علماء الإسلام بمعجزة نبيهم الخالدة -أعني القرآن- فتتابعت مؤلفاتهم التي عُنيتْ بإعجاز القرآن، بدءًا بالجاحظ المعتزلي المتوفى سنة ٢٢٤هـ في كتابه (نظم القرآن)، والخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ في كتابه (بيان إعجاز القرآن)، والقاضي أبي بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ في كتابه (إعجاز القرآن) الذي قال فيه القاضي أبو بكر ابن العربي: «لم يؤلَّف مثلُه!»، وعبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٦١هـ في كتابه (دلائل الإعجاز)، ومرورًا بمحمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٦٠٣هـ، وانتهاء بالمعاصرين من أمثال الشيخ عبدالله دراز في كتابه العظيم (النبأ العظيم)، والدكتور فضل حسن عباس في (إعجاز القرآن الكريم)، والأستاذ سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) ناهيك عمن تناولوه كبابٍ من ضمن مؤلفاتهم الشاملة في علوم القرآن.

الإيجاز البديع

هذا ومن وجوه الإعجاز القرآني اللفظي ذلك الإيجاز البديع الذي يجمع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، ومن أبرز الأمثلة التي يذكرها أهل هذا الشأن هو قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [يوسف: ٨٠] وذلك حين أخذ يوسف أخاه، وحاول إخوته إقناع يوسف بتركه وأخذ أحدهم بدله، لكن يوسف عليه السلام أصر على إبقاء أخيه عنده، ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾ يعني: فلما يئس إخوة يوسف من أخذه معهم (خلصوا) اجتمعوا في مكان بعيد عن الناس (نجيا) يتناجون فيما بينهم، فانظر كيف طوى ذكر هذه المقالة في خمس كلمات!

ومنها قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]

حتى قالوا إنه أُلِّفَتْ في بلاغتها كتُبٌ، ومن مظاهر الإيجاز والإعجاز فيها: قِصَر الجُمَل، حيث حُذِفَ الفاعلُ من معظمها بسبب وضوحه وبُنِيَتِ للمجهول، إذ من الذي يمكنه التكلم وأمرُ السماوات والأرضين بتلك الأوامر في تلك الساعات العصيبة؟ كما طوي ذكر استجابتها للأمر لوضوحه كذلك، فهل يمكن للسماوات والأرض إلا أن تستجيب؟!



وقد ذكروا أن كفار قريش عزموا على معارضة القرآن والإتيان بمثله، بعد أن مكثوا أربعين يوماً لا يأكلون إلا لحم صغار الضأن ويشربون الخمر المعتقة، لاعتقادهم أن ذلك ينمي القريحة ويقوي ملَكَةَ البيان! فلما سمعوا هذه الآية انفسخت عزائمهم وأيقنوا أن لا طاقة لهم بذلك.

الترتيب العجيب

ومن وجوه هذا الإعجاز أيضاً ترتيب حروفه وحركاتها، ترتيباً يجعل لآياته وقعًا على السمع ممتعاً مستلذاً، كما سبقت الإشارة إلى شيء من هذا.

وهل نُفيض في هذا المجال فنذكر عذوبة ورود التمييز في مثل قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] أو قوله عز وجل: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، مما يصور لنا الأرض كلها ولم يبق فيها موضع لغير العيون إذ صارت كلها عيونًا، وابيض شعر الرأس كله بسرعة كأن نارًا شبَّتْ فيه فلم تبق فيه شعرة سوداء؟

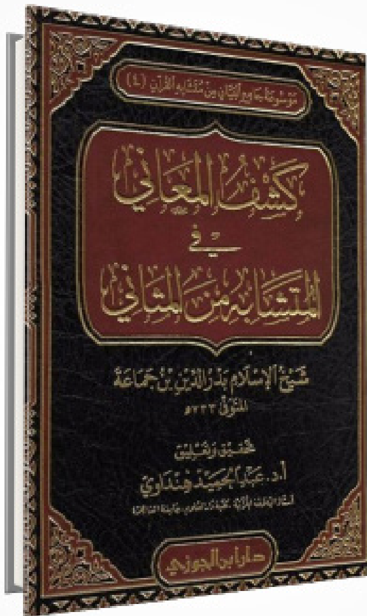


أم هل نعرج على ما ذكره علماؤنا العظام حول دقة الكلمات والحروف القرآنية، بحيث إن كل كلمة جاءت في موضعها، دون حشو زائد ولا حذف مخل؟

وهاك مثالًا على ذلك: قال تعالى في الصلاة: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، لكنه قال في الصيام: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والغسق: الظلام، ذلك لأن الآية أدخلت وقت العشاء الذي يحل بمغيب الشفق حيث يخيم الظلام ولا يبقى من أثر الشفق شيء، فاستوعبت أوقات الصلوات الخمس في إيجاز رائق؛ لكن الصوم ينتهي بمجرد دخول الليل وغروب قرص الشمس ولو بقي شيء من ضوء الشفق.

مثال ثان: قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، لكنه قال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، والإملاق: الفقر.

ذلك أنه في الآية الأولى ذكر إملاقاً واقعًا موجودًا، والنفس البشرية مجبولة غالبًا على الأثرة وتقديم النفس على الغير في جلب المنافع ودفع المضارّ ولو كانت نفس الوالد، فقدم ضمان رزق الآباء على رزق الأبناء، أما في آية الإسراء فالإملاق المذكور يُخشَى وقوعُه في المستقبل، فهو أخف وطأة وأقل إزعاجاً، ولهذا قُدِّم فيها ذِكرُ الأولاد.



والأمثلة كثيرة جدًا، ومن أراد الاستزادة من هذا الموضوع الشيق والأمثلة الرائعة الرائقة فعليه بكتاب (كشف المعاني عن المتشابه من المثاني)، للقاضي بدر الدين ابن جماعة المتوفى سنة ٧٣٣هـ.

وهذا كله فيما يتعلق بإعجاز القرآن فيما يتعلق بالألفاظ والتراكيب،أما إعجازه فيما يتعلق بالمضامين فذاك بحر لا ساحل له! فهناك الإعجاز التشريعي الذي حارت فيه عقول فقهاء الدستور وأساطين القانون. وهاك مثالًا على ذلك وهو: الأزمة المالية العالمية التي عرفت بأزمة «الرهن العقاري» ولو سميناها أزمة الربا لما كنا بعيدين عن الحقيقة.

فقد اعترف وزير الفرنسي آنذاك للشيخ عبد الله بن بية، بأنه يعتقد أنه لا نجاة للعالم من مثل هذه الأزمات إلا بتصفير الفائدة واعتماد النظام الاقتصادي الإسلامي الخالي من الربا. صدق الله ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]

(علي) شاب بريطاني مسلم (Alen سابقًا)، تعرفتُ عليه قبل ثلاث عشرة سنة في طرابلس، فسألته عن سبب إسلامه فقال: كنت أعمل مع مجموعة من الشباب الليبيين المحافظين، فكنت كلما عرضت عليهم أمرًا محرمًا قالوا هذا محرم في ديننا، فما تأملتُ في شيء قالوا إنه محرم إلا وجدت الضرر فيه واضحًا جليًا كالخمر والزنا وغيرهما، حتى جاءت الأزمة المالية العالمية وكنت قد عرفت منهم حرمة الربا من قبل، فمالت نفسي إلى الدخول في الإسلام.



في خمسينيات القرن الماضي انعقد مؤتمر (أسبوع الفقه الإسلامي) في باريس بحضور مجموعة من علماء المسلمين من الأزهر وغيره، مع مجموعة من كبار الفقهاء الدستوريين والقسيسين والرهبان

الأخرى، وقد سجل بعض المنصفين من غير المسلمين حينذاك انبهارهم بما انطوت عليه الشريعة الإسلامية من نصوص وقواعد تمثل مرجعًا غنيًا للمشرِّعين.

الإعجاز العلمي والإعجاز التأثيري وإعجاز الإخبار بالغيب وغيرها من ضروب الإعجاز وميادينه، التي تظل فسيحة الأرجاء مترامية الأطراف، لا يحيط بقدرها إلا منزل هذا الكتاب المعجز.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾



د. يونس الأسطل

عضو رابطة علماء فلسطين، وعضو البرلمان الفلسطيني، وأستاذ الفقه وأصوله

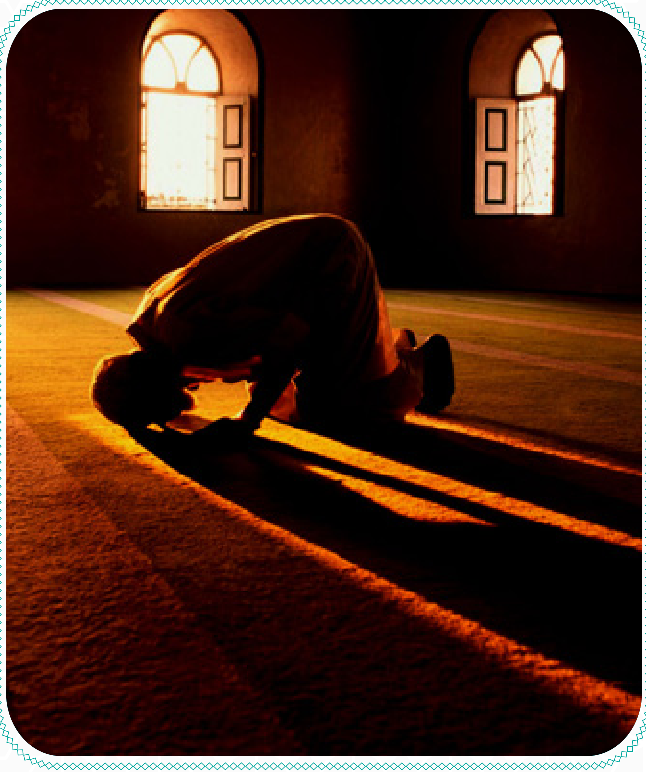


الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن المستجدَّ في شهر رمضان هو صيام أيامه المعدودات وجوباً، وقيام لياليه بالتراويح استحباباً، مع لزوم الترتيل فيها للقرآن الذي أُنزل في شهر رمضان. ولعل الحكمة في هذين التكليفين أن نستعين بهما على تدبر القرآن بِقَدْر الإمكان؛ للوقوف على بعض ما فيه من بيِّنات الهدى والفرقان.

ولما كان القلب هو مناط التعقُّل والتدبر حتى لا يكون على قلوبٍ أقفالها؛ فقد لزم إراحته في الصدر، وتفريغه من الشواغل، وقد تكفَّل الصيام بالمهمة الأولى، بينما وفَّر القيامُ المهمةَ الأخرى.

فأما الصوم فإنه مع فراغ المعدة يرتخي الحجاب الحاجز بين تجويفي الصدر والبطن، فيرتاح القلب، ويعمل بحرية، وحين تمتلئ المعدة تضغط على ذلك الحجاب، فيرتفع إلى أعلى، ويضغط على القلب، فيصير في حرجٍ، فأنَّى له أن يتدبر القولَ بكامل طاقته؟!



وأما الليل فإنه لباسٌ وسَكَن؛ حيثُ يتوقف القدمُ فيه عن السَّبْح الطويل، فيرتاح القلب من هموم وظائف النهار، والضَّرْب في الأرض، وحالئذٍ تتواطأ الجوارح على تَفَهُّمِ الكتاب، فاللسانُ يتلو، والآذانُ تسمع، والجَنَانُ يتدبر، زيادة على تمتين الحفظ، وتقويم النطق بالقرآن، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]

وفي هذا الإطار فقد رغبتُ في تدوين بعض الفتوحات في فَهم كتاب الله عز وجل، مما له علاقة بالصيام، بما يصلح أن يكون موضوع خطبةٍ أو ندوةٍ، خاصة في شهر رمضان الذي ابْتُدِئَ فيه إنزال القرآن، وخاصة في الليلة المباركة منه في البقعة المباركة من الحجاز؛ فإن أول بيتٍ وُضعَ للناس الذي ببكةَ مباركاً وهدىً للعالمين، ولا يناسب الكتاب المبارك المنزل على النبيِّ المبارك بواسطة الملك المبارك إلا الزمان المبارك، والمكان المبارك، وقد قال تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

ذلك أن التدبر هو الذي يفضي للتذكر، ولكنَّ أُولي الألباب والنُّهى هم الذين يتعظون به، ويكون لهم هدىً ورحمة وشفاءً لما في الصدور، بينما غيرهم لا يزيدهم القرآن إلا طغياناً وكفراً، فإنهم في قلوبهم زيغٌ، فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.



ولْنتوجهِ الآن إلى نموذج من التدبر لآيةٍ لها ارتباط بالصيام، وهي قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]

وقد سبق شبيهُ هذه الآية في سياق الميثاق الذي أُخِذَ على بني إسرائيل؛ فقد جاء فيه:

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ * ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦] وقد فُسِّر الصبر في الآيتين بالصوم، أو أن الصوم يدخل فيه دخولاً أوليًّا، ولا غَرْوَ في ذلك فالصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان، كما جاء في الأحاديث، ولذلك فقد صُدِّرتِ الآية التي تَوَجَّهَ الخطاب فيها إلينا بنداء الإيمان، بينما جاءت في خطاب بني إسرائيل بالأمر المباشر، وأخبر أنها ثقيلة عليهم، إلا على الخاشعين منهم، الذين يوقنون بلقاء ربهم، وأنهم إليه راجعون، بينما لم يذكر ذلك في حقنا، فدلَّ ذلك على أن الصلاة خاصة، أو الاستعانة بالصبر والصلاة، خفيفة علينا، وأننا من الخاشعين، ولا عجبَ في ذلك فإننا من الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله، وإنا إليه راجعون.

ولعل السرَّ في الجمع بين الصبر والصلاة في الاستعانة على العهد والتكاليف أنه بالصبر ننال كلَّ فضيلة، وبالصلاة ننتهي عن كلِّ رذيلة، خاصة وأن الصبر ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على ترك المحارم والآثام، وهو الصبر عن اقتراف المعائب.

الثاني: الصبر على فعل الطاعات والقربات، وهو الصبر على احتمال المتاعب.

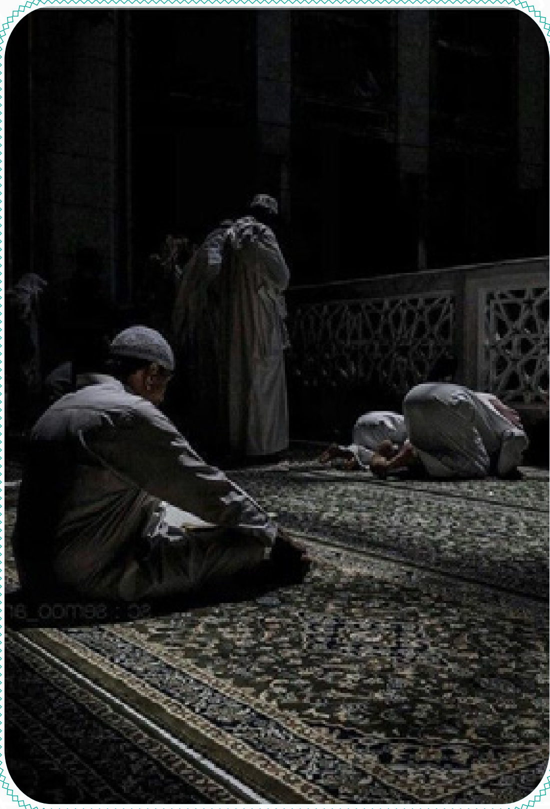
الثالث: الصبر على المصائب والنوائب؛ فإنها اختيار الله ذي المكارم والعجائب.

إن هذه الآية -وهي محور التدبر- قد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة : ١٥٢]؛ فقد أمر الله جلَّ وعلا فيها بذكره وشكره، ونَهَى عن كفره؛ أو كفر نعمته، ولا شك أن هذا تكليف شاقٌّ، ومَنْ يطيق ذكر الله وشكره إلا المؤمنون؟! فإنه قليل من عباده الشكور، ولا تجد أكثرهم شاكرين، كما أنه إذا ذُكر الله وحده اشمأزَّتْ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون، بينما المؤمنون إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، ولكنهم بعد ذلك تطمئن قلوبهم بذكر الله، ألَا بذكر الله تطمئن القلوب، وإذا اقشعرَّتْ من كتاب الله جلود الذين يخشون ربهم، فسرعان ما تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله.



وقد وَعَدَ ربنا تبارك وتعالى مَنْ ذكره من عباده أن يذكره، فإنْ ذَكَرَ الله في نفسه ذكره الله في نفسه، وإذا ذكره في ملأٍ ذكره في ملأٍ خيرٍ من ملئه؛ فإن الله عزوجل إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل؛ فقال: إني أحب فلاناً فأحبَّه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحبُّ فلاناً فَأَحِبُّوه، فيُحِبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض.

إنَّ ذِكْرَ الله لنا نعمةٌ تستوجب شكره جلَّ وعلا، وإن دلالته لنا على ضرورة ذِكْرِهِ نعمةٌ أخرى، تستوجب شكراً آخر، لذا فقد أَمَرَنا بشكره عليهما، وعلى عموم نِعَمِهِ التي إنْ تَعُدُّوها لا تحصوها، ونهانا عن ضد الشكر، وهو الكفر بتلك النعم، وإذْ تأذَّنَ ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم؛ إن عذابي لشديد.



بعد هذه المقدمة البيانية لمعنى الآية (١٥٢) ألتفتُ إلى الآية التي تليها، وهي موضوع التدبر، فأجدها تُرْشِد إلى الاستعانة على تلك التكاليف الثلاثة بالصبر والصلاة، وهي إشارة إلى وطأة تلك التكاليف على النفس، وأننا في حاجة إلى الاستعانة عليها بالصبر والصلاة، مع التأكيد أن معية الله مع الصابرين، وبتلك المعية نصبر على أعباء التكليف؛ فإن الصلاة لكبيرةٌ إلا الخاشعين المؤمنين، ولذا فقد صدَّر هذه الآية بنداء الإيمان، بينما المنافقون لا يأتون الصلاة إلا وهم كُسالى، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى، يُراؤون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

خلاصة القول: إن الله عز وجل لَمَّا كلَّفنا بذكره وشكره، وعدم جحود نعمه، أرشدنا إلى الاستعانة على ثِقَلِ ذلك التكليف بالصبر وحبس النفس على احتمال ذلك؛ بالتطلُّع إلى ما أعدَّه الله للصابرين في الآخرة وفي الدنيا، وإنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب، كما أن كلمة ربِّنا الحسنى إنما تَتِمُّ على عباده في الدنيا بالصبر، فيجعلهم أئمةً، ويجعلهم الوارثين، وإنما يستحقُّ الإمامة، والاشتغال بالهداية الذين صبروا، وكانوا بآياته يوقنون.

كما أرشدنا إلى الاستعانة على الذكر والشكر بالصلاة، فإن ذكر الله بالصلاة مقصدٌ أكبرُ من مقصد نَهْيِها عن الفحشاء والمنكر، كما أن الصلاة من الشكر العملي الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾

[سبأ: ١٣]، ومن المعلوم أن النبيَّ ﷺ كان إذا حَزَبَه أمرٌ فَزِعَ إلى الصلاة، وكان يقول: «أَرِحْنا بها يا بلال»؛ أيْ حين يؤذِّن لها بصوته الجَهْوَرِيِّ النديِّ.

۞ وإنه لمن المفيد أن أعرِّج على معنى الآية (١٥٣) في سياقها، حيثُ جاءت بين يدي الحديث عن الشهداءِ الأربعةَ عشرَ الذين ارتقَوْا يوم بدر، وقد نهانا الله تبارك وتعالى عن وصفهم بالأموات، مؤكداً أنهم أحياءٌ، ولكنْ لا تشعرون بِكُنْهِ تلك الحياة، فقد استأثر الله بعلمها، وحَسْبُنا أن نؤمن أن خالق الموت والحياة يخبرنا أنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون.

ولعل السرَّ في هذا الترتيب أنه كما نستعين بالصبر والصلاة على ذكر الله وشكره نستعين بهما على أعباء القتال والشهادة في سبيل الله، تلك التي جاءت تطبيقاً عملياً على يمين الله بحتمية الابتلاء بشيءٍ من الخوف والجوع، ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات، حتى يعلم الذين جاهدوا منكم، ويعلم الصابرين القائلين عند المصيبة: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، فيشكركم الله على ذلك بالصلوات، والرحمة، ويزيدهم من فضله بالشهادة لهم بالهداية، والذين اهتدَوْا زادهم هُدىً، وآتاهم تقواهم، ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً، والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربِّك ثواباً، وخيرٌ مَرَدَّاً.

وإنه لمن المفيد أيضاً أن أشير إلى أن الأمر بالذكر والشكر، وعدم الكفر قد جاء بعد قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] ليجيء الأمر بالذكر والشكر في مقابل هذه النعمة الكبرى، نعمة إرسال رسولٍ منكم فيكم يتلو عليكم آياتِ ربكم، ويزكّيهم بالإيمان والعمل الصالح، ويهديكم إلى الشريعة والمنهاج الرباني، أو الدستور والقانون الإلهي، ويعلِّمكم أشياءَ كثيرةً لم تكونوا لتعلموها؛ لولا إرسال الرسول، خاصةً وأن الله عزوجل قد نزَّل عليه الكتاب تِبْياناً لكلِّ شيءٍ، وكلَّ شيءٍ فصَّله تفصيلاً، وما فرَّط في الكتاب من شيءٍ؛ ذلك أن كثيراً من العلوم التي اكتشفها الناس بجهدٍ ضخمٍ من البحث والتحليل، فعرفوا بها ظاهراً من الحياة الدنيا؛ كان القرآن قد أراحهم من عناء ذلك؛ لو أخذوا الكتاب بقوةٍ، وذكروا ما فيه؛ غير أنهم قد اتخذوا

هذا القرآن مهجوراً، واتخذوه وراءهم ظِهْرِيًّا، فكانت معيشتهم ضَنْكًا، وإنْ أراحوا أبدانهم بالحضارة المادية التي أغفلتْ حظَّ الروح، وركضتْ وراء المتاع البهيمي للبدن، مع أن السعادة الحقيقية إنما هي في القلوب التي في الصدور، صدور أولئك الذين يحبُّهم الله ويحبونه، ورضي الله عنهم ورضوا عنه، فكأنما حِيزَتْ لأحدهم الدنيا بحذافيرها، حتى لو لم يكن عنده منها إلا قُوتُ يومه، ما دام آمناً في سِرْبه، مُعافىً في بدنه.



وفي إطار التدبر الواجب فإنه من اللازم الاجتهاد في تنزيل تلك الفهوم والعلوم على الواقع؛ ليكون القرآن نوراً نمشي به في الناس؛ ذلك أننا اليوم في أُتُونِ الابتلاء بالبأساء، والضراء، والزلزلة التي يقول معها أكثر الناس: متى نَصْرُ الله؟!، فاليهود ماضون في تهويد فلسطين، وقد أعانهم عليها قومٌ آخرون من المحسوبين على جِلْدَتِنا الفلسطينية، أو قوميتنا العربية، أو هُوَيَّتِنا الإسلامية ولاءً ونُصرةً، أو تطبيعاً وعمالةً؛ بل تعاوناً أمنياً وخيانةً، فقد تجهَّمنا البعيد والقريب، وَمَلَك كثيراً من أمور حياتنا الرُّوَيْبِضات؛ إذا أحسَّنا الظنَّ فيهم، أو يهودٌ مدسوسون على هويتنا، فهم يتكلمون بألسنتنا، وقد يلبسون لنا جلود الضأن، ولكنهم ذئابٌ لا يألونكم خبالاً، وَدُّوا ما عَنِتُّم، قد بدتِ البغضاء من أفواههم، وما تُخفي صدورهم أكبر، وإذا خَلَوْا عَضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ، وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم؛ إنما نحن مستهزئون.

ما أحوجَنا أن نستعين عليهم بالله، وعلى جهادهم بالصبر والصلاة، وبذكر الله وشكره؛ لِيَذْكُرَنا الله عز وجل بولايته ومعيَّته، وليكافِئَنا بصلواته، ورحماته، وبأخرى تحبونها؛ نصرٌ من الله، وفتحٌ قريب، وبَشِّرِ المؤمنين الصابرين الذين يقولون كالحواريين: نحن أنصار الله، فيؤيدنا الله على عدوِّنا، وتصبحون ظاهرين.

والله تعالى أعلم.



معجزة تمايز القرآن عن الحديث

عبد الله الطبلوهي

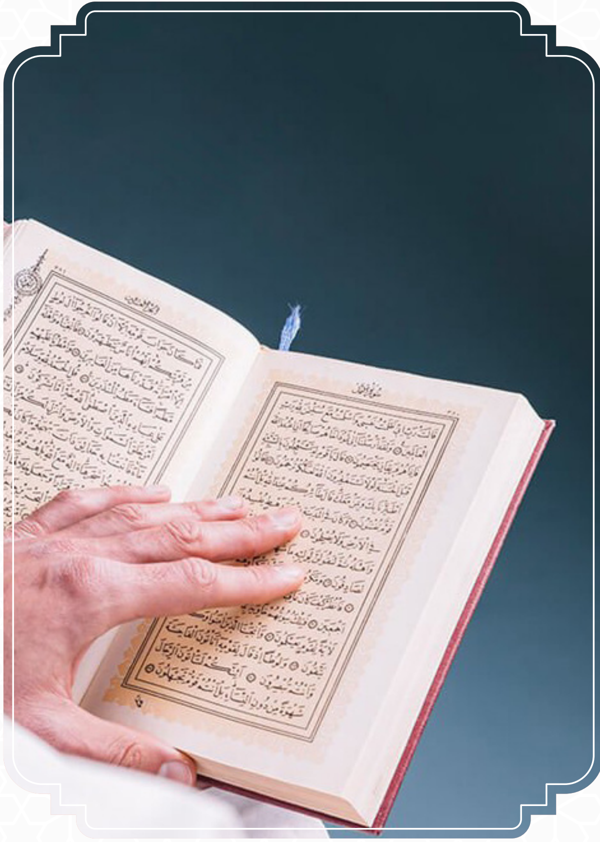
باحث شرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛ فإن من إعجاز القرآن الكريم أن وجوه إعجازه لا يحصيها بشر، وأنه كلما ازدادت البشرية فيه تأملاً ازداد ظهور آيات إعجازه؛ فعجائبه لا تنتهي وأسراره لا يحصيها إلا الله تعالى.

ومن وجوه الإعجاز تمايز القرآن الكريم عن الحديث النبوي الشريف، ويمكن توضيح ذلك كما يلي.

١. معنى تمايز القرآن عن الحديث

القرآن الكريم كلام الله جل وعلا أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ وأمره بتبليغه وجعله آية معجزة تدل على صدق النبوة، تحدى به العرب والعجم والإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله، فظهر عجزهم أجمعين عن ذلك.



أما الحديث النبوي الشريف فهو بالعموم كلام النبي ﷺ يبلغ به معاني الشريعة التي أمره الله جل وعلا بتبليغها، وهو أفصح كلام بشري، ولكنه في نظمه ليس معجزة للتحدي، والفروقات بينه وبين القرآن الكريم كثيرة يظهر فيها تمايز القرآن عن الحديث النبوي وعن كل كلام بشري، رغم أن الكلامين «القرآن والسنة» قالهما النبي ﷺ، ولكنه في القرآن الكريم كان مبلغاً للفظه ومعناه على وجه التحدي، أما السنة فهي أداء للمعنى بلفظ بشري كريم.

يقول الباقلاني مبيناً طريقة التأمل في تمايز القرآن عن السنة: «أن تنظر أولاً في نظم القرآن، ثم في شيء من كلام النبي ﷺ، فتعرف الفصل بين النظمين، والفرق بين الكلامين... إن كان لك في الصنعة حظ، أو كان لك في هذا المعنى حس، أو كنت تضرب في الأدب بسهم، أو في العربية بقسط، وإن قلَّ ذلك السهم أو نقص ذلك النصيب، فما أحسب أنه يشتبه عليك الفرق بين براعة القرآن وبين ما نسخناه لك من كلام الرسول ﷺ في خطبه ورسائله، وما عساك تسمعه من كلامه، ويتساقط إليك من ألفاظه، وأقدر أنك

ترى بين الكلامين بوناً بعيداً، وأمداً مديداً، وميداناً واسعاً، ومكانا شاسعاً... فإذا أردت زيادة في التبين وتقدماً في التعرف، وإشرافاً على الجلية وفوزاً بمحكم القضية، فتأمل هداك الله ما ننسخه لك من خطب الصحابة والبلغاء، لتعلم أن نسجها ونسج ما نقلنا من خطب النبي ﷺ واحد، وسبكها سبك غير مختلف، وإنما يقع بين كلامه وكلام غيره ما يقع من التفاوت بين كلام الفصيحين، وبين شعر الشاعرين، وذلك أمر له مقدار معروف، وحد ينتهي إليه مضبوط»[١].



٠٢ الإعجاز في تمايز القرآن عن الحديث

إن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما نوعان من الكلام صدرا من شخص واحد هو النبي ﷺ على مدار بضع وعشرين سنة، ومع ذلك تمايز أحد نوعي الكلام وهو القرآن الكريم عن النوع الآخر وهو الحديث الشريف تمايزاً واضحاً جلياً، بحيث يظهر الفرق بينهما بوضوح، وتظهر خصوصية القرآن الكريم التامة عن الحديث النبوي الشريف؛ فهو مباين لكلام كل البشر بمن فيهم المبلغ ﷺ.

«فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحمًا بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين...

---

٠١ كتاب إعجاز القرآن، للباقلاني.



كل من يرى بعينين أو يسمع بأذنين إذا وضع القرآن بإزاء غير القرآن في كفتي ميزان، ثم نظر بإحدى عينيه أو استمع بإحدى أذنيه إلى أسلوب القرآن، وبالأخرى إلى أسلوب الحديث النبوي وأساليب سائر الناس، وكان قد رزق حظاً ما من الحاسة البيانية والذوق اللغوي فإنه لا محالة سيؤمن معنا بهذه الحقيقة الجلية، وهي أن أسلوب القرآن لا يدانيه شيء من هذه الأساليب كلها، ونحسب أنه بعد الإيمان بهذه الحقيقة لن يسعه إلا الإيمان بتاليتها... ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][٢].

وعن دلالة هذا التمايز يقول الدكتور مصطفى الزرقا:

«الفرق عظيم جداً بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن في طريقة البيان العربي؛ فبينهما شقة واسعة لا يشبه أحدهما الآخر لدى أهل البصر باللغة وأساليبها، وبالمأثور المألوف من بيانها قديمه وحديثه.

وإن هذا التفاوت الكبير في الأسلوبين إذا أنعم الإنسان فيه النظر وكان ذا ملكة بيانية، لا يترك لديه مجالاً للشك والريبة في أن الحديث النبوي والقرآن صادران عن مصدرين مختلفين..

أما الحديث النبوي فأسلوبه يختلف كل الاختلاف عن أسلوب القرآن، ويمكن أن يشتبه أسلوبه بأساليب البُلغاء، ولذلك كثيراً ما توضع الأحاديث كذباً على لسان رسول الله ﷺ من حيث لفظها ومعناها على السامع العادي...

---

٢. كتاب النبأ العظيم - للدكتور محمد دراز.

ومن المسلَّم به لدى أهل البصر الأدبي أنه من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له أسلوبان في بيانه، يختلفان اختلافاً كبيراً أحدهما عن الآخر، ويجري كل منهما في ذاته على نسق متشابه لا يختلف في درجة بلاغته وطريقته، ويختلف عن أسلوبه الآخر اختلافاً كلياً، فهذا مما لم يعهد في التاريخ الأدبي المعروف..

إذا تقصينا الموضوعات والمعاني التي وردت في القرآن وفي الحديث معاً، نجد بينهما في الأسلوب العربي هذا البون الكبير الذي يجزم معه كل ذي بصر وإنصاف أن شخصاً لا يمكن أن يصدر عنه هذان الأسلوبان معاً، ولكل منهما طابعه الخاص البعيد كل البعد عن الآخر، وكل منهما في ذاته وفي جميع أمثلته ونصوصه متشابه لا يختلف، بل يجري على غرار واحد، فيحافظ على طريقته المتميزة، وعلى اختلافه عن غيره ذلك الاختلاف الكبير»[٣].

٠٣ وجوه تمايز القرآن عن الحديث

لقد تعددت وجوه تمايز القرآن الكريم عن الحديث النبوي الشريف وهو تعدد لا يمكن إحصاؤه؛ فالفتوحات الربانية تتنزل على العلماء جيلاً بعد جيل، تريهم بعض آياته سبحانه وتنبههم إلى معانٍ رائقة ومعارف عليَّة، وفضل الله واسع عميم، ولذا فهذه إشارة موجزة إلى بعض وجوه هذا التمايز، وهي وجوه تندرج تحتها كثير من المقارنات والأمثلة.

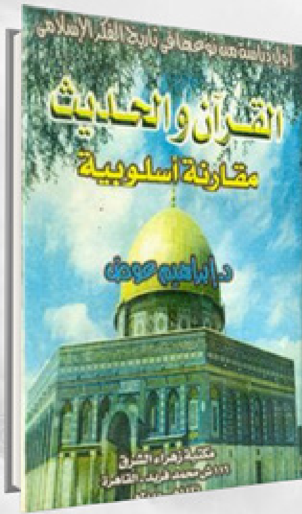
أ - تمايز الأسلوب

إن نظم القرآن الكريم متميز عن غيره من الكلام، ومنه كلام النبي ﷺ، وبقليل من الملاحظة نجد من هذا التمايز:

---

٣. مقالة: مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم، للدكتور مصطفى أحمد الزرقا، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول.

التمايز في الكلمة: فمثلاً إذا نظرنا إلى الكلمات القرآنية لوجدنا أن كثيراً من الكلمات ترد أو تتكرر في القرآن الكريم ولا ترد في الحديث، أو ترد وتتكرر في الحديث ولا ترد في القرآن، وهذا دليل تمايز الوحيين عن بعضهما، فـ: «المفروض لو أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة مصدرهما واحد، أن تكون الألفاظ المهمة المنتشرة في أحدهما موجودة بنفس الوفرة تقريباً في الآخر، ما دام العصر الذي ينتميان إليه واحداً، والبيئة هي نفس البيئة والظروف الاجتماعية والمهاد العقلي والنفسي هما هما، وما دامت الموضوعات التي يعالجانها واحدة وليس من فاصل زمني بينهما»[٤].



فهناك كلمات قرآنية كثيرة جداً لا تكاد توجد في الحديث، وهذه أمثلة يسيرة جداً منها: الفلق - الخناس - الغاشية - الحاقة - يؤوده - جِيدها - ولأمنينهم - فليبتكن - فانبجست - باخع - باسقات - لَيُبطئن - تبيد - تفهم - فثبَّطهم - ثُباتٍ - جَذوة - جفان - يجمحون - فجَاسوا - مذءوما...

وهناك كلمات حديثية كثيرة جداً لا تكاد توجد في القرآن، فـ«نجد أن هناك ألفاظاً تتكرر كثيراً في الأحاديث النبوية، فإذا ذهبت تبحث عنها في القرآن لم تجد شيئاً، مثل الزبد والجبن والنبيذ والبُسْر والدقيق والسمن والتمر والفَطُور والعَشَاء والسَّحُور والشبع والرِّيّ والرداء والإزار والبُرْد والبرنس والمُشْط والكحل والطيب والخضاب، وكل أيام الأسبوع ما عدا السبت والجمعة، وكل الشهور ما عدا رمضان، وكل فصول السنة، وكذلك المقاييس كالذراع والشبر والباع والفرسخ، والموازين كالأوقية والرطل، والمكاييل كالصاع والمُدّ والقدح، والبادية والفلاة والصحراء والرمال والتلال، والحسب والنسب، والعِرْض والشرف، والجيش

---

٤. كتاب القرآن والحديث مقارنة أسلوبية - للدكتور إبراهيم عوض.



والسرية والقوس والسهم والسيف والنبال والنية والتشهد والخطبة والأمير والبأس والتميمة والحُمَّى والخادم والداء والدواء والرُّقْية والعُرْس والشبهة والحُجّة والمَظْلَمَة والعافية والغش»[٥].

التمايز في الجملة: لو نظرنا للجملة التي تعبر عن المعنى في القرآن الكريم وعن الجملة التي تعبر عن معنى قريب منها في السنة النبوية لوجدنا الفرق الكبير بينهما، يقول الدكتور الزرقا:

«فلو أننا أخذنا من القرآن آيات، ومن الحديث النبوي أحاديث في موضوع تلك الآيات نفسه، لرأينا بهذه المقارنة من اختلاف الأسلوبين الحاكم باختلاف المصدر ما فيه البرهان الكافي، فلنأخذ مثلاً قول الحق جل وعلا في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ولننظر مقابله في المعنى نفسه قول النبي ﷺ: «لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

ولنأخذ مثلاً في موضوع الإخاء في الدين قول الله العظيم في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] ولننظر مقابله في نفس المعنى قول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه».

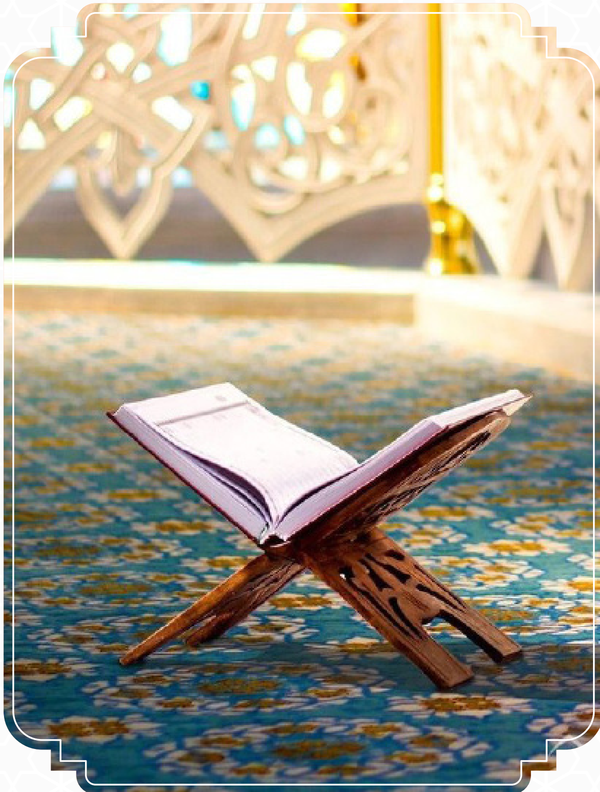
---

٥. مقالة: مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم، للدكتور مصطفى أحمد الزرقا، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول.

ولنأخذ أيضاً قول الله سبحانه في ارتباط صلاح الحياة الاجتماعية بنظام العقوبة على الجنايات: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] ولننظر في مقابله قول النبي ﷺ: «إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحاً»[٦].

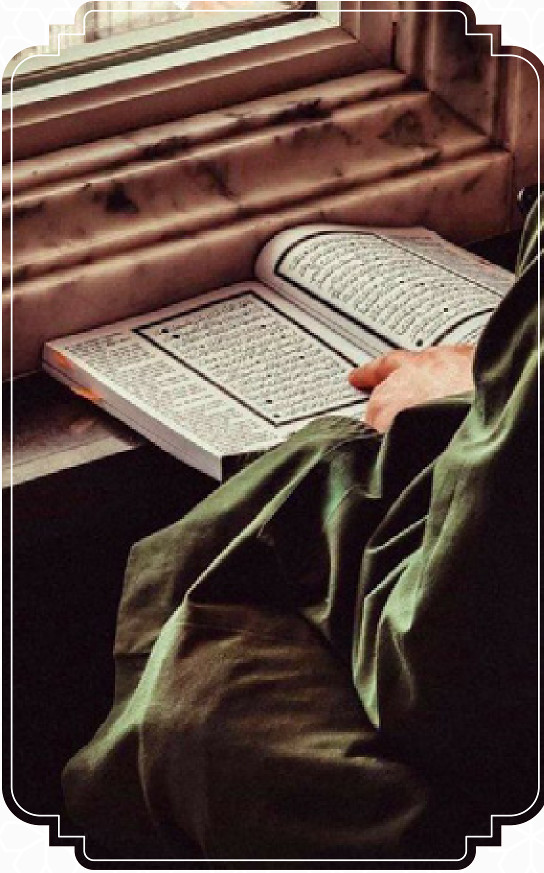
وإذا نظرنا إلى الجمل القرآنية لوجدنا أن كثيراً من تراكيبها ترد أو تتكرر في القرآن الكريم ولا ترد في الحديث، أو ترد وتتكرر في الحديث ولا ترد في القرآن، وهذا دليل كذلك على تمايز الوحيين عن بعضهما، ففي القرآن: «صرّفنا الآيات»، «نفصّل الآيات»، «ومن آياته أن...»، «إنّ في ذلك لآية/ لآياتٍ..»، « كذلك يبين الله..»، « كذّب بآياته»، « كذّبوا بآياتنا»، «بآيات ربّهم»، «فأنّى تؤفكون»، «تتلى عليهم آياتنا»، «يجادل في الله»، «جنات تجري من تحتها الأنهار».

وفي مقابل ما سبق هناك تعابير خاصة بالحديث، مثل: «بادِروا»، «بُعِثتُ»، «ما بال»، «حق الكذا.. على الكذا»، «رحم الله فلاناً»، «رَغِمَ أنفُ»، «من سرّه (أن)... (فلـ...)»، «ألا أعلمك»، «أفضل الكذا... كذا، مثل: أفضل الأعمال... الصلاة لوقتها»، «كفى بـ أن...، مثل: كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع / يضيع من يقوت»، «ما من + اسم نكرة + نعت جملة في معنى الشرط غالباً + إلا + فعل، مثل: ما من مكلوم يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكَلمُه يدمَى».



٦. مقالة عباس عبد النور: محنته مع القرآن أم مع عقله؟ للدكتور إبراهيم عوض، منشورة على ملتقى أهل التفسير.

وأسلوب «ألا...» لوحظ وروده في الحديث وبعد «ألا» فيه الواو، مثل: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور»، و «ألا وإن لكل ملك حمى» والمقابل لذلك في القرآن الكريم نحو أربعين مرة لـ «ألا» لم ترد بعدها الواو قط.



و«أما» الاستفتاحية وردت في الحديث ولم ترد في القرآن، ومثل ذلك التحذير بـ «إيّا» لم يرد في القرآن وورد في الحديث كثيراً، مثل: «إياكم والجلوسَ بالطرقات»، «إياكم والظن»...[٧].

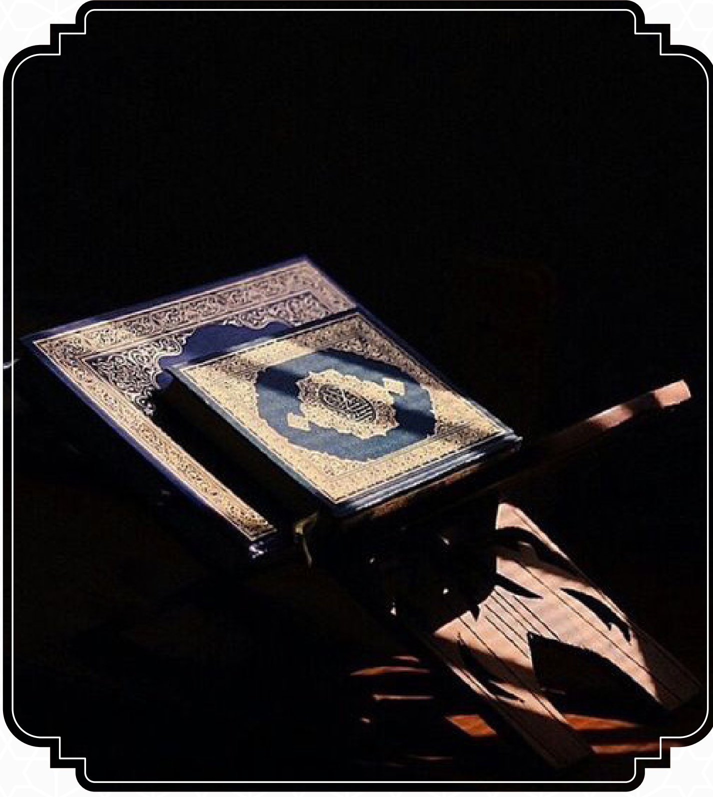
ويدخل في التمايز في الأساليب أنه يكثر في القرآن الكريم تنويع المواضيع والربط بينها فتكون سور القرآن الكريم بشكل عام فيها طول مقارنة بالأحاديث، بينما تكثر في السنة النبوية الوحدة الموضوعية، فتكون الأحاديث النبوية بشكل عام قصيرة مقارنة بالقرآن.

بل إن تنويع المواضيع في القرآن كثيراً ما يوجد في الآية الواحدة، «وتأمل سر تلوين الأسلوب في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] فقد أبرز هذا التلوين العناية بكل واحد مما أمروا به على حدة؛ فاتجه أمر الرب إلى القسط وحده، ثم أمروا أمراً جديداً بأن يقيموا وجوههم عند كل مسجد، وأمراً جديداً آخر بأن يدعوه مخلصين له الدين، وفي ذلك من العناية بتوكيد كل أمر ما فيه، ولم يجعل أحد هذه الأمور ملحقاً بصاحبه»[٨].

---

٧. هذه الأمثلة اختصرها الدكتور عبد السلام حامد في كتابه: رؤى جديدة في دراسة أسلوب القرآن الكريم، من كتاب الدكتور إبراهيم عوض: القرآن والحديث مقارنة أسلوبية.

٨. كتاب: من بلاغة القرآن، لأحمد البيلي.



ومع طول سور القرآن مقارنة بالأحاديث النبوية، فإنه تكثر الفاصلة القرآنية التي تماثل في أواخر حروفها أو تتقارب وتتكرر في السورة تكراراً يؤذن بأن هذا التقارب مقصود من النظم، ووجود مثل هذه الفاصلة في السُّنة قليل مقارنةً بالقرآن، فمثلاً تنتهي جميع آيات سورة القمر الخمسة وخمسون آية بحرف الراء «القمر - مستمر - مستقر - مزدجر - النذر - نكر - منتشر - عسر...».

وإن تتبع أساليب القرآن مثلاً في: التوكيد والتكرير والتقديم والتأخير والذكر والحذف والتنكير والتعريف والقصر والاستفهام والأمر والنهي والنداء والقسم والفصل والوصل والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض... يظهر التمايز الجلي بين القرآن الكريم كلام الله جل وعلا وكلام غيره.

ب - تمايز القضايا

يتناول القرآن الكريم كثيراً من مسائل العقيدة والشريعة، ولكن القدر الأكبر متعلق بأركان الإيمان كتقرير الإيمان بالله جل وعلا وأسمائه وصفاته، ودحض اعتراضات المشركين، وتأكيد نبوة النبي ﷺ، وذكر قصص الأنبياء والمرسلين، والتحذير من الشيطان ومكره، والحديث عن اليوم الآخر وما فيه من جنة ونار... أما الحديث عن الأحكام الشرعية، فقد قدر بعض العلماء أن الآيات الصريحة في الأحكام قرابة خمسمائة آية، أي قرابة ثمانية في المائة من آيات القرآن الكريم.

بينما لو تأملنا في الحديث الشريف ونظرنا في صحيح البخاري مثلاً لوجدنا أن أكثر الأحاديث تتعلق بالأحكام لا أركان الإيمان، فمجموع أحاديث البخاري قرابة سبعة آلاف وخمسمائة وثلاثة وستون حديثاً، منها قرابة خمسة آلاف حديث في الأحكام، أي أن قرابة الثلثين من أحاديث صحيح البخاري هي في الأحكام.

ولذلك فإننا نجد في القرآن الكريم تفاصيل لا نجدها في السنة عن كثير من قصص الأنبياء كنوح وإبراهيم ويوسف وموسى وعيسى عليهم السلام، ونجد في السنة تفاصيل لا نجدها في القرآن عن كثير من أحكام الطهارة والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج.

ج - تمايز الحفظ

وعد الله جل وعلا بحفظ القرآن الكريم، قال جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فسخر الله جل وعلا الأمة تنقل القرآن بالتواتر جيلاً بعد جيل؛ فحفظ القرآن بجمله وكلماته وحروفه وحركاته وتجويده، أما السنة النبوية فرغم الجهود العظيمة التي بذلها علماء الأمة في حفظ السنة ونقلها في ظاهرة لا تعرف لها البشرية مثيلاً من قبل ولا من بعد، إلا أن ذلك الحفظ لا يماثل حفظ القرآن، ومن تأمل في رواية الحديث بالمعنى وجد أن جل الأحاديث الصحيحة تُروى بألفاظ تضبط المعنى وتتصرف نوع تصرف في اللفظ.



فيوجد في روايات الحديث الواحد تقديم أو تأخير أو اختصار أو تبديل لفظ بلفظ يقاربه، أو ما شابه ذلك؛ فمثلاً إذا نظرنا إلى حديث من أشهر الأحاديث في كتاب من أشهر الكتب، وهو حديث «إنما الأعمال بالنيات» في صحيح البخاري، لوجدنا أن البخاري رحمه الله رواه بألفاظ عدة

منها: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى..»، «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..»، «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِامْرِئٍ مَا نَوَى..»، «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ..»، «العَمَلُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى..»، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى..»، فهذه ستة ألفاظ متعددة لمقدمة حديث، من أشهر الأحاديث، في كتاب واحد من أصح الكتب، مما يؤكد أن القرآن تمايز في حفظه عن الحديث الشريف.

يضاف إلى ذلك أن نقل القرآن عبر الأجيال بهذا الضبط التام، كان حفظاً في الصدور والسطور بالتواتر بلا كبير حاجة لتتبع أسماء القراء وأحوالهم، أما الحديث النبوي الشريف فاحتاج إلى جهد عظيم جداً في معرفة أسماء الرواة وأحوالهم وأحوال مروياتهم.

د - تمايز الأثر النفسي

للقرآن الكريم أثر نفسي بالغ يميزه عن الحديث الشريف وعن كل كلام بشري، فالروحانيات التي يعيشها قارئ القرآن، والحلاوة التي يستشعرها مستمع الذكر الحكيم، لا يوجد مثلها عند قراءة أو سماع الحديث النبوي الشريف، وإن العبد الصالح -ولو كان أعجمياً لا يفهم معاني الكلام العربي- قد يداوم على قراءة القرآن في عمره فيختم قراءته مئات المرات أو آلاف المرات مستشعراً في كل مرة من الجمال والجلال ما يعجز الكلام البشري عن وصفه بدقة، أما الحديث النبوي الشريف فرغم ما فيه من أنوار فإن قراءته لا تبلغ بالنفس هذا الأثر العظيم.

ويدخل في ذلك تمايز الأداء القرآني بالتغني بقراءة القرآن بطريقة تجمع بين تحسين الصوت، وجمال التجويد، وبلاغة الألفاظ، وعمق المعاني، وروحانية التلاوة، وأنوار الهداية، مما يجعل تلاوة القرآن الكريم عبادة ظاهرة التميز عن تلاوة الحديث النبوي الشريف أو غيره من كلام البشر.

وختاماً: فإن البحث عن تمايز القرآن الكريم عن الحديث النبوي الشريف ووجوهه وصوره، وكذا البحث عن تمايز الحديث النبوي الشريف عن سائر الكلام البشري، يحتاج إلى تضافر جهود بحثية عميقة، أسأل الله أن يختار لذلك من يوفقهم لخدمة هذه المسألة العظيمة، والحمد لله رب العالمين.

خاطرةٌ

في أحسن الكتب في التفسير



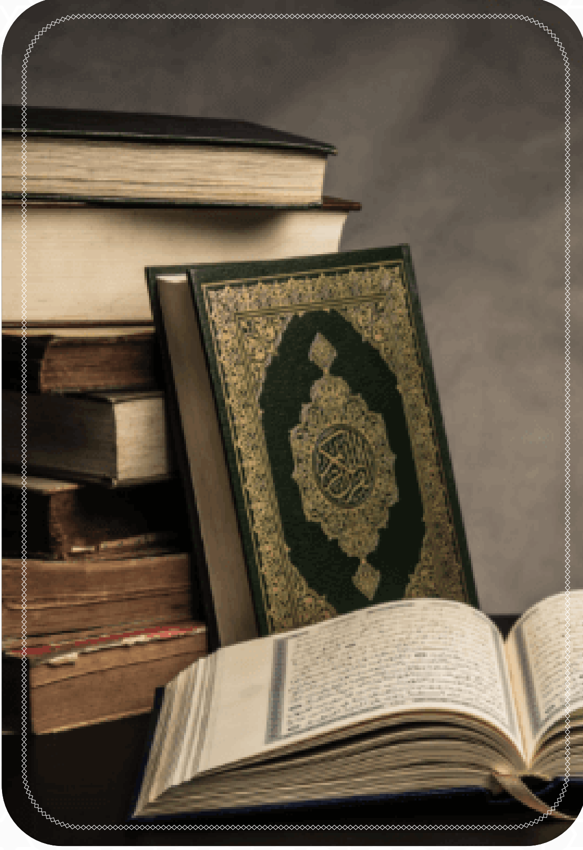
الشيخ محمد بن محمد الأسطل

باحث في العلوم الشرعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد:

فمع حلول شهر رمضان من كلِّ عامٍ يقفز على السطح ملف التنظير لمركزية تدبر القرآن الكريم في التكوين التربوي والإيماني؛ وذلك أنَّ أعظم خصائص رمضان أنه الشهرُ الذي أُنزِلَ فيه القرآن، وأن مقصود القرآن هو التدبر كما قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وإذا استحضرنا أن مادة التدبر عند أهل اللغة تدور حول النظر في عواقب الأمور والتفكر في أدبارها وما تؤول إليه.. فإنَّه يمكن القول: إنَّ التدبر هو التفكر الشامل الموصل إلى دلالات الكلام وإدراك مراميه البعيدة.



وهذا يعني أنَّ عملية التدبر بمثابة اكتشاف ما بالنص القرآني من معانٍ مستكنَّةٍ فيه وإخراج ما فيه من مختلف الدلالات التي لا تظهر بادي الرأي.

وهذا التصور يفرض على المتدبر أن يدخل من بوابة التفسير؛ لتكون الأرضية التي يمشي عليها أرضيةً صحيحة، فلا يذهب بفكره مذاهب بعيدة.

ومن هنا تُعرف القيمة العلمية للتفسير المأثور؛ فإنَّ مجموع أقوال السلف في آيةٍ يمثل المسارات التي يمكن أن يخطها المتدبر فيما بعد؛ ليكتشف أسرار القرآن في ظلالها، وما لم يكن ما يخرج به من عملية التدبر ضمن هذه المسارات فلا بد أن يُقيَّد بالضوابط العامة للاستنباط، وهي مبثوثةٌ في كتب أصول التفسير وقواعده.

إذن آل موضوع التدبر إلى فتح ملف القراءة في كتب التفاسير أولًا، على أنَّ الرجلَ قد يُفتَحُ له بمعنىً صحيحٍ وإن لم يكن قارئًا للتفسير.

وأكثر الناس زاهدون في القراءة في كتب التفسير، لكنهم في نفس الوقت مولعون بالسؤال عن أحسنها، وهنا جوابٌ عن ذلك إن شاء الله.

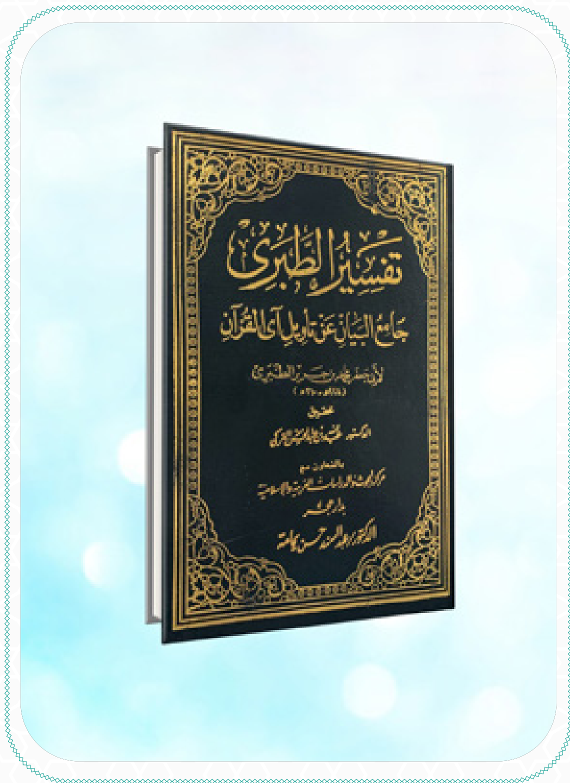
وقبل الشروع في ذلك أحب أن يُعلم أنَّ القرآن بتفسيره لا يبني الإيمان في صدرك الإيمان الكامل إلا بتوافر أمورٍ منها الثلاثة الآتية:

أولًا: أن تعلم أن القرآن هو أعظم أعمدة بناء الإيمان، وأنه المادة التي تولت تربية الصحابة لبنةً لبنة، حتى صاروا أئمة للعالمين، وأنه شفاءٌ لأمراض الجماعة كما هو شفاءٌ لأمراض الفرد، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

ثانيًا: أن تجعل تركيزك في متن القرآن نفسه وأنت تقرأ في كتب التفسير، بحيث تقدر أن تتلو الصفحة مفسَّرة في ذهنك عقب الانتهاء من قراءة القطعة من كتب التفسير، وتستشعر أن الله تعالى يخاطبك بالقرآن خطابه للجيل الأول الذي نزل فيه.

وذلك أنَّ الله تعالى أرسله نبيه ﷺ للناس كافة، وأنزل عليه القرآن ليخاطب به هذه الأمة على امتداد أجيالها، كما قال سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

والمعنى: أنَّ الله تعالى أنزل هذا القرآن عن طريق وحيه الصادق لأنذركم به يا أهل مكة ولأنذر به جميع من بلغه هذا الكتاب، ووصلت إليه دعوته من العرب والعجم في كل زمانٍ ومكانٍ إلى يوم القيامة، فمن بلغه القرآن فكأنَّما رأى النبيَّ ﷺ[١].



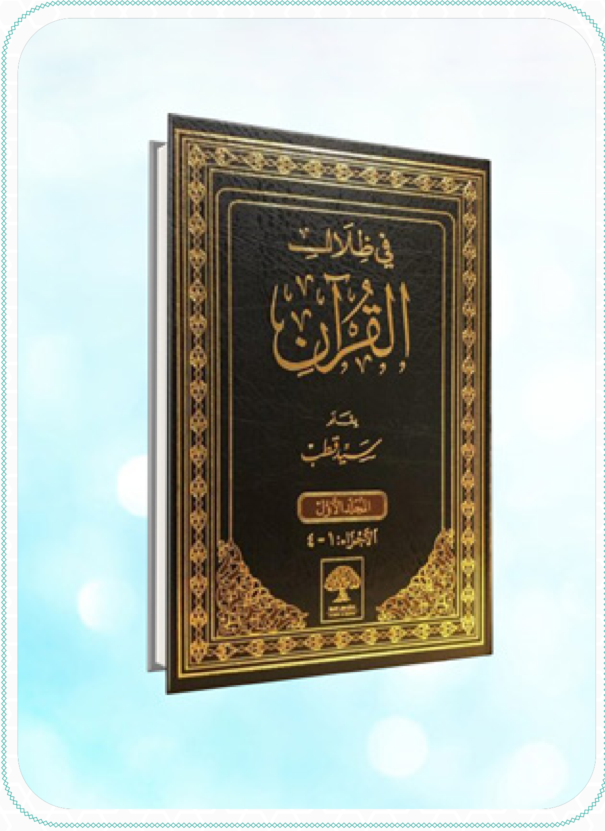
ثالثًا: أن تقرأ القرآن وتفسيره قراءةَ استهداءٍ به، فتربي نفسك من خلاله مع الأيام والليالي، فليس القصد هنا طلب العلم فقط، وإنما تزكية النفس وإصلاح القلب وفهم الشريعة والتعرف على الله تعالى والعلم به وبأمره سبحانه.

١. تفسير الطبري (١١/٢٩١)، الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (٥/٥٢-٥٣).

ومن علامة الفقه عندك: أنه كلما نزل بك نازلةٌ أو شكوت داءً.. قصدت القرآن أولًا، وبقيت تطلب الدواء فيه، فتأخذ تقرأ وعقلُكَ مسكونٌ بهاجس البحث عن الدواء الذي تريد وحينئذٍ ينكشف لك من المعاني ما لا ينكشف لغيرك كما قال الجصاص: «القرآن لا تتفق معانيه إلا لمن يعانيه».

وبهذه الأمور الثلاثة تدرك بجلاءٍ ووضوحٍ أنَّ القرآن الكريم هو أعظم كتب التربية على الإطلاق، وأنه الذي يتولى الصعود بك من حيث تقف في السفح لتصل إلى القمة كما أخذ الصحابة من قبل، حتى صيَّرهم أئمةً للعالمين، فكانوا خيرَ جيلٍ بشريٍّ على الإطلاق، فكانوا رجال الإسلام وعمالقته الكبار.

وأكثر التفاسير التي تركز على هذا المعنى وتتلمسه أثناء التفسير تفسيرُ الظلال لسيد قطب، ولو قصرت همتك عن قراءته لطوله.. فاقرأ المقدمة وتفسير سورتي الفاتحة والبقرة، وتفسير آيات غزوة أحد من سورة آل عمران، والتي تبدأ من الآية (١٢١).



إذا علمتَ هذا ووعيته فلنلو القلم إلى السؤال الذي طُرح أولًا:

ما أحسن كتب التفاسير؟

وبشكلٍ أوضح:

ما الكتاب الذي أختاره لتحصيل النصاب المطلوب من فهم كلام الله تعالى؟

الحقيقة أنَّ التفسير يجري مجرى الفتوح من الله تعالى؛ فقلما تجد تفسيرًا إلا وتجد فتح الله على صاحبه في جانبٍ أو جوانب، والمتخصص يدرك أنه لا يكاد يغني كتابٌ عن كتاب.

لكن المقام هنا يُحتِّم اختيار رزمةٍ قليلةٍ من التفسير؛ بحيث تتضيق الخيارات فيسهل على من أراد اقتناء تفسيرٍ ألا يتيه بين كثرة التفاسير.

ومن هنا فإني أفتتح القول بقناعةٍ شخصيةٍ خلاصتها: أنَّ التفاسير المختصرة التي تقع عادةً على هامش المصحف لا يتحقق بها الغرض المطلوب من تربية النفس بالقرآن، فهي مِفتاحٌ ليس إلا، ويكاد أن تكون مِفتاحًا بغير أسنان، ومن الصعب أن تجعل القارئ يعيش في رحاب النص ومقاصده ومراميه؛ لشدة اختصارها ولبعدنا عن الكلام العربي الأول، فلا يُلتقط المعنى المقصود من الآيات على هذا الوجه بالغ الإيجاز.

وعلى هذا؛ فلا مندوحة إذن عن كتب التفاسير المتوسطة والمطولة لمن أراد أن يفهم المعنى على وجهٍ تامٍّ أو قريبٍ من التمام، ويمكن قصد الكتب المطولة ذات العبارة اليسيرة لتحصيل الغرض المذكور.

وأقرب التفاسير التي أراها تحقق هذا الغرض تفسير الوسيط للشيخين محمد سيد طنطاوي وأحمد الكومي، والمشهور بأنه للطنطاوي فقط.



وهذا التفسير يقع في خمسة عشر مجلدًا، لكنه سهل العبارة، وقد استعرض أمهات التفاسير وأهمها ويسَّر المقصود على وجهٍ حسنٍ بل بالغ الحسن.

ويقاربه لطلبة العلم «تفسير الطبري.. تقريبٌ وتهذيب» للشيخ د. صلاح الخالدي، ويقع في سبعة مجلدات من إصدار دار القلم والدار الشامية.

فإن كانت الرغبة في كتبٍ مختصرة على ما مرَّ من الملاحظة.. فالذي أنتخبه واحدًا من هذه التفاسير الثلاثة:



١ «المختصر في التفسير»، ومن حسناته أنه مركز العبارة، ومبنيٌّ على التفسير بالمأثور، وكُتِب بجهدٍ جماعي، وله عنايةٌ ما بمقاصد السور.

٢ «المعين في تدبر الكتاب المبين» للشيخ مجد مكي وفقه الله، ومن حسناته أنه تعمَّقَ شيئًا ما في دلالات النص، وله مسحةٌ بلاغيةٌ جيدة.

٣ «تفسير السعدي» وهو من التفاسير التي تعرض المعنى بشكلٍ إجمالي.

وهذه التفاسير الثلاثة تعرض خلاصة المعنى من غير عنايةٍ بالأقوال والتفاصيل.

فإن كان القارئ متخصصًا في التفسير أو العلوم الشرعية، ويريد أن يأخذ بحظٍّ حسنٍ منها.. فلا يخفى أنَّ كتب التفسير على اتجاهاتٍ مختلفة، والكتب التي حظيت بقبول العلماء كثيرة من أهمها:

١ تفسير المحرر الوجيز لابن عطية.

٢ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

٣ التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَي، وهذا التفسير مليءٌ بالكنوز وقد كُتِبَ على وجهٍ مختصر؛ فإنه يقع في مجلدين فقط.

٤ تفسير ابن كثير، ولأهميته كثرت عناية العلماء بتقريبه واختصاره، ولعلَّ أحسن مختصراته: عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

وقائمة التفاسير تطول وتطول وتطول، لكن ثمة أربعة تفاسير لا ينبغي أن تخلو منها مكتبة طالب علم، وما قصدتُّها يومًا إلا وخرجت منها بغنيمة:

١ **تفسير الطبري،** وهو تفسير بالمأثور وبالرأي، وهو أعظم كتب التفسير على الإطلاق، ويمكن الاكتفاء بتهذيبه للشيخ د. صلاح الخالدي مع الرجوع للأصل عند الحاجة.

٢ **تفسير الرازي،** وهو من أعظم التفاسير العقلية، والقارئ فيه يتجاوز موضوعات الكلام وما لا حاجة إليه، وهو تفسيرٌ حسن الترتيب، وزاخرٌ بالفوائد والدقائق.

٣ **تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور،** وهو كتابٌ لغوي بلاغي عظيم، ومن حسناته أنه معتنٍ بفك الإشكاليات التي تتبادر إلى الذهن، حتى لكأنك تشعر أنه يقرأ ما في عقلك من إشكالات ويجيب عنها على أبلغ وجهٍ.

٤ **تفسير الظلال لسيد قطب،** وهذا معتنٍ بالباب التربوي وتقرير الفكر العقدي ومن أعظم حسناته أنه يبرز شخصية كل سورة على حدة، ويبدأ بالعرض الموضوعي قبل أن يبدأ بتناول الآيات آيةً آية، وأنه يُدخلك جو الحدث حتى لكأنك تعيش بين الصحابة والقرآن يتنزل.

وأنبه في ختام هذه المقالة إلى أنَّ التدبر المنشود في رمضان هو تأمل المعاني إجمالًا لا تفصيلًا، أما الإيغال في حِكَم القرآن ومقاصده ولطائفه وأسراره وتحليل ألفاظه والتعمق في كتب تفاسيره.. فإنَّ كثرة التلاوة أفضل منه لفضيلة الوقت.

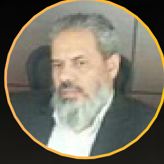
ولهذا يمكن أن يُتَّخذ رمضان فاتحة العناية بكتب التفاسير، فتلزم تفسيرًا وتفتتح القراءة فيه بما تيسر، وتواصل بعد رمضان إن شاء الله.

ولتحصيل أكبر قدرٍ من الاستفادة من التلاوة لصالح تحصيل المعاني أنصح بأن تستحضر قضيةً علميةً في كلِّ ختمةٍ قرآنية، تبقى كالهاجس في ذهنك، فعندئذٍ يتيسر لك أن ترى منهج القرآن في تقريرها، وتلتفت إلى فقهها، وتدرك أسرارها، وذلك كأن ترى منهج القرآن في عرض المنهج التربوي، أو الفقه الاجتماعي، أو الفكر السياسي، أو الدعاء أو الأخلاق أو فقه السنن، وغير ذلك، والله يفتح على من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والحمد لله رب العالمين.

هل القرآن من عند محمد ﷺ؟

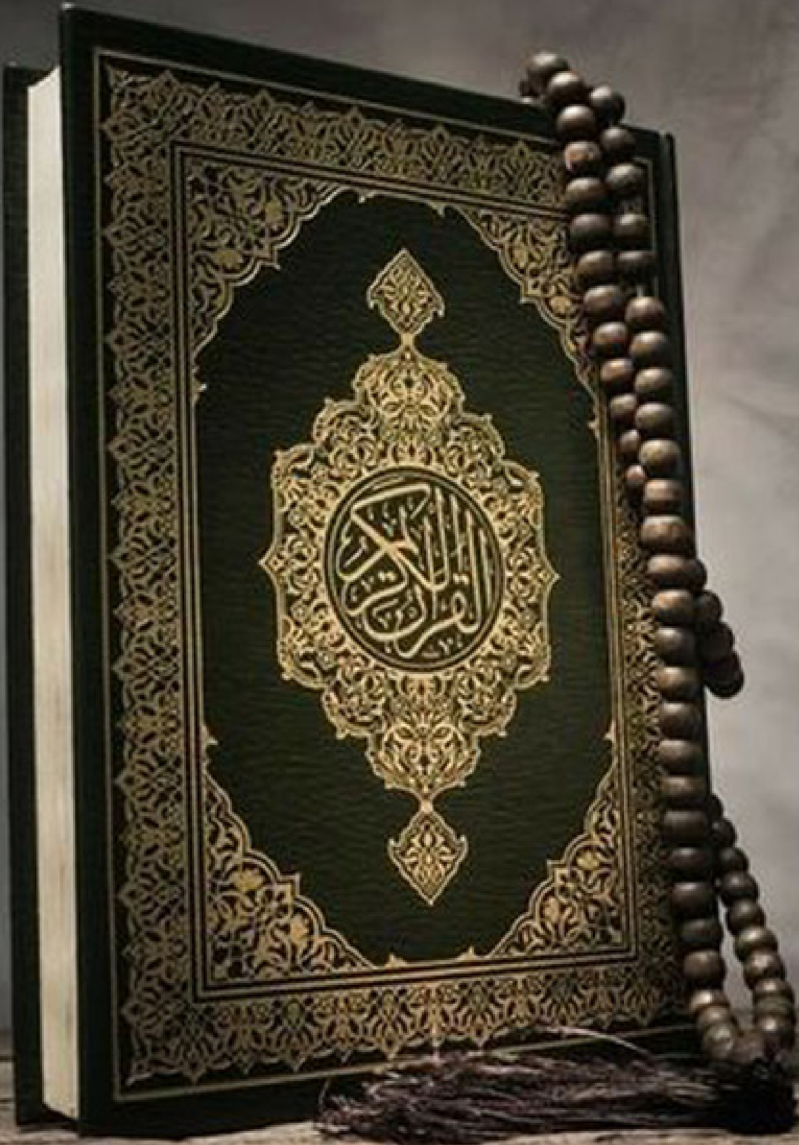




الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

النبي أو الرسول هو رجل مثلنا من البشر، فقط يميزه علينا أن الله سبحانه وتعالى تواصل معه عبر رسول من الملائكة، فأوحى إليه ما أوحى، من الرسالة أو النبوة، وأنزل عليه عبر هذا الرسول كتابًا أو ربما لم ينزل له كتاباً، وأيده بالمعجزات الدالة على صدق رسالته، حتى إذا ما شكك الناس في دعواه وطلبوا آية أو علامة على صدقه، أراهم تلك المعجزات الخارقة والتي لا يقدرون على أن يأتوا بمثلها.



ومحمد ﷺ جاء للناس يقول لهم إنه رسول الله إليهم، فقالوا كذبت ولابد من دليل. فقال آتيكم بمعجزة لا تستطيعون محاكاتها. فأتاهم بالقرآن وهم أهل الفصاحة والبيان، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله[١]، فقال لهم فأتوا بعشر سور فقط[٢]، فعجزوا عنها. فقال لهم: فأتوا بسورة واحدة[٣] فلم يستطيعوا، فقال لهم اجمعوا الإنس والجن معكم وأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك[٤].


قصص اسفنديار

ويأتي اليوم سفيه يقول إن القرآن ليس من الله، بل هو من عند محمد ﷺ! فنقول له خذ القرآن واقرأه واجمع من شئت معك وأتونا بسورة واحدة من مثله!

ثم أين النضر بن الحارث الذي كان يقول للناس: عندي أحسن مما عند محمد! ويجلس خلفه في المجالس يحكي للناس قصص (إسفنديار) وملوك فارس؟ ولماذا لم يكتب لنا قرآنًا آخر يريد به على قرآن محمد ﷺ لو كان النضر صادقًا؟!

هل ادَّعى محمد ﷺ النبوة؟

لماذا يدَّعِي الناس النبوة؟ سؤال بسيط والجواب أنهم يدَّعُون النبوة طلبًا للجاه أو المنصب (المُلك) أو المال مثلًا، والنبي محمد ﷺ عُرض عليه ذلك كله عن طريق عتبة بن ربيعة، مقابل أن يترك ما هو عليه فأبى.

---

١. ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]

٢. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]

٣. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]

٤. ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].



ومن قبل قال لعمه أبي طالب: « يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه.. ما تركته».

ثم مات ﷺ ولم يحُز شيئاً من ذلك، سوى ما حباه الله به من الجاه العظيم والمنزلة العالية في قلوب أصحابه وأتباعه إلى يوم القيامة، أما متاع الحياة الدنيا فلم يلتفت إليه، ولو أراده لكان تحت قدميه، فمثلًا لم يطلب المُلك بل كان يقول: «إنما أنا عبد». فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تُطْروني كما أَطرَت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[٥].

ولم يطلب الغِنى؛ بل مات فقيرًا راهنًا درعه عند يهودي؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « تُوفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»[٦].

ومع هذا كانت الأموال تحت يديه بما لا يحصى، ولكنه كان يفرقها هاهنا وهاهنا لمن يستحقونها، ولم يُبقِ منها لنفسه شيئاً.

إذن فلماذا يدّعي النبوة؟ وهو لا يريد من متاع الدنيا شيئًا يُذكر، وإذا لم يدَّعِ النبوة فكيف يقال إن القرآن من عنده لا من عند الله تعالى؟!

٥. البخاري، رقم ٣٤٤٥.

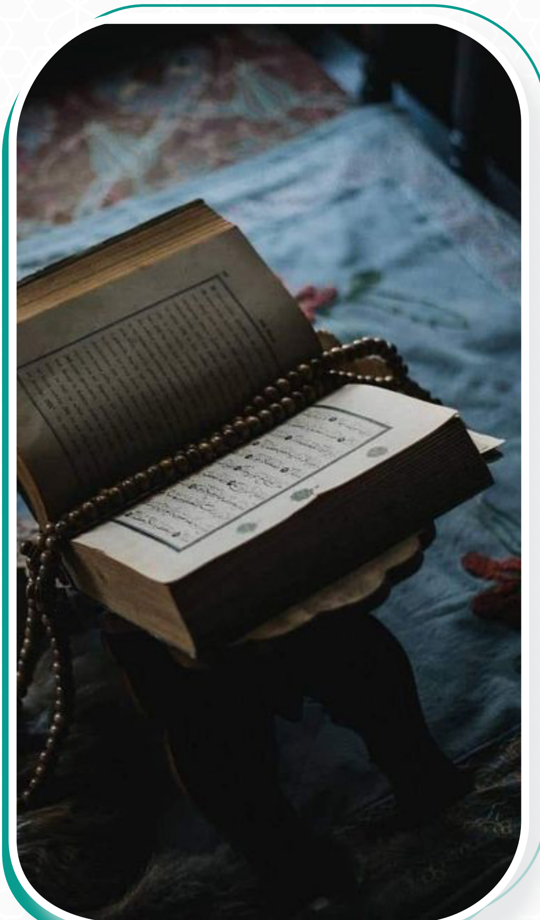
٦. البخاري، رقم ٤٤٦٧.

هل كان محمد -حاشاه- ﷺ كاذبًا؟

كل أهل زمانه ﷺ والذين كانوا يحاولون أن يجدوا له ولو كذبة واحدة، لم يؤثر عن واحد منهم أنه اتهمه بالكذب ولو لمرة واحدة، بل كلهم كان يشهد له بالصدق والأمانة، فهل يعقل أن يترك الكذب على الناس ثم يكذب على الله تعالى فيؤلف قرآنًا ويدّعي أنه من عند الله تعالى؟!

وهذا عين ما فهمه هرقل عظيم الروم -والذي كان عالمًا بالكتب- عندما سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ؛ ففي الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني أبو سفيان –من فيه إلى فِيّ- قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فبينا أنا بالشأم، إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل... إلى أن قال هرقل لأبي سفيان:

وسألتُك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرتَ أن: لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله[٧].



لو كان القرآن من عند محمد ﷺ

فلماذا لم يجعل سورة محمد هي أطول سورة في القرآن؟! ولماذا لم يذكر لنا فيها مآثره ومآثر أجداده؟ وأين هي سورة أمه آمنة بنت وهب؟ أو سورة زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها؟ أو سورة عائشة رضي الله عنها؟ أو حتى سورة فاطمة رضي الله عنها ابنته وأحب الخلق إليه؟

٧. البخاري، رقم ٤٥٥٣.

وذلك بدلًا من سورة مريم عليها السلام التي لم يرَها ولم تكن منه ذات نسب؟ بل لماذا يذكر موسى عليه السلام في (قرآنه) مائة وستاً وثلاثين مرة، في حين لم يُذكر اسمه هو سوى أربع مرات؟ ولماذا يهتم بتبرئة مريم عليها السلام مما نُسب إليها؟ في حين أنه مكث شهراً كاملًا قبل أن يُوحَى إليه بآية واحدة تبرئ عائشة رضي الله عنها وترد عنها افتراءات المنافقين؟

القرآن وقصة الإفك



حادثة الإفك خير دليل على أن القرآن ليس من عند محمد ﷺ، إذ إن المنافقين -لعنهم الله- رموا عائشة الطاهرة المطهرة بالزنى، وعلم النبي ﷺ بذلك، وظل متحيراً لا يدري ما يفعل، فهو يعلم كذب المنافقين، ويثق في عائشة زوجته، ويعلم طهرها وعفتها، لكنه لا يملك دليل رد على هؤلاء المنافقين.

ويسري الحديث في المدينة سريان النار في الهشيم، حتى وقع بعض المؤمنين في الخوض مع المنافقين، كل هذا ولا حيلة للنبي ﷺ في دفع الأذى عن أهل بيته، ويظل الأمر شهراً كاملًا والألسن تلوكه ولا تكف عنه، وكل ما استطاع النبي ﷺ أن يفعله هو أنه ذهب لعائشة رضي الله عنها وقال لها: «إن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه».

فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «قلت: إني والله لا أجد مثلاً، إلا أبا يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ المستعانُ على ما تَصِفون﴾».



وأنزل الله: ﴿إِنَّ الذينَ جاؤوا بالإفكِ عُصبةٌ مِنكم﴾ العشر الآيات[٨].

فلو كان النبي ﷺ يؤلف القرآن من نفسه فلماذا لم يعكف ليلة أو ليلتين ليكتب آية أو آيتين يبرئ فيهما زوجته التي كان يحبها أكثر من أي أحد آخر؟ فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «لم؟» قال: لأحب من تحب. قال: «عائشة». قال: من الرجال؟ قال: «أبو بكر»[٩].

خاصة وهو شديد الغيرة ﷺ وأشد غيرة الرجل تكون على نسائه، فعن المغيرة أن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال: «لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفَح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: أتعجبون من غَيرة سعد؟ لأنا أغيَرَ منه، والله أغيَرَ مني[١٠].

فرجل شديد الغيرة وتُتَّهم امرأته بالزنا -عياذًا بالله من ذلك- وهو يؤلف القرآن، وكلامه يُطَبَق بمجرد قوله، أما كان له أن يقول آية يبرئُ بها زوجته؟ أو حتى آية يقتل بها عبدالله بن أُبي بن سلول الذي تولى كِبَرَ الأمر في الخوض في عرض أم المؤمنين؟

لكن هذا الموقف بالذات يبين أنَّ القرآن يأتي من الله تعالى وأنَّ في تأخره حكمة عظيمة، بينتها الآيات عند نزولها.

---

٨. البخاري، رقم ٤٦٩٠.

٩. الترمذي، رقم ٣٨٨٦.

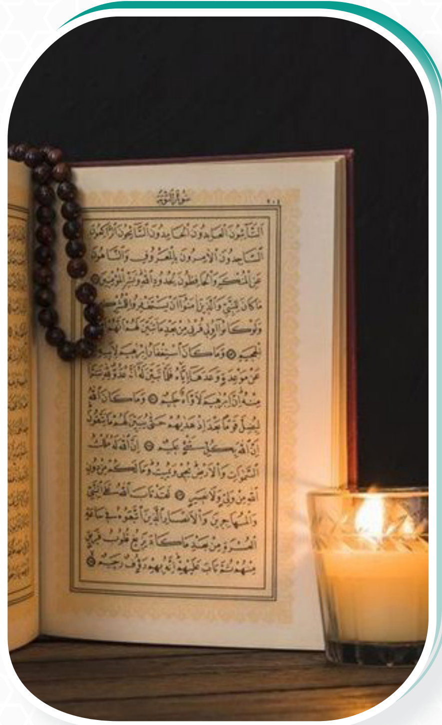
١٠. البخاري، رقم ٦٨٤٦.

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾

قصة زيد بن حارثة مع زينب بنت جحش رضي الله عنهما، وزواج النبي ﷺ منها بعد طلاقها من زيد، دالّة للغاية على أن القرآن الكريم ليس من تأليف النبي ﷺ.

وذلك أن الله تعالى أوحى لنبيه ﷺ أن زينب ستُطلق، وأنه سيتزوجها بعد زيد، والعلة واضحة: كي لا يكون هناك حرج على أي مؤمن، أن يتزوج من زوجة متبناه إذا طلقها المتبنَّى.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ [الأحزاب: ٣٧]



فلما ذكر زيد للنبي ﷺ أنه يريد طلاق زينب نصحه النبي ﷺ أن يتقي الله ويُبقي على زوجته، مع علم النبي أنها ستطلق حتمًا، وذلك خوفًا من أن يقول الناس إنه تزوج زوجة ابنه، لذلك عاتبه الله تعالى في ذلك.

والحقيقة آيات العتاب كثيرة في القرآن، منها عتابه له في قصة ابن أم مكتوم في سورة عبس، وعتابه في قصة أزواجه في صدر سورة التحريم، وفي إذنه للمنافقين كما في سورة التوبة، وغيرها، مما يدلل دلالة قاطعة أن القرآن ليس من عند محمد ﷺ؛ إذ لو كان من عنده فهل يلوم نفسه وهو قادر على غير ذلك؟!

الخلط بين القرآن والحديث النبوي

إن المسلم وغير المسلم، الصحابي والتابعي والرجل في زماننا، كل هؤلاء وبسهولة شديدة يستطيعون التفرقة بين القرآن وهو كلام الله تعالى، وبين الحديث الشريف وهو كلام النبي ﷺ، والذي هو وحيٌ بالمعنى من الله عز وجل لكن الصياغة من عند محمد ﷺ، فقل لي بالله عليك كيف يستطيع المرء أن يجعل له أسلوبين في وقت واحد؟ لكنه ﷺ يقر ويعترف للبشرية أنه بشر مثلهم، ولا يتعالى أو يتكبر عليهم، ويبيّن لهم أن القرآن من ربهم سبحانه، وما هو إلا رسول جاء برسالة كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وقال أيضًا: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]



فالقرآن إذن كلام الله تعالى، وصفة من صفاته، ليس بكلام البشر، وليس بمخلوق، والعلم البشري المتقدم في زماننا يثبت تلك الحقيقة، ففي كل يوم اكتشاف جديد ونظرية جديدة، تصدق ما جاء به القرآن منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، فأنَّى لرجل أمي وُلد في صحراء ولم يخالط الملوك ولا العلماء ولا الحكماء، أن يعرف مثل هذا؟ فضلاً عن كونه يعلم الغيب ويخبر عن حقائق تقع بعد أربعة عشر قرنًا من الزمان؟

سبحانك هذا بهتان عظيم

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾



الشيخ شكري مجولي

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

القرآن الكريم خير واصف ومصور لشخصية النبي ﷺ، لأنه يشف عما كان في الشخصية النبوية الكريمة من قوى ومواهب، جعلت صاحبها ﷺ موضع التكريم والعناية الربانية وأهلاً للاصطفاء بالرسالة السماوية.

فإنّ القارئ يجد في مختلف السور والآيات صوراً واضحة رائعة من صفات النبي وفضائل أخلاقه وكرائم نعوته، إلى حد يقف الإنسان على روحياته ونفسياته ومختلف أقواله وأفعاله، ويقدر مع التدبر التام فيما نزل في حقه من الآيات على الإحاطة بمراحل حياته ﷺ.

صفة عبوديته ﷺ

أعظم حق لله سبحانه وتعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يكون هناك عبد ورب، عبد يَعْبُدُ، ورب يُعْبَد. وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذه الغاية، التي هي غاية الوجود الإنساني، أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى، وهي العبادة لله، أو هي العبودية لله.. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وصف الله نبيه ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء:١]، وقال في الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]. وقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].



بيان شرف مقام العبودية

ومقام العبادة شريف وقد جاء الأمر به في مواضع قال تعالى: ﴿واعبد ربك﴾ [الحجر: ٩٩]، ﴿اعبدوا ربكم﴾ [البقرة: ٢١]، والكناية به عن أشرف المخلوقين. قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١]، ﴿وما أنزلنا على عبدنا﴾ [الأنفال: ٤١]، وقال تعالى حكاية عن عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قال: ﴿إني عبد الله﴾ [مريم: ٣٠] وقال تعالى وتقدس: ﴿لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ [طه: ١٤] فذكر العبادة عقيب التوحيد لأن التوحيد هو الأصل والعبادة فرعه[1].

---

١. تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ١/١٤٣.

صفة رفع ذكره ﷺ



قال الله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

قال ابن كثير: "**قال مجاهد:** لا أُذكر إلا ذكِرْتَ معي، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهّد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"[٢].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما فرغتُ مما أمرني اللهُ تعالى به من أمرِ السماواتِ والأرضِ، قلتُ يا ربِّ إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا قد كرمتَه.. جعلتَ إبراهيمَ خليلًا، وموسى كليمًا، وسخَّرتَ لداودَ الجبالَ، ولسليمانَ الريحَ والشياطينَ، وأحييتَ لعيسى الموتى؛ فما جعلتَ لي؟ قال: أوليس قد أعطيتُك أفضلَ من ذلك كلِّه؟ ألّا أُذكَرَ إلا ذُكرتَ معي؟ وجعلتُ صدورَ أمتِك أناجيلَ يقرؤون القرآنَ ظاهرًا ولم أُعطِها أمةً؟ وأنزلتُ عليك كلمةً من كنوزِ عرشي لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ"[٣].

وقال البغوي عن ابن عباس ومجاهد: إن المراد بذلك الأذان. يعني: ذكره فيه، وأورد من شعر حسان بن ثابت[٤]:

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ .. مِنَ اللَّهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ .. إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ .. فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ.

---

٢. تفسير ابن كثير ٨/٤٢٩.
٣. أخرجه الطبري وابن أبي عاصم، كما في (البداية والنهاية) لابن كثير ٦/٢٨٨.
٤. ديوان حسان بن ثابت ص ٣٣٨، وخزانة الأدب ١/ ٢٢٣.

وقال الصرصري رحمه الله[٥]:

لَا يَصِحُّ الْأَذَانُ فِي الْفَرْضِ إِلَّا .. بِاسْمِهِ الْعَذْبِ فِي الْفَمِ الْمَرْضِيِّ

وَقَالَ أَيْضًا:

أَلَمْ تَرَ أَنَّا لَا يَصِحُّ أَذَانُنَا .. وَلَا فَرْضُنَا إِنْ لَمْ نُكَرِّرْهُ فِيهِمَا

وقال القرطبي: ورُوي عن الضحاك عن ابن عباس قال: يقول له: ما ذُكِرْتُ إلا ذُكِرْتَ معي في الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَيوم الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَيَوْمَ الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، وَيَوْمَ عَرَفَةَ، وَعِنْدَ الْجِمَارِ، وَعَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَفِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ، وَفِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا عَبَدَ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وصدق بالجنة والنار وكل شي، وَلَمْ يَشْهَدْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ وَكَانَ كَافِرًا.

وَقِيلَ: أَيْ أَعْلَيْنَا ذِكْرَكَ، فَذَكَرْنَاكَ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ، وَأَمَرْنَاهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِكَ، وَلَا دِينَ إِلَّا وَدِينُكَ يَظْهَرُ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: رَفَعْنَا ذِكْرَكَ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ، وَفِي الْأَرْضِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَرْفَعُ فِي الْآخِرَةِ ذِكْرَكَ بِمَا نُعْطِيكَ مِنَ المقام المحمود، وكرائم الدرجات[٦].

فوائد صفة رفع ذكره ﷺ

قال الإمام فخر الرازي: "وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَشُهْرَتُهُ فِي الأرض والسموات، اسْمُهُ مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ يُذْكَرُ مَعَهُ فِي الشَّهَادَةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَانْتِشَارُ ذِكْرِهِ فِي الْآفَاقِ، وَأَنَّهُ خُتِمَتْ بِهِ النُّبُوَّةُ، وَأَنَّهُ يُذْكَرُ فِي الْخُطَبِ وَالْأَذَانِ وَمَفَاتِيحِ الرَّسَائِلِ، وَعِنْدَ الْخَتْمِ وَجَعَلَ ذِكْرَهُ فِي الْقُرْآنِ مَقْرُونًا بِذِكْرِهِ، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التَّوْبَةِ: ٦٢]، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤].

---

٥. تفسير ابن كثير ٨/٤٢٩.

٦. تفسير القرطبي ٢٠/١٠٦-١٠٧.

وَيُنَادِيهِ بِاسْمِ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ، حِينَ يُنَادِي غَيْرَهُ بِالِاسْمِ يَا مُوسَى يَا عِيسَى، وَأَيْضًا جَعَلَهُ فِي الْقُلُوبِ بِحَيْثُ يَسْتَطِيبُونَ ذِكْرَهُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٩٦]، كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: أَمْلَأُ الْعَالَمَ مِنْ أَتْبَاعِكَ كُلُّهُمْ يُثْنُونَ عَلَيْكَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكَ وَيَحْفَظُونَ سُنَّتَكَ، بَلْ مَا مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ إِلَّا وَمَعَهُ سُنَّةٌ فَهُمْ يَمْتَثِلُونَ فِي الْفَرِيضَةِ أَمْرِي، وَفِي السُّنَّةِ أَمْرَكَ وَجَعَلْتُ طَاعَتَكَ طَاعَتِي وَبَيْعَتَكَ بَيْعَتِي ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النِّسَاءِ: ٨٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الْفَتْحِ: ١٠].

لَا تَأْنَفُ السَّلَاطِينَ مِنْ أَتْبَاعِكَ، بَلْ جَرَاءَةٌ لِأَجْهَلِ الْمُلُوكِ أَنْ يَنْصِبَ خَلِيفَةً مِنْ غَيْرِ قَبِيلَتِكَ، فَالْقُرَّاءُ يَحْفَظُونَ أَلْفَاظَ مَنْشُورِكَ، وَالْمُفَسِّرُونَ يُفَسِّرُونَ مَعَانِيَ فُرْقَانِكَ، وَالْوُعَّاظُ يُبَلِّغُونَ وَعْظَكَ؛ بَلِ الْعُلَمَاءُ وَالسَّلَاطِينُ يَصِلُونَ إِلَى خِدْمَتِكَ، وَيُسَلِّمُونَ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ عَلَيْكَ، وَيَمْسَحُونَ وُجُوهَهُمْ بِتُرَابِ رَوْضَتِكَ، وَيَرْجُونَ شَفَاعَتَكَ، فَشَرَفُكَ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[٧].



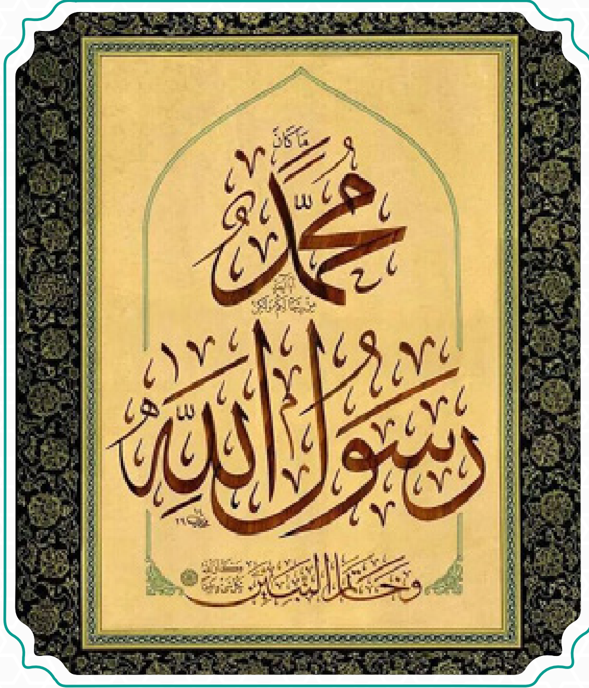
صفة تأييده ﷺ

ولقد سلك القرآن وسائل عدة في تأييد الرسول ﷺ في رحلته الدعوية، ولقد كانت الآيات تنزل عليه ﷺ فتزيده يقيناً وثباتاً، كيف لا وهي تبشره بنصر الله، وتحقق موعده له بالتمكين، وتتنزل عليه السكينة والطمأنينة.

ولذا تكفل الله تعالى بتأييد رسوله ﷺ في دعوته، فأنزل عليه الآيات التي تبث الحماسة في نفسه، وتعده بالنصر المبين، وتطمئنه إلى المستقبل الزاهر للدعوة، فكان الرسول ﷺ أثبت الناس جَناناً،

٧. تفسير الرازي ٣٢/٢٠٨.

وأشدهم ثقة بنصر الله عز وجل، وأقواهم عزيمة، وأصبرهم على المِحَن، حتى لكأنه لشدة ثقته يعيش النصر وهو في أحلك المواقف وأصعبها.



آيات صفة تأييده ﷺ

قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

قال الفخر الرازي: "التَّأْيِيدُ لَيْسَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ لَكِنَّهُ عَلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا يَحْصُلُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةِ أَسْبَابٍ مَعْلُومَةٍ مُعْتَادَةٍ. وَالثَّانِي: مَا يَحْصُلُ بِوَاسِطَةِ أَسْبَابٍ مَعْلُومَةٍ مُعْتَادَةٍ. فَالْأَوَّلُ: هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ..."[٨].

معنى ﴿أَيَّدَكَ﴾: قال الإمام الطبري: "﴿هو الذي أيدك بنصره﴾، يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه "[٩].

وقال أبو حيان: "ثم ذكّره بما فعل معه أولاً من تأييده بالنّصر وبائتلاف المؤمنين على إعانته ونصره على أعدائه، فكما لطف بك أوّلاً يلطف بك آخراً، والمؤمنون هنا الأوس والخزرج، وكان بين

٨. تفسير الرازي ١٥/٥٠١.

٩- تفسير الطبري جامع البيان ١٤/٤٤.

الطائفتين من العداوة للحروب التي جرت بينهم ما كان، لولا الإسلام لا ينقضي أبداً ولكنه تعالى منّ عليهم بالإسلام فأبدلهم بالعداوة محبة وبالتباعد قرباً"[١٠].



من فوائد صفة تأييد ربه له ﷺ

قال الإمام البقاعي: "أي أن الذي أرسلك مع وحدتك في مكة بين جميع الكفار وغربتك فيهم -وإن كانوا بني عمك- بسبب دعوتك إلى هذا الدين وعلوك عن أحوالهم البهيمية إلى الأخلاق الملكية، هو الذي قواك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدروا على أذى يردك عن الدعاء إلى الله مع نصب جميعهم لك ولمتبعيك شباك الغدر، ومدهم إليكم أيدي الكيد، ثم سلّكم من بين أظهرهم كما تسل الشعرة من العجين، مع اجتهادهم في منعكم من ذلك. وأيدكم بالأنصار وجمع بين كلمتهم بعد شديد العداوة، بعد غاية التباغض، فصار البعيد منهم قريباً والبغيض حبيباً والعدو صديقاً، وكانوا على قلب واحد"[١١].

صفة تثبيته ﷺ

قال تعالى: ﴿وكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَة وَٰحِدَة كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلا﴾ [الفرقان: ٣٢].

١٠- تفسير البحر المحيط ٥١٠/٤.
١١- كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣١٧/٨.

والتثبيت: حقيقته التسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطراب والتزلزل، قال الشيخ ابن عاشور: "وتثبيت فؤاد الرسول ﷺ زيادة يقينه ومعلوماته بما وعده الله، لأن كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أممهم معهم يزيده تذكراً وعلماً بأن حاله جارٍ على سنن الأنبياء، وازداد تذكراً بأن عاقبته النصر على أعدائه، وتجدد تسلية على ما يلقاه من قومه من التكذيب وذلك يزيده صبرا.

والصبر: تثبيت الفؤاد، وأن تماثل أحوال الأمم تلقاء دعوة أنبيائها مع اختلاف العصور يزيده علماً بأن مراتب العقول البشرية متفاوتة، وأن قبول الهدى هو منتهى ارتقاء العقل، فيعلم أن الاختلاف شنشنة قديمة في البشر، وأن المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم، وهي من النواميس التي جُبل عليها النظام البشري، فلا يحزنه مخالفة قومه عليه، ويزيده علماً بسمو أتباعه الذين قبلوا هداه، واعتصموا من دينه بعراه، فجاءه في مثل قصة موسى عليه السلام واختلاف أهل الكتاب فيه بيان الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين؛ فلا يقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب"[١٢].

الحكمة من صفة تثبيت قلب النبي ﷺ

كان النبيّ ﷺ بحاجة لهذا التثبيت وهو يواجه من الناس القسوة والنفور، ويجد من الكثيرين في مكة الغلظة والجفاء والإصرار على الكفر، مع رغبته الصادقة في هدايتهم إلى الحق، فكان الوحي يتنزل على رسول الله ﷺ بين وقت وآخر فيشحذ من همته ويزيد من صبره وتحمله، بل كان ينزل القرآن في أحلك الأوقات وأقسى الحالات شدة، وإذا بالآيات تدعو رسول الله ﷺ إلى متابعة الطريق بكل صبر وثبات، وتقصّ عليه ما لقي الأنبياء من أتباعهم من قسوة وعناد، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى ما كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا﴾ [الأنعام: ٣٣- ٣٤].

قال أبو شامة: "كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ" أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدّد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه[١٣].

١٢- التحرير والتنوير ١٣/١٩٢.
١٣- البرهان للزركشي ١/٢٣١.

بيّنات القرآن الكريم



د. حسن سلمان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً.

إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وحجته على خلقه ويتضمن مراده في أمره ونهيه، وهو مشروع الهداية للناس كافة، ولما كانت العلاقة مع الله جل جلاله علاقة غيب، كان لا بد من البرهان والدليل على صحة وصدق نسبة الرسالة إلى مرسلها ورسولها، وإلا كانت دعوى بلا دليل منسوبة لقائلها وهذه الأدلة والبراهين هي الفارق والفيصل بين النبوءة الصادقة وأدعياء النبوءة من الكاذبين. واعتنى القرآن الكريم بهذه القضية كثيراً سواء في تناوله للسابقين من الرسل عليهم الصلاة السلام، أو في الحديث عن النبي محمد ﷺ وتناولها بمسميات مختلفة نجملها على النحو التالي:

الآيات أو الآية

وهي العلامة الدالة على شيء معين، وتطلق على العبرة والدليل كما تطلق الآية على ما هو جزء من السورة لها بداية ونهاية، وتطلق على ما سمي بالمعجزة، ويفهم كل ذلك من السياق العام للنص القرآني، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] والحديث عن الآيات المصدقة لرسالة الرسول ومبينة لنبوته وهي دليل وعلامة وعبرة وتحمل معنى التحدي والإعجاز.

البينات أو البينة

وهي اسم للآيات الدالة على صدق الرسول -أي رسول- وتعني الحجة الواضحة والدليل البين والبرهان الساطع والآية الفاصلة ولا يكاد يبعث الله رسولا بلا بينة سواء ذكرت لنا أو لم تذكر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢]

البصائر أو البصيرة

والمراد بالبصيرة والبصائر هنا البرهان والحجة الكاشفة التي تزيل الغشاوة والعمى عن العقول والقلوب، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]

البراهين أو البرهان

وهو أوكد الأدلة وأقواها، وهو الذي يقتضي الصدق وتقوم به الحجة القاطعة، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]

وهذه البراهين والآيات والبينات والبصائر، هي الحجج الدالة على صدق الرسول فيما يبلغه عن الله من رسالة، وهي التي أطلق عليها في التراث الإسلامي -لاحقاً- بالمعجزات، رغم أنها لم ترد في القرآن الكريم بهذا الاسم ولكنهم نظروا لما فيها من التحدي والقوة ما يعجز عن مثله المخاطبون.

وعدم الإيمان بالرسالة بعد ظهور البينات والآيات يقتضي العذاب وقطع الأمل والرجاء فيمن لم تنفعه البينات؛ لأنه سيكون صدوداً واختلافاً وظلماً وبغياً بعد العلم، كما نجد ذلك واضحاً جلياً في كثير من الآيات، كقول الله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]

وقد اختلفت بينات الرسل والأنبياء كما وردت في الكتاب العزيز بحسب اختلاف البيئات وما اشتهر فيها من علوم ومعارف، فكانت البينات من ذات الجنس ولكنها غالبة وظاهرة ومتحدية، وربما كانت البينة ذات خاصية متفردة، ولكن لا يمكن الإتيان بمثلها، وتقف العقول حائرة ومعبرة عن عجزها، وليس أمامها إلا التسليم والإذعان، ويشير القرآن الكريم للبينات إجمالاً بأن جميع الرسل والأمم قد جاءتهم البينات من ربهم، ولا يوجد رسالة ولا رسول بلا بينة، سواء ذكرت في القرآن باسمها أم لم تذكر، قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]

فالبينات كانت شاملة لكل أمة وقوم منذ نوح وهود وصالح وما بعدهم عليهم السلام، ولكن من البينات ما ذُكر، ومنها ما سكت عنه الشارع واكتفى بالذكر العام.

وعند كل رسالة سماوية منزلة غالباً ما يتم الطعن والتشكيك في الرسول والرسالة من قِبل المخالفين، وبطبيعة الحال فالتشكيك في أي منهما هو تشكيك في الآخر حتماً، فمثلاً تُشَوَّه صورة وشخصية الرسول المرسل بكونه ساحراً أو كاهناً أو مجنوناً أو حالماً أو متلقياً لما يقوله عن الآخرين من البشر (معلَّم)، وكل تلك الطعون تطال الرسالة كذلك، وقد رد القرآن الكريم كل هذه الطعون ونفاها عن شخصية الرسول وطبيعة الرسالة ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وفي الوقت الذي نفى القرآن الكريم عن شخصية رسول الله ﷺ السحر والكهانة والجنون وعملية النقل والتعلم عن الآخرين، كذلك نفى عنه أن يكون الوحي من تأليفه وإبداعه كما أكد أنه لم يكن يعلم عن هذه العلوم والمعارف والتشريعات قبل نزول الوحي إليه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].



البينات القرآنية التي بُعث بها الرسول

وأما الحديث عن البينات القرآنية التي بعث الله جل جلاله بها النبي ﷺ فهي كثيرة منها ما هو مادي محسوس في عصره ومنها ما هو خلاف ذلك، وهو مرتبط بالكتاب العزيز ومستمر حتى قيام الساعة، وشاهد على أن هذا الكتاب حق

وصدق، وأنه منزل من عند الله تعالى وليس من إبداع وابتكار وتأليف الرسول محمد ﷺ -والحديث عن ذلك يطول- وإنما دوره ﷺ يتمثل في: -الوعي والحفظ -الحكاية والتبليغ -البيان والتفسير -التنفيذ والتطبيق العملي؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وكما هو الحال مع كل رسالة فإن القرآن الكريم تضمن بيناته وبراهينه التي تثبت بأنه من عند الله تعالى، وأن هذه البينات تتكشف وتتجلى عبر العصور وتجددها، بدءاً من العهد النبوي الذي تجلت فيه الكثير من البينات المادية وغير المادية، وما بعد العصر النبوي حتى قيام الساعة؛ فإن القرآن الكريم يحمل في طياته ما يجعله حجة على العالمين، وهذا الذي سماه العلماء بالتحدي والإعجاز، ويقصد به: الشيء الخارق للعادة المقترن بالتحدي وغير القابل للنقد والنقض والمعارضة.



وقد تحدى القرآن الكريم عالمي الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن شكلاً ومضموناً؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولما لم يستطيعوا ذلك انتقل معهم إلى ما دونه بأن يأتوا بعشر سور مثله كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

ثم ظل التحدي لما دون ذلك بأن يأتوا بسورة مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

وأخيراً لم يكن التحدي بأن يأتوا بمثله بل بأقل من ذلك على سبيل المقاربة لا المثلية والتطابق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] أي أن يأتوا بسورة (من مثله) أي ببعضه وقريب منه وليس مثله كما تقدم.

وفي كل ذلك لم يستطع العرب قاطبة ومن تلاهم الإتيان بمثله، أو ما يقاربه في البيان شكلاً، ولا فيما احتواه من الحقائق والمعارف والعلوم مضموناً.

البينات القرآنية على أن القرآن من عند الله

ولأن المقام لا يحتمل التفصيل نبين أهم أنواع البينات القرآنية والبصائر الكاتبة والبراهين الإلهية على أن هذا القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى، ولا يعتريه الشك والريب والباطل بحال: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وذلك نجمله فيما يلي من الفقرات.

١. الإعجاز العلمي والمعرفي وقضايا الغيب

من أهم أنواع الإعجاز في القرآن الكريم اشتماله على الحقائق الغيبية والأخبار والأنباء السابقة واللاحقة، التي لا يمكن العلم بها دون بيان من الوحي، أو من خلال البحث والتنقيب والدراسة، والتي لم تتوفر لشخصية رسول الله ﷺ بطبيعة الحال، ويندرج في ذلك القصص القرآني وما فيه من أخبار السابقين من

الأمم والرسالات، والحديث عن الأنباء المستقبلية وتحققها بعد عقود أو قرون، وتناول الحقائق الغيبية التي يتوقف عندها العلم باعتبارها خارجة عن مجاله الذي يبحث في الظواهر المادية؛ كالحديث عن الله تعالى وأسمائه وصفاته، والحديث عن عالم الملائكة والجنة والنار.

ومن الإعجاز العلمي والمعرفي الحديث عن بدء الخلق والكون من سماوات وأرضين، وما فيها من تفاصيل علمية وحقائق كونية مبهرة، ونشأة الإنسان ووظيفته ومصيره، كل ذلك يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يمتلك هذه العلوم والمعارف الغيبية، وليست مما يُعرف بالتخمين والتخرص، ولكن علم كل ذلك بتعليم الله له وتلقيه عن الله تعالى عالم الغيب والشهادة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٤].

٠٢ الإعجاز البياني والبنياني



اشتهر العرب بالبيان والبلاغة والفصاحة شعراً ونثراً، فجاءت المعجزة القرآنية الكبرى تحدى العرب في أهم ما تميزوا به، ولم يستطع أي منهم محاولة مجاراة البيان والبلاغة القرآنية؛ بل شهد الجميع بأن هذا القرآن لا مثيل له ولا شبيه فيما أنتجه العرب من شعر ونثر؛ بل القرآن الكريم له القدرة على إيصال المعاني المختلفة بوضوح وبلاغة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

ولما سمع الوليد بن المغيرة -وهو أحد رجالات قريش- القرآن الكريم قال مقولته المشهورة: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، وما يقول هذا بشر»[١].

---

٠١ رواه الحاكم.

وهذا النوع من الإعجاز هو الأشهر والأظهر في الكتابات القديمة والمعاصرة.

وأما الإعجاز البنياني فنقصد به بنية النص القرآني كله وتماسكه وترابطه، وكذلك بنية كل سورة في داخلها وبين آياتها وطبيعة موضوعها والسياقات التي ترد فيها الآيات، بما يدل على خيط ناظم بين الآيات والسور وجملة النص القرآني بما يشبه دقة وبنية الكون المنظور، وأن أي اختلال فيه يؤدي لفساد المنظومة الكونية كلها، ولهذا ربط النص القرآني بين مواقع النجوم والقرآن الكريم في ملمح دقيق لطبيعة الدقة والتماسك وعلاقة الأمر (الكتاب) والخلق (الكون) بمصدر كل منها وهو الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ * فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠].

٠٣ الإعجاز التشريعي والإصلاحي

اشتمل القرآن الكريم على منظومة عقدية وقيمية وتشريعية سامية ودقيقة ومتماسكة وشاملة لحياة الإنسان، بما يحقق مصالحه في الدنيا والآخرة، ويستجيب لوظيفته في الاستخلاف والعمران في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحقوقية، بما يحير العقول عدلاً وحكمة ورحمة وتيسيراً، مما يصعب الإتيان بمثله من بشر مخلوق مهما بلغت قدراته وإمكاناته الذاتية.



ومع شمول التشريعات وكمالها فقد اشتمل القرآن الكريم على المنهج الأقوم لإصلاح النفوس البشرية والمجتمعات الإنسانية وتهذيبها وتطهيرها وتزكيتها وتحقيق فاعليتها في الحياة المنشودة في الأرض، وذلك

من خلال طريقة القرآن الكريم في الترغيب والترهيب والتشويق والتبشير والإنذار في توازن بديع يستحيل أن يكون من غير الله تعالى العليم الخبير بما خلق قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ونجد في القرآن الكريم تأثيرا عظيماً وعميقاً في النفس والعقل والوجدان البشري بما ليس في غيره لأنه صادر عن العليم الخبير، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

٤. الإعجاز المادي المحسوس

ذكرنا فيما سبق بأن الرسل السابقين كانت بيناتهم مادية، فهل كانت للنبي ﷺ بينات مادية محسوسة عاشها الصحابة ورأوها ونقلوها للناس؟ أم أن بينة النبي ﷺ هي القرآن فقط دون غيره؟ كما يحاول البعض ترويج ذلك في الدراسات المعاصرة استناداً لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقوله ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

وغاية ما في الآية والحديث هو التأكيد على أن المعجزة الباقية والخالدة والأعظم للرسول ﷺ، هي القرآن الكريم، لأنه لا يرتبط بحياة النبي ﷺ، ووجوده كما هو الحال مع بينات الرسل السابقين وفي الآية كذلك، نفي لما يطلبه المعاندون للرسالة من معجزات مادية واستجابة الله لهم ثم ما يترتب على ذلك من هلاك وعذاب جماعي، فالله لا يريد ذلك في الأمة المحمدية كما هو الحال فيما سبق من أمم، وذلك لحكم عظيمة ليس هنا مجال تفصيلها.

كما أن هذه الطريقة في الاستدلال تهمل كثيراً من النصوص، ولا تجمع بينها لتخرج بالصورة الكلية للمسألة، والجمع أولى من الإهمال، كما هو مقرر في علم الأصول.



وعليه فإن نفي المعجزات المادية عن رسول الله ﷺ تكذبه النقول الثابتة والمتواترة عن الصحابة رضوان الله عليهم، وقد نقلها العديد من العلماء في مصنفاتهم التي تفوق الحصر، يقول العلامة ابن قيم الجوزية: «ومعجزاته وآياته تزيد على الألف، والعهد بها قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرُّهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرناً بعد قرن»[٢].

ضرورة العناية بعلم البينات

تبدو أهمية العناية بعلم البينات لأنه العلم الذي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه الرسالة حق وصدق، وأنها منزلة من الله تعالى وليست كلام محمد ﷺ، فمن حق أي مكلف التساؤل حول مصداقية الرسالة وموثوقيتها والمطالبة ببراهينها الدالة على ذلك، حتى يُفرَّق بين دعوى الرسل والأنبياء وبين دعوى المدعين من أدعياء النبوة الكاذبين:

والدعاوى إن لم تقيموا •• عليها بينات أصحابها أدعياء

وميزة بينات الرسالة الخاتمة أنها ليست مادية محضة، ولا ترتبط بوجود الرسول ﷺ وليست تاريخية تنتهي بزمان مضى؛ بل هي تتسم بالديمومة والاستمرار، وتتكشف مع الزمن والتقدم المعرفي؛ فحقائق الكتاب المكنون باقية ومتجددة وتقوم بها حجة الله على خلقه حتى قيام الساعة، بأن هذا الكتاب هو الحق، ومن الحق نزل.

٢. إغاثة اللهفان ٢/٣٤٧.

والبينات الرسالية مهمة للداعية إلى الله تعالى وهي مقدمات الرسالة وسابقة على الأمر والنهي لمن لم يتلق الرسالة بالقبول، كما أنها مفيدة في تثبيت وتقوية الإيمان وتعزيزه والدعوة للإسلام على بينة وبصيرة؛ فكما أننا نتعلم علوم الإيمان والتوحيد والحلال والحرام كذلك لا بد من أن نتعلم علوم البينات والبصائر وتحظى بالعناية اللازمة.

وقد يكون من المفيد إقامة مراكز بحثية متخصصة في شتى المجالات وخادمة لعلم البينات القرآني، وفي ذلك خدمة عظيمة لهذا الدين الذي يقوم على البرهان والدليل، ويحدِث توافقاً بين حقائق العلم وقطعيات الإيمان، وبهما تحصل الرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

والحمد لله رب العالمين.

الغرب/الروم في الرؤية النبوية..

دراسة نصية (٢/١)





د. عبد السلام البسيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

عبرت السنة المشرفة النبوية عن الغرب، بألفاظ شتى لافتة، منها: الترك، والنصارى، وبنو الأصفر وأكثرها استخدامًا اسم الروم، وذلك في تنويعات قرآنية ونبوية كثيرة، نتأملها سريعًا لعلها ترسم لنا شيئًا من الرؤية الهادية، وتوضح لنا شيئًا من الرؤية الباكرة للاستغراب، وآليات التعاون والتعامل، فتأمل معي.

الرؤية الإسلامية للغرب في السنة المشرفة النبوية

هناك سورة في القرآن الكريم باسم الروم (السورة رقم ٣٠ من المصحف الشريف)، وقد نزلت في العهد المكي أوائل الإسلام، وفي فترة استضعافه، ما يعني أن الرؤية العالمية، وفكرة التعامل على مستوى الأرض (أدنى الأرض، وأبعد الأرض) كانت حاضرة منذ بدء الرسالة في هذا الدين العالمي، الذي تضافرت الأدلة على أنه للناس كافة.



وقد افتتحت السورة بقوله تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ*غُلِبَتِ ٱلرُّومُ* فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ *فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ* بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ*وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الروم]

وقد ورد بسند صحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: كانَ المشرِكونَ يحبُّونَ أن يظْهرَ أَهلُ فارسَ على الرُّومِ؛ لأنَّهم وإيَّاهم أَهلُ الأوثانِ، وَكانَ المسلمونَ يحبُّونَ أن يظْهرَ الرُّومُ على فارسَ لأنَّهم أَهلُ الكتابِ، فذَكروهُ لأبي بَكرٍ، فذَكرَهُ أبو بَكرٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: «أما إنَّهم سيَغلِبونَ». فذَكرَهُ أبو بَكرٍ لهم، فقالوا: اجعل بينَنا وبينَكَ أجلًا، فإن ظَهرنا كانَ لنا كذا وكذا، وإن ظَهرتُم كانَ لَكم كذا وكذا، فجعلَ أجلًا خمسَ سنينَ، فلم يظْهَروا، فذَكروا ذلِكَ للنَّبيِّ ﷺ فقالَ: «ألا جعلتَهُ إلى دون العشرِ». قالَ: ثمَّ ظَهرتِ الرُّومُ بعدُ. قالَ: فذلِكَ قولُهُ تعالى: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قولِهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾[١].

١. صحيح سنن الترمذي، (الرقم: ٣١٩٣).



استبعد النبي ﷺ أية تفرقة بين البشر بسبب الجنس أو اللون منذ البدايات، وكان مجلسه عالميًّا فيه الرومي والفارسي والحبشي والقرشي والعربي، فعن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «يأيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكُم واحدٌ، وإنَّ أباكُمْ واحدٌ، ألا لا فَضلَ لعربيٍّ على عَجميٍّ، ولا لعَجميٍّ على عَربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ، إلَّا بالتَّقوى، إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ»[٢].

ذكر النبي ﷺ أنهم سيكونون أكثر أهل الأرض -على اختلاف طوائفهم الدينية- وأن لهم أخلاقًا وقيمًا يتميزون بها تجعلهم متفوقين على غيرهم؛ فقد ورد عن المستورد بن شداد الفهري عن رسول الله ﷺ: «تقومُ الساعةُ والرومُ أكثرُ الناسِ»[٣]. ففكرة مكاثرتهم العددية تحتاج نظرًا، أو لعل كثرة المسلمين سيناصرون الروم، ويكونون في فسطاطهم؛ كحالنا الآن

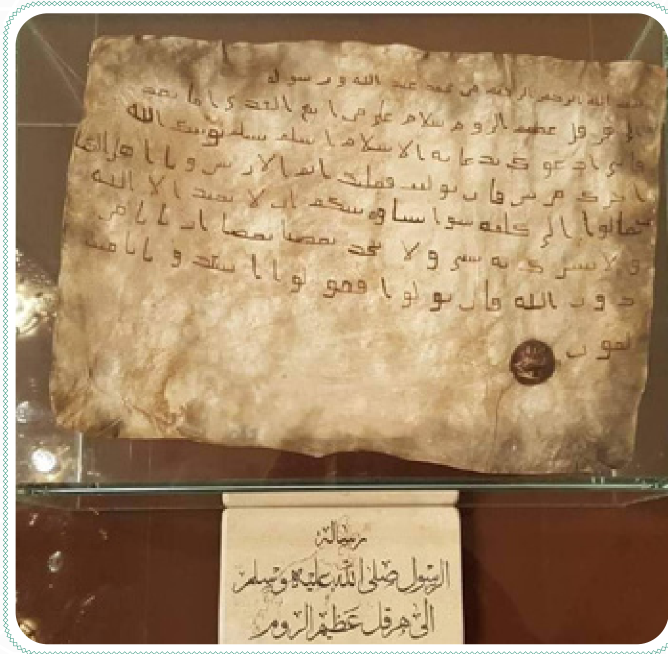
ذكرتْ السنة المشرفة أنهم سيختلطون بالمسلمين لحد كبير؛ فعن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «رأيت غنماً كثيرةً سوداءُ، دخلتْ فيها غنمٌ كثيرةٌ بيضٌ»، قالوا: فما أوّلْتَه يا رسولَ اللهِ؟ قال: «العجمُ»[٤]. فصلّوا على من لا ينطق عن الهوى

كان النبي ﷺ حريصًا على التواصل وتبليغ الإسلام للروم على أعلى المستويات؛ فعن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «مَنْ ينطلِقُ بصحيفَتِي هذِهِ إلى قَيْصَرَ ولَهُ الجنةُ؟» فقالَ رجلٌ: وإنْ لم يَقْبَلْ؟ قال: «وإنْ لم يقبلْ»

---

٢. صحيح الترغيب (٢٩٦٤) بسند صحيح لغيره، وهو في مسلم.
٣. صحيح مسلم (الرقم: ٢٨٩٨).
٤. السلسلة الصحيحة (١٠١٨)، والحديث قوي بالطُرق.

فأخذ دحيةُ الكتابَ وسافرَ بِهِ إلى أرضِ الرومِ، فوافقَ هِرَقْلَ وهو مقبِلٌ على بيتِ المقدِسِ يزورُهُ عَقِبَ انتصارِهِ على الفُرْسِ قرْبَى إلى اللهِ. وتناولَ قيصرُ الكتابَ فقرأَ فيه:



«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ محمدٍ رسولِ اللهِ إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّومِ، سلامٌ على مَنِ اتبعَ الهدَى، أمَّا بعدُ: فإنِّي أدعوكَ بدعايَةِ الإسلامِ، أسلِمْ تَسْلَمْ، يؤتِكَ اللهُ أجرَكَ مرتَيْنِ، فإنْ توليتَ فإنَّ عليكَ إثمُ الأكَّارينَ [الفلاحينَ]. و يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»[٥].

نبهتْ السنة المشرفة إلى أخلاقهم وصفاتهم، وحذرتْ من اتباعهم في سلبياتهم؛ فقد ورد عن المستورد بن شداد الفهري عن رسول الله ﷺ: «تقومُ الساعةُ والرومُ أكثرُ الناسِ». فقالَ لهُ عمرو: أبصرْ ما تقولُ. قال: أقولُ ما سمعتُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ. قال: لئنْ قلتَ ذلكَ، إنَّ فيهِمْ لخصالًا أربعًا: إنهُمْ لأحلمُ الناسِ عندَ فتنةٍ وأسرعُهُمْ إفاقةً بعدَ مصيبةٍ وأوشكُهمْ كرَّةً بعدَ فرَّةٍ وخيرُهمْ لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيفٍ وخامسةٌ حسنةٌ وجميلةٌ: وأمنعُهُمْ مِنْ ظُلمِ الملوكِ»[٦].

فانظر إلى إنصاف عمرو رضي الله عنه، ومعرفته بالروم، وقراءته لأخلاقهم ومكامن قوتهم وتميزهم.

وعن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «إن كنتُم آنِفًا تفعَلون فِعلَ فارسَ والرُّومِ، يقومونَ على مُلوكِهم وهُم قُعودٌ، فلا تفعَلوا، ائتمُّوا بأئمَّتِكم، إن صلَّى قائمًا، فصلُّوا قيامًا، وإن صلَّى قاعدًا فصلُّوا قعودًا»[٧].

٥. فقه السيرة، بسند أخرجه الشيخان.
٦. صحيح مسلم (الرقم: ٢٨٩٨).
٧. صحيح الجامع (١٤٣٧).

وعن سيدي عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «إذا فُتِحَتْ عليكم فارسُ والرومُ أيُّ قومٍ أنتم؟» قيل: نكونُ كما أمر اللهُ. قال: «أوَ غيرَ ذلك، تتنافسونَ، ثم تتحاسدونَ، ثم تتدابرونَ، ثم تتباغضونَ، ثم تَنطلقونَ في مساكينِ المهاجرينَ فتجعلونَ بعضَهم على رقابِ بعضٍ»[٨].

وعن سيدي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «إذا مَشت أُمَّتي الْمُطَيطَاءَ، وخدَمَها أبناءُ الملوكِ أبناءُ فارسٍ والرومِ، سُلِّطَ شرارُها على خيارِها»[٩].

اعتمد النبي ﷺ بعض عوائد الروم، ولم يرَ بفعلها بأسًا، ففي البخاري عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: لما أراد النبيُّ ﷺ أن يكتُبَ إلى الرومِ، قالوا: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلا مختومًا، فاتخذ النبيُّ ﷺ خاتمًا من فِضةٍ، كأني أنظرُ إلى وبيصِه، ونَقْشُه: محمدٌ رسولُ اللهِ[١٠].

وفي صحيح مسلم عن سيدتي جذامة الأسدية بنت وهب أخت عكاشة رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «لقد هممتُ أن أنْهى عنِ الغِيلةِ، فنظرتُ في الرُّومِ وفارسَ، فإذا هم يَغيلونَ أولادَهم، فلا يضرُّ أولادَهم ذلِكَ شيئًا». ثمَّ سألوهُ عنِ العزلِ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ذلِكَ الوأدُ الخفيُّ»[١١].

وفي سنن الترمذي عن سيدي المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه، أن النبيَّ ﷺ لبس جُبَّةً روميَّةً ضيقةَ الكُمين[١٢].

وعن سيدي المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنها مرفوعًا قال: كنَّا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في ركبِهِ، ومعي إداوةٌ نخرجَ لحاجتِهِ، ثمَّ أقبلَ فتلقَّيتُهُ بالإداوةِ فأفرغتُ عليَهِ فغسلَ كفَّيهِ ووجهَهُ، ثمَّ أرادَ أن يُخرِجَ ذراعيَه، وعليهِ جُبَّةٌ مِن صوفٍ مِن جبابِ الرُّومِ، ضَيِّقةُ الكُمَّينِ فضاقَت فادَّرعَهُما ادِّراعًا، ثمَّ أهوَيتُ إلى الخفَّينِ لأنزعَهُما، فقالَ لي: «دعِ الخفَّينِ، فإنِّي أدخلتُ القدمَينِ الخفَّينِ وهُما طاهِرتانِ» فمسحَ عليهِما[١٣].

---

٨. صحيح الجامع (٦٩٧).
٩. صحيح الجامع (٨٠١).
١٠. البخاري (٧١٦٢).
١١. صحيح مسلم، (١٤٤٢).
١٢. سنن الترمذي (١٧٦٨)، بسند حسن صحيح.
١٣. صحيح سنن أبي داود (١٥١).



وعن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول اللهِ ﷺ يقوم مسندًا ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يوم الجمعة، فخطب الناس فجاءه رومي، فقال: يا رسول اللهِ ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع له منبرًا درجتين ويقعد على الثالثة[١٤].

سمّتهم العرب بني الأصفر، بسبب اختلاف لون بشرتهم عن ألوان العرب التي كانت تميل للسواد، فعن سيدي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال للجد بن قيس المنافق: «يا جَدُّ، هل لكَ في جلادِ بني الأصفرِ؟» قال جدٌّ: أوْ تأذنْ لي يا رسولَ اللهِ، فإني رجلٌ أُحِبُّ النساءَ، وإني أخشى إن أني رأيتُ بناتِ بني الأصفرِ أن أُفتَنَ فقال رسولُ اللهِ ﷺ وهو مُعرضٌ عنهُ: «قد أَذِنْتُ لك»[١٥]. فعند ذلك أنزل اللهُ تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة: ٤٩].

ذكرتْ السنة المشرفة أن المسلمين سيهزمونهم في وقائع عدة؛ فعن كعبِ بنِ عديٍّ قال: أقبلتُ في وفدٍ من أهلِ الحيرةِ إلى النبيِّ ﷺ، فعرض علينا الإسلامَ، فأسلمنا، ثم انصرفنا إلى الحيرةِ، فلم نلبثْ أن جاءتنا وفاةُ النبيِّ ﷺ، فارتابَ أصحابي وقالوا: لو كان نبيًّا لم يمت فقلتُ قد مات الأنبياءُ قبلَه، وثبتُّ على إسلامي، ثم خرجتُ أريدُ المدينةَ... وقدمتُ على أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنه فأعلمْتُه، وقمتُ عندَه فوجّهني إلى المقوقسِ، فرجعتُ ووجَّهني أيضًا عمرُ بنُ الخطابِ، فقدمتُ عليه بكتابِه فأتيته.

---

١٤. دلائل النبوة للبيهقي (٢/٥٥٨)، بسند صحيح
١٥. السلسلة الصحيحة ٦/١٢٢٥، بإسناد حسن.



وكانت وقعةُ اليرموكِ ولم أعلم بها فقال لي: أعلمتَ أنَّ الرومَ قتلتِ العربَ وهزمتْهُم؟ فقلتُ كلا قال: ولِمَ؟ قلتَ: إنَّ اللهَ وعدَ نبيَّه أن يُظْهِرَه على الدِّينِ كلِّه، وليس بمخلفِ الميعادِ. قال: فإنَّ نبيَّكم قد صدقكم، قُتِلَت الرومُ واللهِ قتل عادٍ ثم سألني عن وجوهِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فأخبرتُه، وأهدى إلى عمرَ وإليهم. وكان ممن أهدى إليه عليٌّ وعبدُ الرحمنِ والزبيرُ، وأحسبُه ذكر العباسَ[١٦].

ذكرت السنة المشرفة أن المسلمين سيفتحون عاصمتيهم الدينيتين القسطنطينية ورومية؛ فعن سيدي نافع بن عتبة بن أبي وقاص، قال: كنّا مع رسولِ اللهِ ﷺ في غزوةٍ. قال فأتى النبيَّ ﷺ قومٌ من قِبلَ المَغربِ، عليهم ثيابُ الصوفِ، فوافقوه عند أَكَمةٍ فإنهم لَقيامٌ ورسولُ اللهِ ﷺ قاعدٌ، فقالت لي نفسي: ائتِهم، فقُمْ بينهم وبينه؛ لا يغتالُونه ثم قلتُ: لعله نُجِّيَ معهم فأتيتُهم فقمتُ بينهم وبينه فحفظتُ منه أربعَ كلماتٍ، أعدُّهنَّ في يدي قال: «تغزون جزيرةَ العربِ، فيفتحُها اللهُ ثم فارسٌ، فيفتحُها اللهُ ثم تغزون الرومَ، فيفتحها اللهُ ثم تغزون الدَّجالَ، فيفتحه اللهُ»[١٧]. قال: فقال نافعٌ: يا جابرُ لا نرى الدَّجالَ يخرج حتى تُفتَحَ الرومُ.

وفي السلسلة الصحيحة عن سيدي قبيل حيي بن هانئ المعافري رضي الله عنه قال: كنّا عند عبدِاللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ، وسُئِلَ: أيُّ المدينتيْنِ تُفتحُ أولًا القسطنطينيةُ أو روميَّةُ؟ فدعا عبدُ اللهِ بصندوقٍ له حِلَقٌ، فأخرج منه كتابًا، فقال: بينما نحنُ حولَ رسولِ اللهِ نكتبُ، إذ سُئِلَ رسولُ اللهِ: أيُّ المدينتيْنِ تُفتحُ أولًا القسطنطينيةُ أو روميَّةُ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «مدينةُ هرقلَ تُفتحُ أولًا» يعني قسطنطينيةَ.

راعت السنة المشرفة في التعامل معهم -حتى في الحرب- أخلاقيات الإسلام؛ فعن سيدي عمرو بن عبسة رضي الله تعالى عنه قال: كانَ بينَ معاويةَ وبينَ الرُّومِ عَهْدٌ، وَكانَ يسيرُ نحوَ بلادِهِم حتَّى إذا انقَضى

١٦. البداية والنهاية، لابن كثير.
١٧. مسلم (٢٩٠٠).

العَهْدُ غَزاهم، فجاءَ رجلٌ على فرسٍ أو بِرذونٍ وَهوَ يقولُ: اللَّهُ أَكْبرُ، اللَّهُ أَكْبرُ، وفاءٌ لا غدرَ. فنظَروا فإذا هو عمرُو بنُ عَبسةَ، فأرسلَ إليهِ معاويةُ فسألَهُ، فقالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «من كانَ بينَه وبينَ قومٍ عَهْدٌ فلا يَشُدُّ عقدةً، ولا يَحلُّها، حتَّى ينقضيَ أمدُها، أو ينبِذَ إليهم على سواءٍ» فرجعَ معاويةُ[١٨].

ذكرتْ السنة المشرفة أنه سيكون بينهم وبين المسلمين أحيانًا صلح، وتبادلات مختلفة؛ فعن سيدي أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أنَّ ملِكَ الرومِ أهدَى إلى رسولِ اللهِ ﷺ جَرَّةً من زَنجبيلٍ، فقسَمها رسولُ اللهِ ﷺ بين أصحابِه، فأعطى كلَّ رجلٍ قطعةً، وأعطاني قِطعةً[١٩].

ذكرت السنة المشرفة أنهم سيدفعون الجزية للعرب (المسلمين) يومًا ما؛ فعن سيدي عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: مَرِضَ أبو طالبٍ فجاءته قريشٌ، وجاءه النبيُّ ﷺ، وعند أبي طالبٍ مجْلِسُ رجلٍ، فقام أبو جهلٍ كي يَمْنَعَه، قال: وشَكَوْهُ إلى أبي طالبٍ فقال: يا بنَ أخِي ما تريدُ من قومِكَ؟ قال: أريدُ منهم كلمةً تَدِينُ لهم بها العربُ، وتُؤدِّي إليهم العَجَمُ الجِزْيَةَ، قال: كلمةً واحدةً؟ قال: كلمةً واحدةً فقال: يا عَمِّ قولوا لا إله إلا اللهُ». الحديث[٢٠].



من الصحابة السابقين المقربين رومي، ومنهم من قاتل الروم، وحصلت له عجائب؛ فعن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «.... والسُّبَّاقُ أربعةٌ: أنا سابقُ العربِ، وسلمانُ سابِقُ فارسَ، وبلالٌ سابقُ الحبَشِ، وصُهيبٌ سابِقُ الرُّومِ»[٢١].

---

١٨. الاقتراح لابن دقيق العيد، بسند صحيح (١٢٠).

١٩. رواه الإمام ابن جرير الطبري، في مسند علي رضي الله تعالى عنه (٢١٢)، بسند صحيح.

٢٠. سنن الترمذي (٣٢٣٢)، بسند حسن.

٢١. محجة القرب للحافظ العراقي (٤٣١)، بسند حسن.

وعن أبي علي الهمدي أن سيدي فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال: كنا بأرض الرومِ، برودسٍ، فتُوُفِّيَ صاحبٌ لنا، فأمر فَضالةُ بنُ عُبيدٍ بقبرِه فسُوِّيَ... الحديث[٢٢].

وعن أسلمَ أبي عمرانَ رضي الله تعالى عنه قال: قال: غَزونا منَ المدينةِ نريدُ القسطنطينيَّةِ، وعلى الجماعةِ عبدُ الرَّحمنِ بنُ خالدِ بنِ الوليدِ، والرُّومُ مُلصِقو ظُهورِهم بحائطِ المدينةِ، فحملَ رجلٌ على العدوِّ، فقالَ النَّاس: مَه مَه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، يلقي بيديْهِ إلى التَّهلُكةِ، فقالَ أبو أيُّوبَ: «إنَّما نزلت هذِهِ الآيةُ فينا معشرَ الأنصارِ لمَّا نصرَ اللَّهُ نبيَّهُ، وأظْهرَ الإسلامَ قلنا: هلمَّ نقيمُ في أموالِنا ونصلحُها»، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، فالإلقاءُ بالأيدي إلى التَّهلُكةِ أن نقيمَ في أموالِنا ونُصلِحَها وندَعَ الجِهادَ. قالَ أبو عمرانَ: فلَم يزَل أبو أيُّوبَ يجاهِدُ في سبيلِ اللَّهِ حتَّى دفنَ بالقسطنطينيَّةِ[٢٣].

وعن سيدي محمد بن المنكدر رضي الله تعالى عنه مرفوعًا، أنَّ سفينةَ مولى رسولِ اللهِ ﷺ أخطأ الجيشَ بأرضِ الرومِ، أو أُسِر، فانطلق هاربًا يلتمس الجيشَ، فإذا هو بالأسدِ، فقال: يا أبا الحارثِ أنا مولى رسولِ اللهِ ﷺ، كان من أمري كَيتُ وكيتُ فأقبل الأسدُ له بصبصةٌ حتى قام إلى جنبهِ، كلما سمع صوتَه أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه، حتى بلغ الجيشَ، ثم رجع الأسدُ[٢٤].

ذكرتْ السنة المشرفة أن المسلمين سيقلدونهم ويتبعون سننهم.. انبهارًا وخورًا، فعن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم مرفوعًا: «لتتَّبعنَّ سننَ من كانَ قبلَكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتَّى لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتُموهُ». قالوا: اليَهودَ والنَّصارى؟ قالَ: «فمَن؟» وفي روايةٍ: فارسُ والرُّومُ؟ قالَ: «ومَنِ النَّاسُ إلَّا أولئكَ»؟[٢٥]

نهتِ السنة المشرفة عن لبس أزيائهم انبهارًا وخورًا، عن سيدي عبد الرحمن بن مل النهدي رضي الله تعالى عنه قال: «... وإياكم والتَّنعمَ، وزيَّ أهلِ الشركِ، ولبوسَ الحريرِ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهى عن لُبوسِ الحرير»[٢٦].

ونكمل في المقال القادم إن شاء الله

٢٢. صحيح مسلم (٩٦٨).
٢٣. صحيح سنن أبي داود (٢٥١٢).
٢٤. تخريج مشكاة المصابيح (٥٨٩٣)، بسند صحيح على شرط مسلم.
٢٥. في الصحيحين (٧٣٢٠، ٢٦٦٩) وغيرهما.
٢٦. مسلم (٢٠٦٩).

الأسرة الكتانية وخدمتها للسُّنة (٥)

د. الحسن بن علي الكتاني*



عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



١٠. محمد المكي الكتاني:

محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني.

وُلد بمدينة فاس عام ١٣١٢، وأخذ بها عن أعلامها، ثم هاجر مع والده للمدينة المنورة عام ١٣٢٥، ثم عام ١٣٢٨، وأخذ بها عن أعلام الحجاز. ثم انتقل رفقة والده وأهله لدمشق عام ١٣٣٦، التي لازم بها -إضافة إلى دروس والده- دروس نخبة من أعلامها؛ خاصة بدر الدين بن يوسف البيباني، ومحمد أمين سويد، ومحمد توفيق الأيوبي.. وغيرهم.

---

* المراجع: النبذة (ص٤٠٨)، عقد الزمرد، الدليل المشير (ص٣٩٤)، من أعلام المغرب العربي ص٢٦٢، إتحاف المطالع (٢/٦٢٠)، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر (٢/٩٠٩)، ومن هو في سوريا (٦٣٢)، أعلام دمشق في القرن الرابع عشر (٢٩٧)، فهرست الشيوخ والأسانيد (ص٢٩٧)، معلمة المغرب المجلد ٢٠، قسم الكتانيين..ومنطق الأواني (ص١٢٧) وأصل الترجمة مأخوذ منه بقلم شقيقي الدكتور حمزة الكتاني حفظه الله.

وفي عام (١٣٤١) زار تركيا بدعوة من الإمام المجاهد أحمد الشريف السنوسي رفقة والده وشقيقه، وقلدته الدولة العثمانية وسام العظمة لجهوده في نصرة المجاهدين في ليبيا والمغرب وغيرهما، وفي عام (١٣٤٣) زار الهند داعية وطالباً للعلم رفقة شقيقه الأكبر الشيخ محمد الزمزمي ومر في طريقه على العراق.

ثم عاد إلى فاس مع والده عام ١٣٤٥ حيث مكث بها أقل من سنة رجع بعدها إلى دمشق ليستقر بها باقي عمره ناشراً للعلم، وباثاً للتوجيهات الإسلامية، فظل يُقرئ فيها شتى العلوم من حديث وفقه وتوحيد وتصوف، ويربي الأجيال في منزله بحي العمارة، وبالجامع الأُموي، وبجامع مازي، والتكية السليمانية، وغيرها من المحال والمدن التي واظب على زيارتها في جميع بلاد الشام. ثم تولى منصب مفتي المذهب المالكي بسوريا.


الشيخ محمد المكي الكتاني

الجهاد ضد الاستعمار

وكان ذا اهتمام كبير بالقضايا الإسلامية، ومحاربة الاستعمار بشتى وجوهه، فأسس في دمشق جمعية (الكف الأسود)، واختار لها أربعين رجلاً من كبار رجالات السوريين العقلاء، والناهضين بالقضايا الإسلامية عامة، ولدعم المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب، والإنكليزي في فلسطين، والإيطالي في ليبيا، فجمع شبان الأحياء في دمشق ودربهم على الخيول والأسلحة للجهاد في سبيل الله ضد الفرنسيين، وأعد حوالي خمسمائة خيال، سميت بعد ذلك بـ: رابطة شبان دمشق.

ولما أُنشئت المقاومة الشعبية عام ١٣٧٦ اشترك فيها، وتدرب مع زملائه من العلماء على حمل السلاح والرمي، وأسهم فعلياً في محاربة اليهود المحتلين لفلسطين بإرسال الرجال والأسلحة والعتاد. وبعد انقضاء القتال في فلسطين استمر هو وجماعة من قادة فلسطين في قض مضاجع الصهاينة في مواطنهم الهامة بنسف المطارات وأماكن الأسلحة، وبإرسال الفدائيين لهذا الغرض.

قال ابنه الدكتور عبد القادر حفظه الله: هذا وقد أسهم إسهاماً فعالاً في الجهاد ضد القوات الفرنسية الغازية والتحذير منها ومن عملائها من الأحزاب والشخصيات الإلحادية، داعياً إلى الإعداد والجهاد ومسهِماً فيه مع إخوانه من الزعماء الوطنيين، أمثال الشيخ محمد الأشمر والحاج شريف آل رشي وأبي ياسين الكردي الذين كانوا من خلص أحبابه، وغيرهم من زعماء الثوار الوطنيين المؤمنين، إذ كان مرجل نار وثورة متأججة متنقلة في أحياء دمشق والمحافظات، يقيم الدنيا على المستعمرين ويؤلب عليهم الثوار ويشترك فعلياً في الجهاد، فكثيراً ما كنت تراه راكباً فرسه وبندقيته في يده مدرِباً تلاميذه وأبناءه على اقتناء وركوب الخيل، وكان دائماً ما يحث تلاميذه وأحبابه على الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وطرد المستعمر الغاصب عن كل أقطار الإسلام، باذلاً لهم من جهده وماله ودمه.

كما أسهم رضي الله عنه بإنشاء فرقة فدائية فلسطينية أسماها (شباب فلسطين)، من بعض تلاميذه وأحبابه الذين تكاثروا في بلاد الشام من فلسطينيين وأردنيين وسوريين، وذلك من عام (١٣٥٥هـ ١٩٣٦م)، وكان مدركاً إدراكاً كاملاً لخطورة الهجمة الصهيونية الصليبية والاستعمارية على حياة ومستقبل الأمة العربية والإسلامية؛ مما دعاه لمضاعفة دعمه للمجاهدين في فلسطين مادياً ومعنوياً، حيث أسس لهذا الغرض عدداً من الجمعيات والمنتديات الفكرية



والتي كان منها (شباب محمد) و(رابطة شباب دمشق)، بهدف الإصلاح الديني ومكافحة قوى الاستعمار والإلحاد، حيث أصبح منزله قِبلة للمواطنين المناضلين والعلماء والمثقفين المخلصين.

كما أسس جمعية تحرير المغرب العربي لدعم المجاهدين الجزائريين، والتي سُميت فيما بعد: (جمعية أنصار المغرب وتحريره)، وعيّن أشخاصاً عليها، وعند استقلال الجزائر عيّن معظمهم في مناصب هامة بالدولة. كما عمل في دعم الجهاد الجزائري مشروع الفرنك، المعتمد على إرسال السلاح بدل الأموال، بحيث قال الجزائريون أنفسهم فيما بعد: كانت هي السبب في انتصارنا.



قال ابنه الدكتور عبد القادر: على الرغم من انشغاله بمشاكل المشرق العربي والعمل لما فيه مصلحة العرب والمسلمين فيه، إلا أن ذلك لم يحُل بينه وبين اهتمامه بقضايا وطنه الأم المغرب العربي، فقد كانت داره ملتقى المجاهدين والثوار والزعماء والطلاب المغاربة على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم. مما دفعه لتأسيس (جبهة تحرير المغرب العربي) لدعم جهاد إخوانه المغاربة ولتقديم العون المادي والسياسي والأدبي للمجاهدين المغاربة في كل من الجزائر والمغرب وتونس، وذلك بالمشاركة الفعالة مع عدد من الزعامات السورية الوطنية السياسية والدينية وخصوصاً التي تنحدر من أصول مغاربية، كالأمير سعيد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر، والشيخ محمد الهاشمي الجزائري، والشيخ زين التونسي، والشيخ أحمد التلمساني، والأمير الحسن والأمير أنيس من أحفاد الأمير عبد القادر، وبعض المفكرين والعلماء والوجهاء السوريين.

فكان داره تغص بالوافدين من علماء وزعماء المجاهدين في سوريا والمغرب، فقد استضاف غير ما مرة الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، والزعيم علال الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني من المغرب، وأحمد بن بيلا، وعباس فرحات، وهواري بومدين، والشيخ البشير الإبراهيمي من الجزائر، والحبيب

بورقيبة، والشيخ ابن عاشور وغيرهم من تونس، والمجاهد العلامة السيد أحمد (الشريف) السنوسي، والشيخ بشير السعداوي من ليبيا.


الشيخ المكي والعلامة البشير الإبراهيمي

وذلك خلال فترة كفاحهم الوطني لنيل الاستقلال، وأقام لهم المؤتمرات والمهرجانات لدعم حركاتهم الوطنية سياسياً ومالياً، هذا وكان منزله ولا يزال بيت المغاربة في المشرق، طلبة علم وزائرين، وقد أكد هذا المعنى الملك الحسن الثاني بقوله له أثناء استقباله له: «إنني أعتبركم السفير الدائم للمغرب في المشرق». وذلك خلال زيارة فضيلته للمغرب بدعوة من الملك الحسن الثاني عام (١٣٨٢هـ ١٩٦٢م)؛ حيث استُقبل استقبالاً رسمياً وشعبياً في كافة المدن والمناطق التي زارها؛ حيث كان يستقبله أمراء المناطق وحكامها على أبواب مدنهم ومناطقهم، وحيث أصبح حديث الصحف والإذاعة والتلفزة طيلة زيارته للمملكة، كما استقبله الملك عدة مرات خلال هذه الزيارة وكان أن قابله بإحدى هذه الزيارات بقوله: «إنني أعلم المكانة السامية التي تتمتعون بها في قلب كل عربي ومسلم نتيجة كفاحكم المتواصل لخدمة الإسلام والمسلمين، ولا أدل على ذلك من أن جميع الحكومات المتعاقبة على الحكم في سورية تطلب نصحكم وإرشادكم».

ودعاه الملك الراحل للرجوع للمغرب ليستفيد المغاربة من توجيهاته ونصائحه وحنكته السياسية، وعند زيارته لمنطقة سوس استقبله جميع علمائها واستجازوه في علم الرواية والإسناد.

هذا وقد حث علماء المغرب على تأسيس رابطة للعلماء فيها، ولم يغادر المغرب حتى جمع أغلب علمائه تحت رايتها إثر مؤتمر عقدوه بمدينة فاس بمشاركته التوفيقية والفعالة.

كما أسس (رابطة علماء سوريا) عام ١٣٦٥، ووجه أعمال الرابطة بتوحيد الصف في سوريا ضد الاستعمار وأعوانه، فاكتسبوا بذلك النجاح الكامل في الانتخابات بالمجلس النيابي، حيث امتلأ المجلس بمرشحي رابطة العلماء، وصدرت عنها إذ ذاك بيانات متعددة مهمة؛ من أهمها: (مؤتمر علماء سوريا) في يومي ٢٤، و٢٥ ذي القعدة عام ١٣٧٦، لبحث قضية الجزائر والمذابح التي يقوم بها الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، طُبع نَصه في مجلة (التمدن الإسلامي) وقتها. كما كان أول مَن نادى بتأسيس (رابطة العالم الإسلامي) والدعاية لها في العالم، بل مؤسسها الفعلي.


المكي يقود تجمعا جماهيرياً ضد الاستعمار الفرنسي

كما مثل الشيخ المكي الكتاني المغرب وسوريا في الندوات والمؤتمرات الإسلامية والعربية؛ منها: أول مؤتمر إسلامي اشترك به في القدس الشريف، وكان أول مؤسس فيه بالاشتراك مع مفتي القدس الحاج أمين الحسيني رحمه الله تعالى، حيث كانت الحركة دائمة للوفود والمؤتمرات والثورات، حتى إن الحاج أمين الحسيني أخذ شعار الشيخ الكتاني الذي سمى به حركته الفدائية أثناء الاستعمار الفرنسي لسوريا، وسمى بها حركته بفلسطين: (حركة الكف الأسود).

وفي عام ١٣٥٣، زار الهند رفقة شقيقه الشيخ محمد الزمزمي الكتاني، وزار بها عدة مدارس علمية إسلامية، خاصة جامعة ديوبند التي التقى بها بإمام الهند الشيخ محمد أنور شاه الكشميري وأخذ عنه، والتقى بها بعدة زعماء مسلمين، ومكث بها فترة داعياً ومربياً ومرشداً.

كما كان المترجم دائم الزيارة لبلاد الحرمين التي ربط بها علاقات وطيدة مع ملوكها: عبد العزيز، وسعود، وفيصل، وكان دائم التوجيه والنصيحة لهم.



مع الرئيس جمال عبد الناصر

كما ربطته علاقات مع رئيس مصر جمال عبد الناصر، قبل أن يظهر عداوته للإسلام وأهله، كان من ثمرتها: تأسيس الجمهورية العربية المتحدة، والتي انحلت فيما بعد بسبب نكوص الرئيس المصري عن العمل الإسلامي.

قال ابنه الدكتور عبد القادر: وكان من المنادين والمتحمسين للوحدة العربية توطئة برأيه للوحدة الإسلامية الكبرى، ولذلك دعم بكل ما أوتي من قوة قيام الوحدة السورية المصرية وقيام الجمهورية العربية المتحدة، وتحققت الوحدة وهي حلم كل عربي مخلص لعروبته وإسلامه.. إلا أن عبد الناصر الذي وعد الإمام الكتاني ووفد رابطة العلماء خلال زيارتهم للقاهرة قبيل الوحدة بدعوة منه بالعمل بالشورى والديمقراطية ووفق مقاصد الشريعة الإسلامية، وتجديد أمجاد خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي، إلا أنه وبعد أن استتب له الأمر في دمشق قلب لهم ظهر المجن وأحاط نفسه ببطانة بوليسية مخابراتية، بدلاً من الاعتماد على الأحزاب والشخصيات الوطنية المؤمنة ذات الشعبية العريضة، عوضاً عن إقامة دولة المؤسسات الديمقراطية، سارع إلى إلغاء الأحزاب والجمعيات، وكمم أفواه المفكرين والمصلحين، وحل الأحزاب الوطنية كلها، ومارس مسرحيات انتخابية أوصلت للبرلمان أتباعه ومؤيديه، فخابت آمال معظم السوريين بالوحدة، وأصبحت الوحدة شبحاً مرعباً بعد أن كانت حلماً وطنياً مميزاً.. مما دعا العلماء وعلى رأسهم رابطة العلماء بوجود رئيسها الإمام الميداني والإمام الكتاني والشيخ الطنطاوي وكبار العلماء، لتنظيم تجمعات شعبية أسبوعية في مساجد دمشق لانتقاد الحكم وبيان مساوئه بالطرق السلمية والديمقراطية، وقد أصبحت هذه الاجتماعات محط أنظار الشعب السوري ومتنفسه الوحيد، وقد طافت هذه المجالس على

أهم مساجد دمشق وجوامعها، وبدأت الحكومات البوليسية بمحاربتها ومضايقة منظميها وقادتها، وازدادت النقمة الشعبية على النظام البوليسي المخابراتي بازدياد الظلم والقمع العسكري لكل مخالف، مما أدى لتمزيق عرى الوحدة.

وفي عام ١٣٨٣ أشرف على ميثاق وطني يضم جميع الأحزاب السياسية والحركات والجمعيات الإسلامية بسوريا، ووضع مناهج جديدة في ميدان التعليم من شأنها الحفاظ على الوجود الإسلامي بالبلاد.

رجل من طراز فريد



كان الشيخ مكي الكتاني فريد وقته، فإضافة إلى ملكته العلمية التي ورثها عن والده الإمام محمد بن جعفر الكتاني وغيره من كبار علماء المشرق؛ خاصة في علم الأصول، فقد كان مرشداً مربياً، كثير التجول من أجل الدعوة إلى الله تعالى، لا يهاب في سبيل ذلك أحداً، بحيث أخذ عنه وتخرج جل المشايخ ببلاد الشام.

وكان يعد من كبار علماء الرواية والإسناد في عصره، بفضل أئمة العلم والحديث الذين استجازهم فأجازوه بالمغرب والحرمين الشريفين، وسورية والعراق، ومصر وتركيا والهند.. والذين يقارب عددهم المائة.

وكان سياسياً محنكاً، مارس السياسة وخاض عبابها، غير أنه سخر كل نفوذه من أجل خدمة دينه والقيم الإسلامية، بحيث ترك المناصب كلها وراء ظهره، فقد عرض عليه زمن الوجود الفرنسي بالشام أن يتولى رئاسة الدولة؛ فأبى، ثم طلبوا منه أن يختار الوضع الذي يريده في الحكم، من ملكية أو جمهورية أو غير ذلك؛ فأبى رغبة في عدم التمشي تحت ظل المحتل الأجنبي، وتجريد نشاطه لوجه الله تعالى.

ترك الشيخ مكي الكتاني آلافاً من التلاميذ بالمشرق والمغرب، وعدة مؤلفات، منها:

- تعليق على كتاب العلم المحمدي، لوالده، ونصيحة عامة، ومجموعة كبرى من المقالات والاستجوابات التي نشرتها صحف المشرق والمغرب، ورحلة للمغرب عام ١٣٨٢ دوّنها له ابن عمه العلامة عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني.

أدبه وأخلاقه وسيرته

قال ابنه الدكتور عبد القادر حفظه الله: امتاز سيدي المكي بالاستقامة والكرم والنشاط والحيوية والحياء والأدب الجم والذوق الرفيع مع الصغير والكبير والأمير والأجير، والعمل الدؤوب في التحصيل العلمي وعدم إضاعة الوقت إلا في العمل المثمر، فنشأ في مروءة وتقوى لا يعرف للراحة سبيلاً، فهو إما في محراب العلم دارساً أو مدرّساً، وإما في عمل جهادي أو اجتماعي أوطني أو إصلاحي هادف، إذ كان يمثل أخلاق النبي الكريم والسيرة النبوية العطرة في كل أحواله وأفعاله وأقواله، من حلم وشجاعة وتواضع وكرم وصلة رحم وإصلاح ذات البين، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، ومحبة واحترام الصالحين والعلماء وآل البيت ودعمهم مادياً واجتماعياً.

ومن قواعده التي بنى عليها أمره: الحب في الله والبغض في الله، ومن صفاته رضي الله عنه أنه كان شديد البر بوالده كأعظم ما يكون البر، ومن بره بوالده أنه كان لا يخالف له أمراً، ولا يحد فيه بصراً، ولا يرفع صوته في حضرته، وكان دائم الخدمة لضيوف والده، وكان ساعياً للخير والصلح، يحب الخير وأهله والمنتسبين إليهم، ويحب الأشراف ويحترمهم ويكرم الجميع، وكان رحمه الله يرحب بالصغير والكبير والفقير قبل الغني، والدراويش قبل الوجهاء والأمراء، يحب أهل العلم وطلبته ويفرح بلقائهم، لا بل كان يحب الأمة كلها ويهتم بشؤونها العامة والخاصة أكثر من اهتمامه بأهله وأبنائه وشؤونه الخاصة، وكان أغلب كلامه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحِكم العربية التي كانت لا تكاد تفارق شفتيه.


الإمام المكي وشقيقه الإمام الزمزمي

ولا أظنني أذيع سراً إذا ما أخبرتكم أن أكثر من أربعين بالمائة من الأحاديث التي أوردتها في كتابي صفوة الأحاديث النبوية الشريفة سبق وحفظناها على يدي سيدي الوالد، موائده عامرة وبابه مفتوح دائماً للصغير والكبير والقريب والغريب، وخصوصاً في رمضان، حيث يقصد مائدة إفطاره اليومية المشهورة العديد من أحبابه ومريديه فهي مفتوحة (ولا تزال بفضل الله) ومنذ أكثر من تسعين سنة لكل مَن قصدها، وأغلبهم من الفقراء والمساكين، وكان يقول لأهله وأولاده: «إن الضيف يأتي برزقه ويذهب بذنوب أهل البيت». وكان كثيراً ما يردد قول المصطفى ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب وصنائع المعروف تقي مصارع السوء». وكان يحض على إطعام الطعام وكان يقدم الطعام لضيوفه في وقت الطعام وغيره.

وكانت مجالسه مجالس هيبة وعلم وذِكر ومذاكرة وإنشاد وإرشاد وتراجم للعلماء والصالحين من السلف الصالح، ونكت ونوادر أدبية رائعة في جلسة تجمع بين روحه الجمالية وهيبته الجلالية، وكان كثيراً ما يقول لأبنائه: «إن شرف الانتماء للعترة الطاهرة لا يعني أبداً التميز عن الخلق والتعالي عليهم، بل هو شرف خدمتهم وخدمة العلماء والصلحاء».

وكان رضي الله عنه عطوفاً على أبنائه وأقاربه، رحيماً بهم واصلاً لهم، يبدؤهم الزيارة والإكرام في العيدين ورمضان وغيرهما من المناسبات الإسلامية.

تُوفي بدمشق إثر عملية جراحية في ٢٦ ذي القعدة الحرام عام ١٣٩٣، وشُيع في محفل لم تشهد دمشق مثله إلى روضة الشرفاء الكتانيين بمقبرة الباب الصغير بها.

مساحة إعلانية

سلسلة
السيرة النبوية

الشيخ د. محمد الصغير
الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

من نبعته إلى بعثته ﷺ
من بعثته إلى هجرته ﷺ
من هجرته إلى وفاته ﷺ
الغزوات النبوية

سلسلة السيرة
النبوية الفرنسية

محمد إلهامي
عضو الأمانة العامة
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات
ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين،
تحقيقا لقوله تعالى﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

السيرة النبوية الفرنسية

مساحة إعلانية

سلسلة شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى



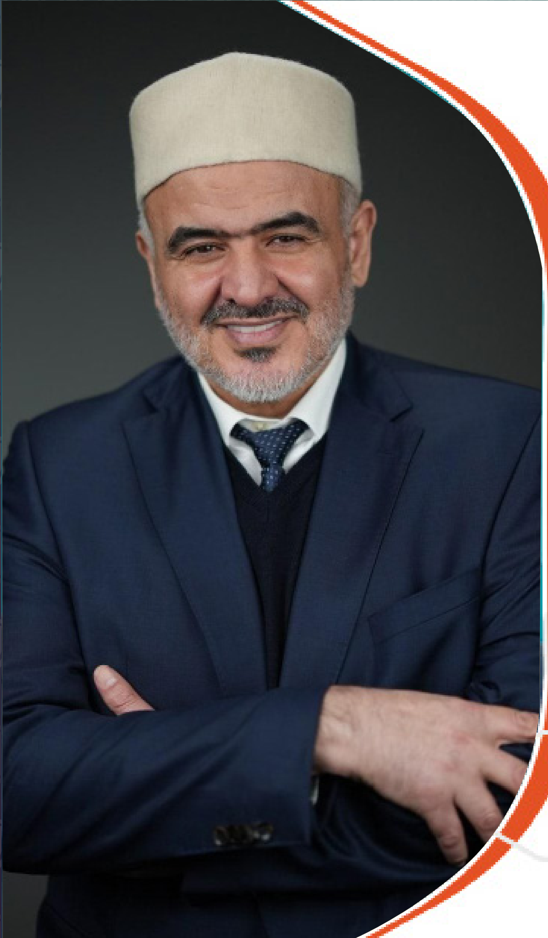
الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

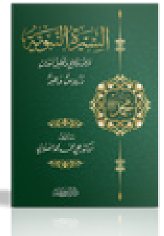
 سلسلة شرح كتاب الشفا

كتاب السيرة النبوية بعدة لغات



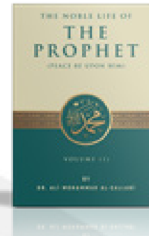
الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي



١ ٢





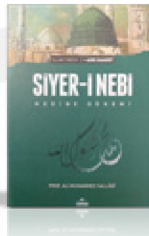
١ ٢ ٣





١ ٢





١ ٢



مساحة إعلانية



الأرجوزة الميئية

في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية لابن أبي العز الحنفي

تعليق الشيخ: مختار بن العربي مؤمن الجزائري الشنقيطي

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية



كتاب رياض الصالحين

للإمام النووي (صوتيا)

زبدة أحاديث السنة النبوية كما جمعها الإمام الكبير محيي الدين شرف النووي

بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

رابط الكتاب المسموع

يمكنك تحميله كتطبيق على الهاتف من هنا

أئمة الهدى

﴿قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾

من تراث علمائنا الراحلين

موضوع سورة البقرة

د. محمد عبد الله دراز



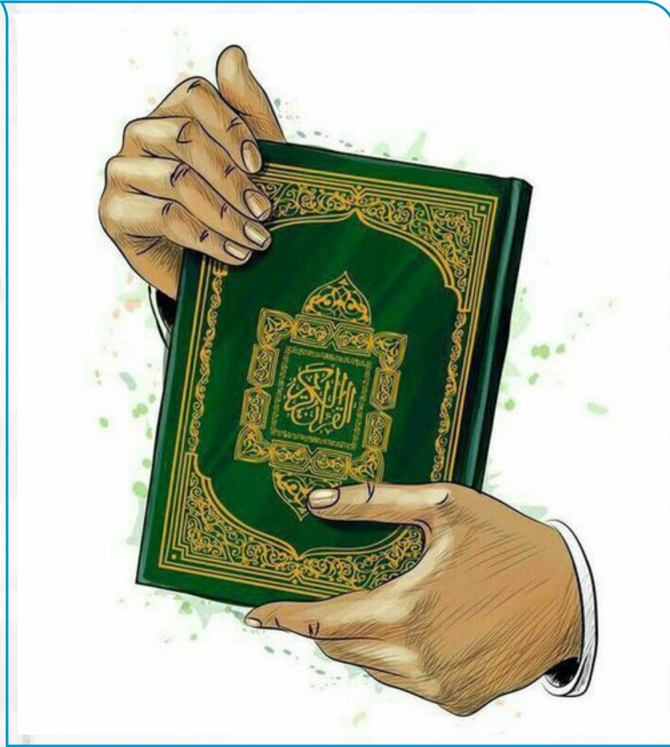
رحمه الله*

اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة. على هذا الترتيب:

المقدمة: في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم. وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص٢٤٢-٢٣٢.

- **المقصد الأول:** في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.
- **المقصد الثاني:** في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق.
- **المقصد الثالث:** في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.
- **المقصد الرابع:** ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم من مخالفتها.
- **الخاتمة:** في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم في أجلهم وعاجلهم.

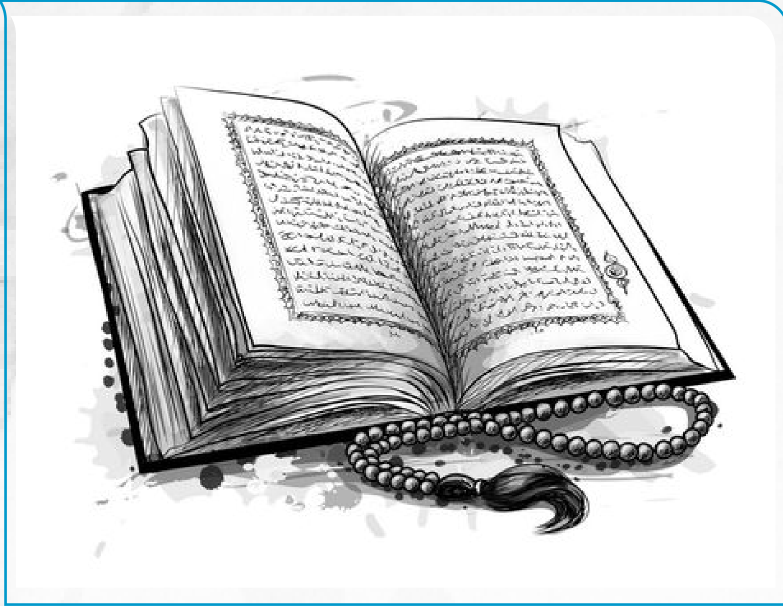


رغبتنا إليك أيها القارئ الكريم حين تدرس معنا تفاصيل هذا النسق أن تستظهر بالمصحف بين يديك؛ لتكون من الموقنين بصحة ما نشير إليه في كل خطوة .

المقدمة في عشرين آية (١- ٢٠)

١ بدأت السورة الكريمة بثلاثة أحرف مقطعة، لا عهد للعرب بتصدير مثلها في الإنشاء والإنشاد؛ وإنما عهدوها من القراء الكاتبين في بدء تعليمهم التهجي للناشئين «أ . ل . م» .

" ومهما يكن من أمر المعنى الذي قصد إليه بهذه الأحرف، والسر الذي وُضعت هنا من أجله، فإن تقديمها بين يدي الخطاب مع غرابة نظمها وموقعها، من شأنه أن يوقظ الأسماع ويوجه القلوب لما يلي هذا الأسلوب الغريب. "



٢ وأُلحقت بهذه الأحرف الثلاثة جمل ثلاث:

أما أولاهن فإعلان للسامع أن ما سُيتلى عليه الآن هو خير كتاب أُخرج للناس، وأنه ليس في الوجود ما يصلح أن يسمى كتاباً بالقياس إليه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢]

وأما الأخريان فيدعمان هذا الحكم بالحجة والبرهان. أليس تفاضل الكتب إنما هو بمقياس ما تحويه من حق لا يشوبه باطل؟ أوَ ليس كمال هذا الحق أن يكون نيراً لا يثير شبهة؟ أوَ ليس أكمل الكمال بعد هذا وذاك أن يكون ذلك الحق مما تمس إليه حاجة الناس في إنارة السبيل وإقامة الدليل إذا ما اشتبهت عليهم السبل وتفرقت المسالك؟

فذلكم القرآن هو جماع هذه الفضائل الثلاث: فهو الحق المحض الذي لا باطل فيه، بل هو الحق اللائح الذي لا شبهة باطل فيه، ثم هو بعد ذلك الهدى المبين الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]

هكذا كان موقع هذه الجمل الثلاث بعد تلك الأحرف الثلاثة موقع التنويه بالمقصود بعد التنبيه إليه.

"وكذلك المربي الصالح «يبدأ» خطابه الجليل الشأن باستنصات الناس واسترعاء أسماعهم، «ويثنّي» باتخاذ الوسائل المشوقة التي تثير فيهم بواعث الإقبال على طلب الاستفادة."

٣ أول ما تتشوف إليه النفس بعد سماع هذا الوصف البليغ للقرآن وهدايته هو تعرف الأثر الذي سيحدثه في الناس ومقدار إجابتهم لدعوته. فمست الحاجة إلى أن ينساق الحديث لبيان هذه الحقيقة العجيبة، وهي انقسام الناس في شأنه إلى فئات ثلاث: فئة تؤمن به، وأخرى كافرة، وثالثة مترددة حائرة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

فكيف ترى ينتقل من الحديث عن الكتاب إلى الحديث عن الناس؟ أيجعل الحديث عنهم حديثاً مؤتنفًا ائتنافًا بحتاً؟ أم يسوقه مساق الاستدراك على ما قبله؟

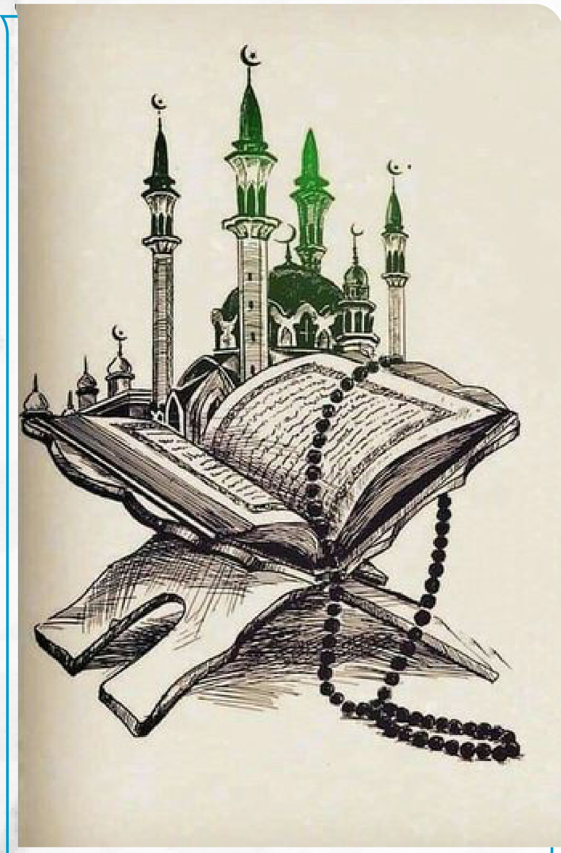
”شيء من ذلك لم يكن. ولكن انظر إليه وقد مزج الحديثين مزجاً عجيباً يدع أدق الناس فطنة لتصريف وجوه القول لا يفطن لما حدث بينهما من الانتقال.“

ذلك أنه في أول الأمر لم يعرض لذكر الطائفتين الأخيرتين، بل أعرض عنهما، كأن القرآن لم ينزل من أجلهما، ثم عمد إلى الطائفة الأولى فجعل الحديث عنها من تمام الحديث عن هداية القرآن نفسه قائلاً: إنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣] فكانت هذه «اللام الجارة» هي المعبرة السرية التي انزلق عليها الكلام وانصب انصباباً واحداً إلى نهاية الحديث عن المؤمنين.



٤ ولقد كان قصر الانتفاع بهداية القرآن على هذه الطائفة وحدها بعد وصف القرآن بأنه الحق الواضح الذي لا ريبة فيه -حريًّا في بادئ الرأي أن يعد من المفارقات التي تثير في نفس السامع أشد العجب، إذ كيف تكون الحقائق القرآنية بهذه المرتبة من الوضوح ثم لا تنفذ إلى قلب كل من يسمعها؟!

ومن جهة أخرى فقد كان موقف هذا النبي الرحيم ﷺ في جده البالغ في دعوة أمته، وحرصه الشديد على هدايتهم، مصوراً له عين من يراه بصورة الطامع في إيمان الناس أجمعين، الظان أن هذه الأمنية ستصبح في متناول يده متى أخذ في أسبابها العادية، كأنه يرى أن ليس بينهم وبين هذه الهداية إلا أن يصل صوت القرآن إلى آذانهم فإذا هم مسلمون. ذلك أن القرآن يكاد يحدد الآن مهمته ويقول: إن الذي سينتفع بهداه إنما هم المتقون. فكان هذا التحديد مظنة لأن يبتهل الرسول ﷺ إلى ربه قائلاً: سبحانك اللهم، ولم لا يهتدي به الناس أجمعون؟!



وجب إذاً أن تقرر الحقيقة بصورة حاسمة لكل طماعية وتردد، مريحة للنفس من طلب ما لا سبيل إليه، وأن تبين مع ذلك الموانع الطبيعية من عموم هداية القرآن بأسلوب ينزه القرآن نفسه عن شائبة القصور، ويرد النقص إلى قابلية القابل لا إلى فاعلية الفاعل، وهل يغض من مهارة الطبيب أن يُعرض المريض عن تناول الدواء منه فيموت بجهله؟ وهل يضير الشمس ألا ينتفع بنورها العمي أو المتعامون؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]

"هكذا انتقل الحديث عن المؤمنين الذين سبقت لهم الحسنى، إلى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب، لا على وجه اقتران الحديثين في القصد من أول الأمر، إذاً لعطف أحدهما على الآخر، بل على وجه يُبنى فيه بعض الكلام على بعض، إجابة لهذا السؤال الذي نطقت به الحال، وإزالة لذلك التعجب الذي أثاره سابق المقال. وهذا هو ما يسميه علماء البلاغة بالاستئناف البياني."

٥ وجرى الحديث عن هؤلاء إلى نهايته فانضم الشكل إلى شكله، وعطفت الطائفة الثالثة على أختها؛ لأنهم في التجافي عن الهدى مشتركون، تتشابه قلوبهم وإن اختلفت ألسنتهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].



٦ وارجع الآن قليلاً إلى نظام الأحاديث عن الطوائف الثلاثة، لترى كيف تقابلت أوضاعها أتم التقابل، فقد اشتمل الحديث في كل طائفة على ثلاثة عناصر مرتبة على هذا النمط: وصف الحقيقة الواقعة، فبيان السبب فيها، فالإخبار عن نتيجتها المتنظرة.

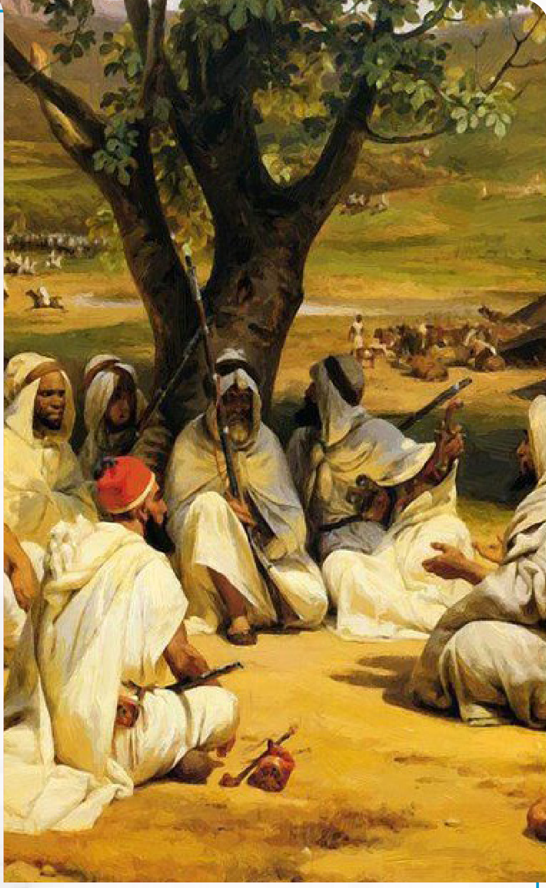
«فحقيقة» الطائفة الأولى أنهم قوم حصلوا فضيلة التقوى بركنيها العلمي والعملي. «سبب ذلك» استمساكهم بالهدى وإمدادهم بالتوفيق من ربهم «ومآل أمرهم الفوز والفلاح».

«وحقيقة» الطائفة الثانية أنهم مجردون من أساس التقوى وهو الإيمان، وأنهم مصرون على ذلك إصراراً لا ينفع معه إنذار. و«السبب» عدم انتفاعهم بما وهبهم الله من وسائل العلم، فلهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها. «وعاقبة أمرهم العذاب العظيم».

«وحقيقة» الطائفة الثالثة صفة مركبة من ظاهر خير وباطن سوء. فهم يقولون بألسنتهم: إنهم مؤمنون. وليس في قلوبهم من الإيمان شيء. ولكل من الوصفين «سبب» و«جزاء» أما دعواهم الإيمان فسببها قصد المخادعة، وجزاء الخداع عائد إليهم. وأما إسرارهم الكفر فسببه مرض قلوبهم وجزاؤه زيادة المرض والعذاب الأليم.

وكما بين في الطائفة الثانية أنها بلغت من الإصرار والغباوة مبلغاً لا يجدي معه الإنذار، بين في الطائفة الثالثة أنها بلغت من الغرور والجهالة المركبة مبلغاً لا ينفع فيه نصح الناصحين. فهم المفسدون ويزعمون أنهم المصلحون، وهم السفهاء ويزعمون أنهم الراشدون. ومن لك بشفاء سقيم يعتقد أنه سليم؟

ثم كما ختم الكلام في شأن الطائفة الأولى بأن سجل لهم وصف الهدى والفلاح، ختم الكلام في شأن الطائفتين الأخريين بأن سجل عليهما وصف الضلالة والخسران.



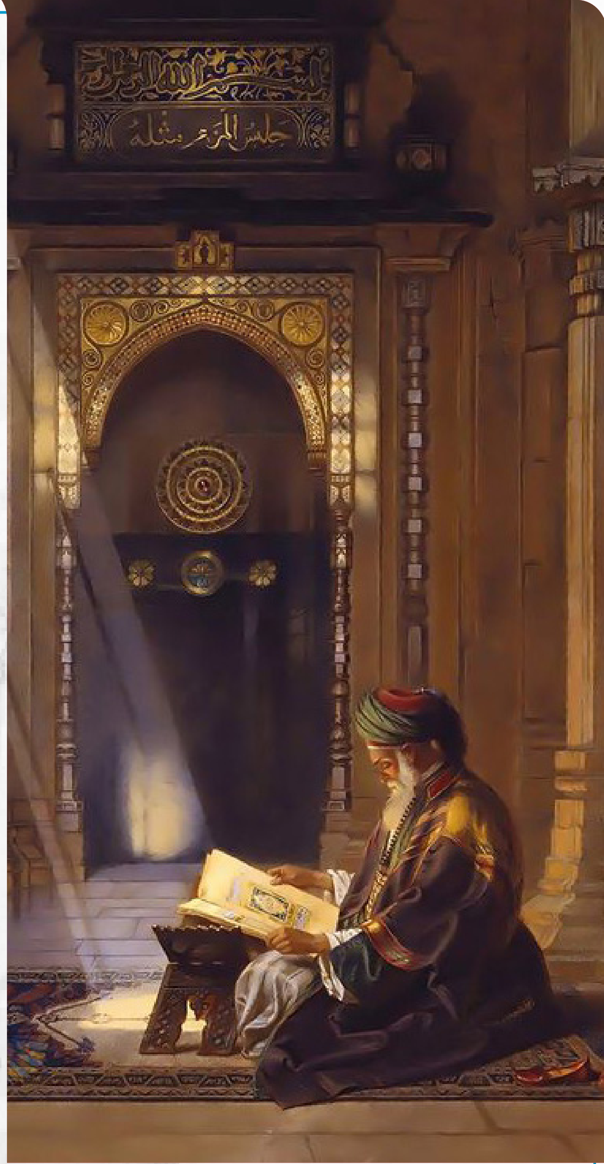
٧ على أن هذه الأوصاف التحقيقية للطائفتين لم تكن وحدها لتشفي النفس من العجب في أمرهم، فالعهد بالناس أنهم إنما يختلفون في الأمور الغامضة لا في الحقائق البينة، فاختلاف هؤلاء في شأن القرآن على وضوحه يُعد شاذاً عن العادات الجارية، محتاجاً إلى وصف تمثيلي يقربه من المشاهد المحس، حتى يطمئن القلب إلى إمكانه.

لذلك ضرب الله لكلتا الطائفتين مثلاً يناسبها .

فضرب مثلاً للمصرين المختوم على قلوبهم بقوم كانوا يسيرون في ظلام الليل فقام فيهم رجل استوقد لهم ناراً يهتدون بضوئها، فلما أضاءت ما حوله لم يفتح بعض القوم أعينهم لهذا الضوء الباهر، بل لأمر ما سُلبوا نور أبصارهم وتعطلت سائر حواسهم عند هذه المفاجئة؛ فذلك مثل النور الذي طلع به محمد ﷺ في تلك الأمة الأمية على فترة من الرسل، فتفتحت له البصائر المستنيرة هنا وهناك، لكنه لم يوافق أهواء المستكبرين الذين أِلفوا العيش في ظلام الجاهلية، فلم يرفعوا له رأساً، بل نكسوا على رءوسهم ولم يفتحوا له

عيناً بل خروا عليه صماً وعمياناً: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وضرب مثلاً للمترددين المخادعين بقوم جادتهم السماء بغيث منهمر، في ليلة ذات رعود وبروق. فأما الغيث فلم يلقوا له بالاً، ولم ينالوا منه نيلاً. فلا شربوا منه قطرة، ولا استنبتوا به ثمرة، ولا سقوا به زرعاً ولا ضرعاً. وأما تلك التقلبات الجوية من الظلمات والرعد والبرق فكانت هي مثار اهتمامهم، ومناط تفكيرهم؛ ولذلك جعلوا يترصدونها: ويدبرون أمورهم على وفقها، لابسين لكل حال لبوسها: سيراً تارة، ووقوفاً تارة، واختفاءً تارة أخرى.



ذلك مثل القرآن الذي أنزله الله غيثاً تحيا به القلوب، وتنبت به ثمرات الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة، ثم ابتلى فيه المؤمنين بالجهاد والصبر وجعل لهم الأيام دولاً بين السلم والحرب، وبين الغلب والنصر. فما كان حظ بعض الناس منهم إلا أن لبسوا شعاره على جلودهم دون أن يشربوا حبه في قلوبهم أو يتذوقوا ما فيه من غذاء الأرواح والعقول، بل أهمتهم أنفسهم وشغلتهم حظوظهم العاجلة؛ فحصروا كل تفكيرهم فيما قد يحيط به من مغانم يمشون إليها، أو مغارم يتقونها، أو مآزق تقفهم منه موقف الروية والانتظار، وهكذا ساروا في التدين به سيراً متعرجاً متقلباً مبنياً على قاعدة الربح والخسر، والسلامة الدنيوية .

فكانوا إذا رأوا عَرَضاً قريباً وسفراً قاصداً وبرقت لهم «بروق» الأمل في الغنيمة ساروا مع المؤمنين جنباً إلى جنب، وإذا دارت رحى الحرب وانقضت «صواعقها» منذرة بالموت والهزيمة أخذوا حذرهم وفروا من وجه العدو قائلين: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣] أو رجعوا من بعض الطريق قائلين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. حتى إذا كانت الثالثة فلم يلمحوا من الآمال بارقة ولم يتوقعوا من الآلام صاعقة بل اشتبهت عليهم الأمور وتلبد الجو بالغيوم، فهنالك يقفون متربصين لا يتقدمون ولا يتأخرون، ولكن يلزمون شِقَّةَ الحياد ريثما تنقشع سحابة الشك ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]، ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا* وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٢، ٧٣].

ذلك أبداً دأب المنافقين في كل أمرهم، إن توقعوا ربحاً عاجلاً التمسوه في أي صف وجدوه، وإن توقعوا أذى كذلك تنكروا للفئة التي ينالهم في سبيلها شيء من المكروه. وإذا أظلم عليهم الأمر قاموا بعيداً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أما الذي يؤمن بالله واليوم الآخر فإن له قبلة واحدة يولي وجهه شطرها، هي قبلة الحق لا يخشى فيها لومة لائم.

وليس يبالي حين يُقتل مسلماً ●● على أي جنب كان في الله مصرعه

خلاصة المقدمة

هنا تمت المقدمة بعد أن وصفت القرآن بما هو أهله، ووصفت متبعيه ومخالفيه كلاً بما يستحقه. ولا مرية أن وصف هذه الطوائف جميعها راجع في المآل إلى الثناء على القرآن؛ فإن الشيء الذي يكون متبعوه هم أهل الهدى والفلاح، ومخالفوه هم أهل الضلالة والخسر لا يكون إلا حقّاً واضحاً لا ريب فيه.

شهر الصيام



الأستاذ محب الدين الخطيب

رحمه الله

دار الزمان دورته، وأطلت علينا أيام شهر الصيام ولياليه.

غداً تعلن المحاكم الشرعية ثبوت رؤية الهلال، فينوي المسلمون الإمساك عن الطعام والشراب في أوقات الإمساك المعلومة، قربةً لله وأداءً لما فرض عليهم.

غداً تمتلئ حلقات الوعظ في المساجد بجماهير الأمة، ليعلموا ما يُسخط الله عليهم فيجتنبوه، وما يقربهم منه ويكسبهم رضاه فيسارعوا إلى عمله.

---

* صحيفة «الفتح»: السنة ٨، العدد ٣٧٥، شعبان ١٣٥٢، ص٤٦٥، ٤٦٦. نقلاً عن: مقالات الإسلاميين في شهر رمضان الكريم، محمد موسى الشريف (فك الله أسره)، ط: دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤٣٣-٢٠٠١م، ص١٨٦-١٩٠.

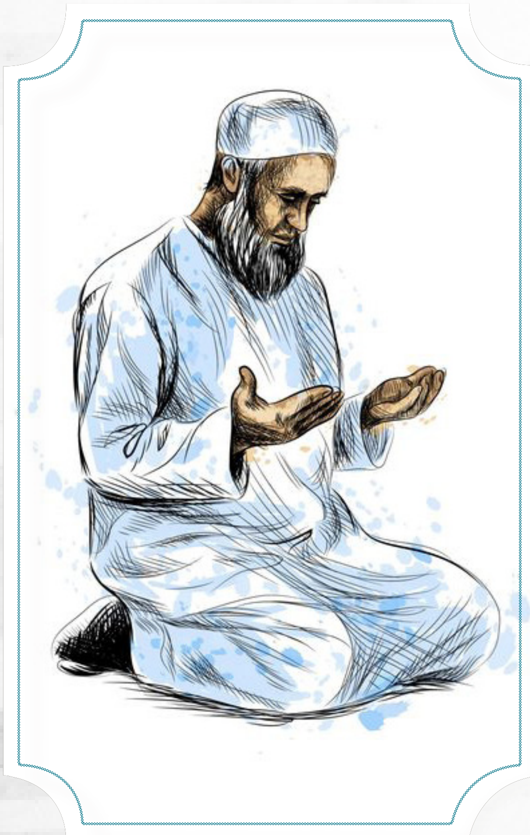
غداً يقبل الناس على علمائهم بقلوب مستعدة للخير، كالأرض يوم تكون صالحة للزرع، وسينظر الله إلى علماء المسلمين ماذا يزرعون بسيرتهم ومعارفهم في قلوب عباده.

إن هداية الإسلام حررت المسلمين من كل ما اعتاد البشر أن يكونوا مستعبدين له في حياتهم الفردية، والبيتية، والاجتماعية فيئس الشيطان أن يمسهم طائف منه، بعد أن سلحهم الإسلام باليقظة من أحابيله، وبعد أن امتازوا عن الأمم الأخرى بميزة التقوى والاحتراس، فكلما اجتذبتهم الشهوة إلى باب من أبواب العبودية التي يقودهم الشيطان إليها، تنبهت فيهم سليقة التقوى التي غرسها الإسلام في قلوبهم، فاحتفظوا بحريتهم، ودفعوا عن أنفسهم خطر العبودية للشهوات.

وشهر رمضان هو شهر الله الذي تُرَّبى فيه سليقة التقوى والاحتراس في نفوس المسلمين، فيتمرنون على الامتناع عما أحله الله في غير أوقات الإمساك من مأكل ومشرب، لتكون نفوسهم دائمة الانتباه لما يجب اتقاؤه والاحتراس منه في جميع تصاريف الحياة.

احترس! انتبه! كن مستعداً!

ذلك مما يتربى عليه المسلم في رمضان، فتنفعه هذه التربية في غير رمضان، وذلك ما يتربى عليه المسلم في الإمساك عن المفطرات، فتنمو فيه سليقة الإمساك وميزة التقوى في كل ما يحسن بالمرء والمرأة أن يبتعدا عنه مما يمس بالمروءة.

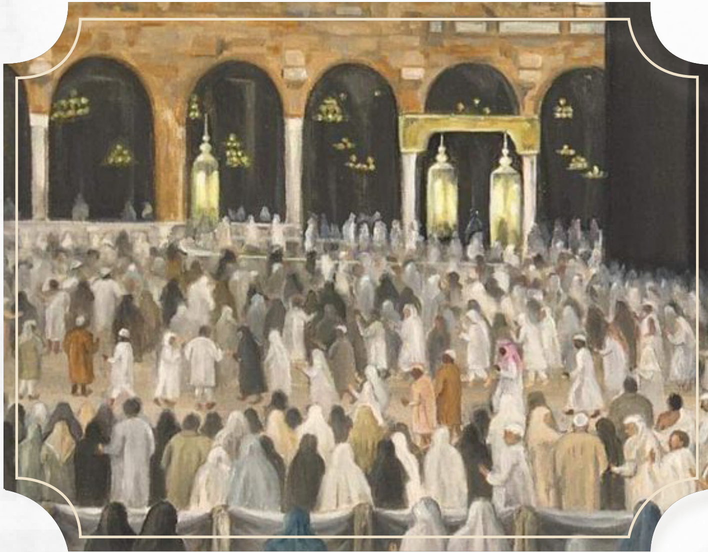


كانت في المسلم الذي صحب الهادي الأعظم ﷺ صفات من صفات الرجولة والمروءة غرسها فيه الإسلام ورباها ونماها، ونحن إذا بحثنا الآن عن هذه الصفات في

المسلم المعاصر لنا قد نجد بعضها وقد لا نجد أكثرها، وسيأتي هذا المسلم في رمضان إلى حلقة العالم ليسمع منه ما يفيده في دينه ودنياه، فيكسب بذلك رضاء الله ويتقي سخطه.

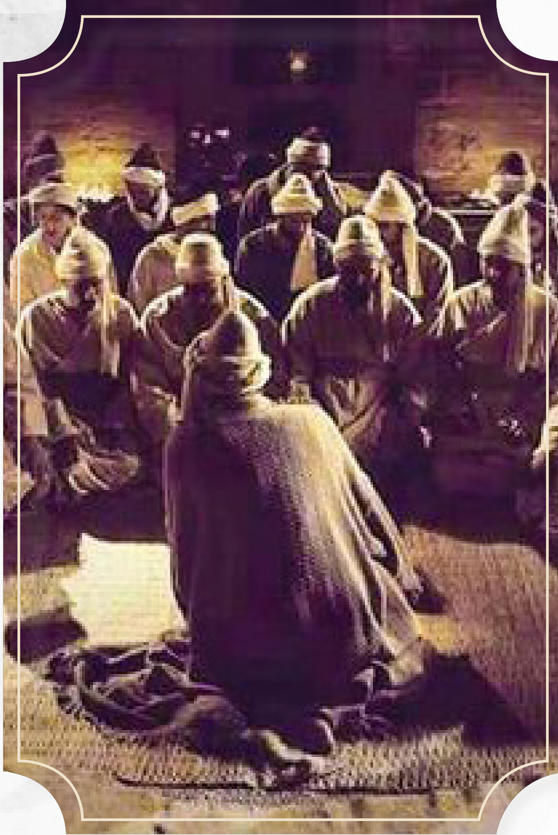
فأنا أريد ممن تقع أنظارهم على هذه الكلمة من إخواني الذين وضعهم الله في موضع الهداية والإرشاد لجمهور المسلمين أن يتصلوا بأرواح هذا الجمهور، وأن يعُنَوا بتنمية الصفات الطيبة الباقية في نفوس أفراده مما ورثوه عن أسلافهم، وأن يزرعوا في تلك النفوس الصفات الإسلامية المفقودة الآن والتي لن يرضى الله عن المسلمين ويعيد إليهم استقلالهم مالم يعودوا إليها.

ليس لله حاجة في أن نجوع، ولكن له حكمة في أن نكون أمة التقوى، فهل لعلمائنا أن يعلّموا الجمهور المسلم -بسيرتهم ثم بمواعظهم- حقيقة التقوى بمعناها الواسع الذي يتناول سعادة المسلمين في أبدانهم ومعاشهم وثروتهم واستقلالهم وعمران أوطانهم ورجوع القوة والعز إليهم؟



أنت تضع على مقربة منك في ليالي رمضان الساعة ذات المنبه لتنبهك من نومك فتتسحر قبل أن ينقضي الليل، والله قد فرض عليك الصيام في رمضان لينبه فيك سليقة «التقوى» و«الاحتراس»، خشية أن تكون الأحد عشر شهراً قد أضعفت فيك ما اكتسبته في رمضان العام الماضي من هذه السليقة، فاذكر إذا هممت بما لا يحسن بالمسلم فعله أن تمسك عنه، لأن الإمساك عن ذلك هو «التقوى» وهو «الاحتراس»، وذلك من الأخلاق التي يعلمونها الآن للفتيان الكشافة، والمسلمون كلهم «كشافة» وكلهم «جنود متقون»، وإذا تراخت فيهم هذه السليقة فعلى وعاظنا وعلمائنا أن ينتهزوا فرصة رمضان ليبعثوا فيها قوة وانتعاشاً، فنكون كما أراد الله لنا «أمة تقوى».

المسلم «كشّاف» يربأ بنفسه عن الكذب، وإذا نسي المسلم أنه «كشاف»، وغفل عن أن «الكشاف المسلم» يترفع عن دنيئة الكذب -مهما دعت إلى ذلك الدواعي- فإن رمضان والإمساك المطلوب منا في رمضان كفيل بأنه ينبه فينا سليقة الوقاية من هذا المرض، وإن لم تفعل واقتصرنا على الإمساك عن الأكل والشرب كنا من الجاهلين الغافلين.



و«الكشاف المسلم» يربأ بنفسه عن أن يأخذ ما ليس له، وقد يكون في جمهور المسلمين من يتساهل في هذا الأمر ثم إذا رأى الناس هلال رمضان أمسك معهم عن الأكل وعن الشرب، فهل لوعاظ رمضان أن يمرنوا هذا الفريق من الناس على النوع الآخر من الصيام، وأعني الصيام عن أخذ ما ليس لهم، حتى يكون ذلك سليقة فيهم، وحتى يعلم غير المسلمين أن هذه الصفة إسلامية محضة فيحببوهم بالإسلام ويدعوهم إليه بالسيرة العملية لا بالدعاوى الكلامية.

و«الكشاف المسلم» من شأنه أن يصوم عن المال يتناوله من أعداء ملته ثمناً لمساعدته على أهل ملته، لأنه مفطور بطبعه على استعمال قواه لدرء الشرور، واعتبار مواهبه وقفاً على دفع عدوان العادين، فإذا كان في المسلمين من لم يتمرن على هذا النوع من الصيام، فيجب على وعاظ المسلمين أن يتناولوا هذا الموضوع في مواعظهم مدة شهر رمضان، حتى يعلم الذين يخونون الملة أن تجويع بطونهم في رمضان لا يغني عنهم شيئاً، وأن رُبّ تالٍ يلعنه القرآن، وكم من مصلٍ قال الله عز وجل فيه:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون ٤-٧].

فعسى أن لا يستهين علماؤنا في هذا الضرب من المواعظ فإنها نافعة في البلاد المغلوبة على أمرها، وقد علم القراء أنه كان في الهند رجل أمعن في هذا النوع من الغواية حتى صار يزعم أن التفريط في جنب الذين سلبوا وطنه نعمة الاستقلال لا يقل عن التفريط في جنب الله تعالى علواً كبيراً[١].



وبعد فإن واجبات المسلم نوعان: الأول: الواجبات الفردية، وأكثر المسلمين يعرفونها.

والثاني الواجبات الاجتماعية، وهي التي يتعاون بها المسلمون على رفع شأن الملة، وإعلاء كلمة الله، وتحويل الناس كلهم إلى الإسلام، وجعل المسلمين أعضاء صالحة في الكيان الإنساني، فهذا النوع الثاني من الواجبات قصّر فيه المسلمون، ومنذ قصروا فيه ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة تأديباً لهم، وتنبيهاً إلى ما ارتضوا لأنفسهم من سوء الاختيار.

يا سادتي الوعاظ، إلى هذا النوع من الواجبات نبهونا في مواعظ رمضان، فنحن عن ذلك جدُّ غافلين[٢].

---

١. لعله يتحدث عن الطائفة الأحمدية الضالة التي نادت بإسقاط فريضة الجهاد في الهند. [محمد موسى الشريف]

رمضان شهر الوحدة

فضيلة الشيخ عبد الله خياط*

رحمه الله



من محاسن دين الإسلام أنه دين الوحدة كما قال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٢٩]

إنها وحدة متكاملة شاملة، فكل المسلمين في رمضان يعتقدون أن صيامه فريضة على المسلمين عامة، تعبَّدهم الله بها، وأنها إحدى عُرى الإسلام.

* مجلة «رابطة العالم الإسلامي»: العدد ٧ السنة ٣، رمضان سنة ١٣٨٥هـ.

ومن واجبهم كعبيد مربوبين أن يستجيبوا لأداء فريضة الصيام دون التواء أو محاولة للتنصل والتهرب منها بالحيل والأعذار الواهية أو الاجتهادات الخاطئة الشاذة، وأن يكون الأداء عن إيمان واحتساب للأجر ويقين بأنه خير للصائم وأهدى سبيلاً كما قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] ، وقال رسول الهدى ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وليس من شأن المسلمين أن يفلسفوا لأداء الفرائض وأن يعللوا القيام بها بأمور مادية بحتة؛ كمن يفلسف لأداء الصلوات ويوجه الأنظار للقيام بها لأنها رياضة بارعة، أو كمن يفلسف لأداء الصيام لينساق إليه الصائمون بأنه عامل صحي لترميم الجسم وإذهاب الفضلات وإصلاح المعدة، وما إليه من الأسباب المادية التي تكون الهدف البارز للصوم دون غيره من الوسائل الروحية التي يحرز بها العبد السعادة في حياته كأثر للطاعة؛ كما قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]



ورمضان أيضاً شهر الوحدة في الشعور بجلاله وحرمته ومزاياه، فكل المسلمين في مختلف مستوياتهم وتباعد أقطارهم يشعرون بحرمة رمضان وجلاله، وأنه شهر المغفرة والرضوان، وشهر فيض النفحات وعظيم التجليات وكريم الهبات من المولى -جل وعلا-، وفيه تُقال العثرات وتُمحى السيئات وتُستجاب الدعوات، وأن فيه ليلة خير من ألف شهر هي ليلة القدر التي قال رب العزة عنها موجهاً الأنظار إلى عظمتها وجليل قدرها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ* وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ* لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ* تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ* سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ١-٥]

وهو -أيضاً- شهر القرآن أنزله الله هدى ونوراً ودستوراً وفرقاناً بين الحق والباطل، هذا الشعور بجلال رمضان وما له من مكانة كثيراً ما يكون حافزاً على استصلاح الأخطاء في رمضان والعودة إلى حظيرة الله بالتوبة الصادقة، والإنابة الدائبة، فكم من جبار في الأرض متسلط على العباد بسوط العذاب أقلع عن جبروته في رمضان أملاً في رحمة الله في شهر الرحمة وأدرك أن الشمول في الصيام هو العمدة، فللعين صيام وللأذن صيام، وللرِجل صيام، ولكل جارحة في الإنسان صيام، ومن مجموع ذلك يتكون الصيام الزاكي الذي لا خدوش فيه ولا نكور.

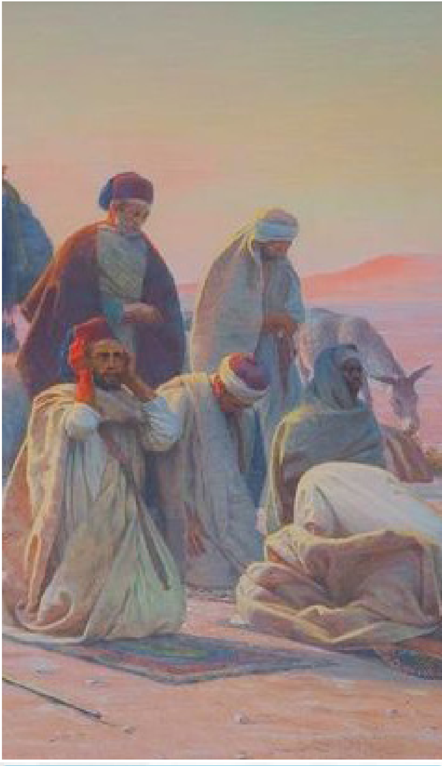
ولعل مما يوجه الأنظار إلى هذا المسلك الراشد ما ورد من قوله ﷺ في مزايا رمضان وفضائله: «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنان، وغُلقت أبواب النيران، وصُفدت فيه الشياطين، ونادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر».

إذ إن من عوامل فتح أبواب الجنان وقفل أبواب النيران كثرة من يدخلها، إذ يزداد صاحب البر في بره في رمضان ويرتدع عن غوايته وظلمه فيكون ذلك سبباً في شموله برحمة الله في رمضان، ودخوله دار كرامته إلى جانب البررة الصالحين من أوليائه.

ورمضان -أيضاً- شهر الوحدة في النظام، فكل المسلمين في مختلف أقطارهم وأمصارهم يتعودون فيه النظام ويقلعون عن الفوضى، فمبدأ يوم الصيام واحد لدى عموم المسلمين وهو طلوع الفجر، وطلوع الفجر يشعر به مَن في الحاضرة كمن يقطن البادية وهو ليس بالأمر المعقد الذي يتطلب آلة أو مرصداً، وانتهاء يوم

الصوم -أيضاً- معلوم بغروب الشمس، وغروب الشمس لا يخفى على العيان إلا في ظروف طارئة كأيام الغيوم المتكافئة، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي: إلى غروب الشمس قولاً واحداً، لا تأويل فيه ولا تعديل.

ورمضان شهر الوحدة في قوة العزيمة والثبات على المبدأ، فكل المسلمين تقوى عزائمهم على الصوم ويكبحون جماح شهواتهم شهراً كاملاً، حتى لو أجبر المسلم وعُذب ليترك الصوم لما فعل، وحتى لو أفتاه الناس وأفتوه أو زينوا له الفطر وأغروه به أو انتحلوا له الأعذار، لما استجاب لرغبتهم أو انقاد لإغرائهم؛ بل يثبت على مبدئه في أداء فريضة الله محتسباً الأجر عند الله، واضعاً نصب عينيه قول الرسول الكريم ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».



وللثبات على المبدأ وقوة العزيمة آثار تُحمد عقباها في دنيا الكفاح -والحياة كلها كفاح- فمن قويت عزيمته على جهاد النفس في ذات الله والقيام بفرائض الله وثبت على مبدئه في طاعة الله أيده الله بروح من عنده، وقواه وهداه إلى سبيله الموصلة إلى رضوانه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فلو وقفت الدنيا في وجهه أو تآلف ضده كل قوى الشر لما فت ذلك في عضده، وحسبه معية الله عدة تنقذه من كل شدة.

ورمضان -أيضاً- شهر الوحدة في إرهاف الشعور وترقيق العواطف، فالجوع وحر الظمأ الذي يشعر به الصائم -وخاصة إذا كان من أرباب النعيم- من طبيعته أن يُرهف الإحساس ويرقق العاطفة؛ فيحنو الكل

على الفقراء والبؤساء ويعطفون عليهم، ويذكرون حوائجهم، ويمدونهم ببرهم ورفدهم[١]، ويصلونهم بالفاضل من أموالهم؛ بل يواسيهم حتى المقل ساعة الإفطار ولو باليسير من طعامه كحبة التمر أو شربة الماء ومِذْقة اللبن، أملاً في غفران ذنوبه وعتق رقبته من النار.

ورمضان -أيضاً- شهر الصبر أو شهر إجماع المسلمين على الصبر، فكل المسلمين أو جلهم يؤدون فريضة الصيام في صبر منقطع النظير.. صبر على طاعة الله وما تتطلبه من جهد ومشقة وما تفرضه من إخلاص واحتساب، وصبر عن محارم الله، إذ لا يصح أن يصوم المسلم عن الحلال ويلطخ صومه بارتكاب الحرام، فيغدو الصائم في يوم الصوم أشبه بمَلَك في مسلكه وخلقه يطيع الله كما أمر، ويصبر على الأذى مما قد يناله من الغير تحفظاً لصومه واستجابة لأمر الرسول الكريم؛ حيث يقول:

«الصوم جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم إني صائم».

أي لا يرد السيئة بمثلها بل يصبر ويستشعر في قرارة نفسه ما يجب للصوم من وقار وشعار هو أبرز ما في الصائم، ثم يشعر المتجنى عليه أنه يُغلِّب جانب التسامح والغفران في صومه على الأخذ بحقه، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وليستوفي أجر الصابرين والعافين عن الناس كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وبعدُ، فكم لرمضان من مظاهر الوحدة الشاملة الكاملة التي لا تحدها الأمثال والنماذج، ولا يستوعبها مقال محدد، وكم فيه من مناهج الخير ومعاني الإنسانية الرفيعة والمثل العليا، فهنيئاً للمسلمين برمضان، ونسأل الله للجميع فيه القبول والرحمة والغفران.

---

١. أي: عطائهم.

أهلاً وسهلاً يا رمضان

الشيخ الجيلاني حمزة الخطيب*

رحمه الله

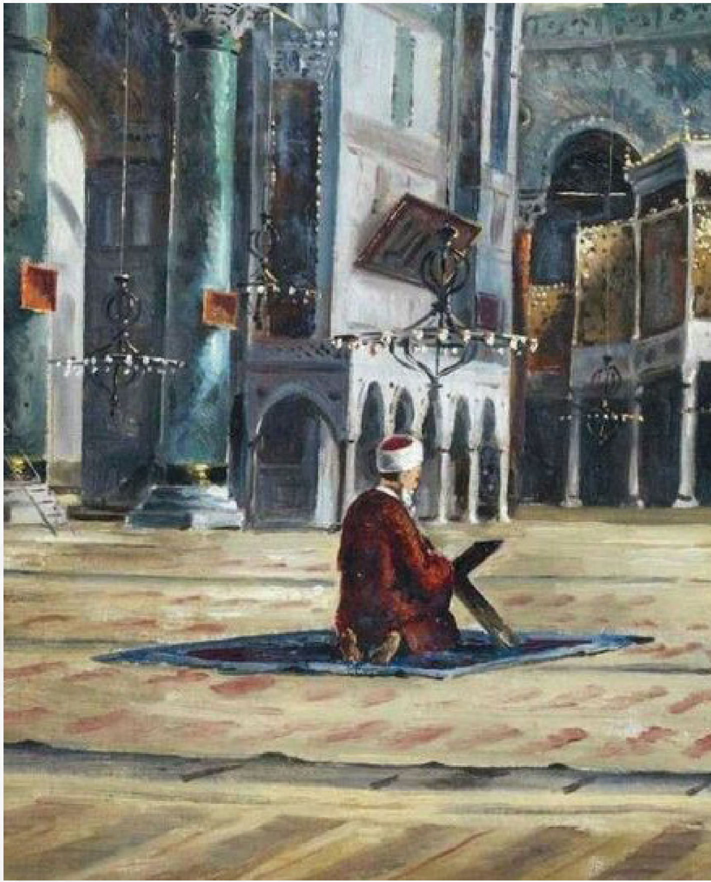
الحمد لله الذي فضّل شهر رمضان وجعله شهر البركة وشهر العبادة وشهر الإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملِك الديّان، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله النبي العدنان، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:



* الشيخ الجيلاني حمزة الخطيب، مقال: استقبال شهر رمضان، المجلة الزيتونية، ج٩، مجلد٣، عدد رمضان ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م، المطبعة التونسية، ص٢٩٧-٢٩٩.

فيا عباد الله! لقد هبّت عليكم الآن نسمات رمضان الزكية، وأشرقت عليكم أنوار أيامه ولياليه الزاهرة البهية، فأهلاً وسهلاً برمضان.

أهلاً وسهلاً ومرحباً بطلعتك الميمونة يا شهر الأمة وموسم الغفران، هنيئاً لك بزيارتك المباركة أيها الطبيب الجليل، والحاذق النبيل، فأيامك ولياليك ساطعة الأنوار، وبركان ساعاتك مشاهدة لأولي البصائر والأبصار، ما صامك أحد إيماناً واحتساباً إلا قُبل منه صومه، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فأنت شهر الربح، ورمز العفو والصفح.



فيا ليت شعري مَن لم يربح فيك

ففي أي وقت يربح؟

ومن لم يجتهد بالطاعة في أيامك

ففي أي وقت يسعد وينجح؟

أنت زمن البركات، وشهر الطاعات، مَن رُحم فيك فهو المرحوم، ومن حُرم خيرك فهو المحروم، أنت موسم التجار.. من اتّجر فيك بالأعمال الصالحة كان ربحه عتق رقبته من النار.

فاستقبلوه أيها الإخوان بالفرح والسرور وعمل الطاعات. ولا تستقبلوه باللهو واللعب والإخلاد إلى الشهوات، تزودوا فيه بالأعمال الصالحة والقربات، واملؤوه بالحسنات والصدقات والصلوات. فلقد جعل الله الحسنة في رمضان بعشر أمثالها إلى سَبعمائة ضعف إلى ما لا يُعلم له مقدار، وجعله مكفراً لذنوبكم وما

لكم من سابق الأوزار، فاحمدوا الله على هذه الرحمة العظيمة الغالية، واشكروه أن أمدّ في أنفاسكم وأحياكم حتى شاهدتم رمضان مرة ثانية وأنتم بصحة وعافية.



فقد كان أسلافكم يفرحون الفرح الشديد بقدوم رمضان ويعدّون إدراك رمضان فضلاً من الله ونعمة وكرماً ورحمة، وكان ﷺ يبشّر أصحابه بقدوم رمضان يقول:

«قد جاء كم شهر رمضان شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تُفتح أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حرم».

وكان يحرض أصحابه على العبادة في رمضان يرغبهم وينذرهم، فلنتسابق إذن أيها الإخوان إلى العمل الصالح في أيامه ولنكثر من أعمال البر والإحسان، والتسبيح والذكر وقراءة القرءان. فقد تبين لكم بالمحسوس أن أيام رمضان غنيمة عظيمة هنيئاً لمن ابتدرها، وفرصة ثمينة هنيئاً لمن انتهزها وحصلها، فكم من فرص مرت ندم عليها من أغفلها فكثير منا كان يؤمل أن يصوم هذا الشهر مرة ثانية فخانهم الأمل وصاروا قبل مجيئه في ضيق القبور وتحت الجنادل والصخور، قال ﷺ: «ما من أحد يموت إلا ندم». قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسناً ندم ألا يكون ازداد خيراً، وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون نزع».

فانتهزوا رحمكم الله هذه الفرصة قبل أن يفاجئكم الموت فتندموا وتقولوا يا حسرتنا على ما فرطنا في جنب الله.

فوائد الصوم

واعلموا يا عباد الله أن للصوم فوائد كثيرة لا تُحصى، لا بأس بذكر شيء منها ليتعرف الصائم مقدار نعمة الله عليه بهذه العبادة فيزداد حباً لها.

- منها أن الله يكرمه ويرضى عنه، قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي».

يتبين لنا من هذا الحديث أن الله يجازي الصائم الجزاء الأوفى حيث إن الصوم لا رياء فيه. قد تصلي ليقول الناس إنك مصلٍ أو تزكي ليقولوا إنك كريم، أما أن تصوم طمعاً في أن يقول الناس إنك صائم فهذا لا يكون أبداً.

- ومنها أنه وقاية من النار قال ﷺ: «الصوم جُنة». أي وقاية من النار.

- ومنها أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة قال ﷺ: «الصيام والقرءان يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرءان منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان».

- ومنها، أنه يدخل الجنة من باب الريان، قال ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون».



- ومنها أن الله أكرم هذه الأمة بخمسة أشياء، قال ﷺ: «أُعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبيء قبلي، أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: فإن خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته، فيقول لها: استعدي وتزيني أوشك عبادي أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي، وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعاً».

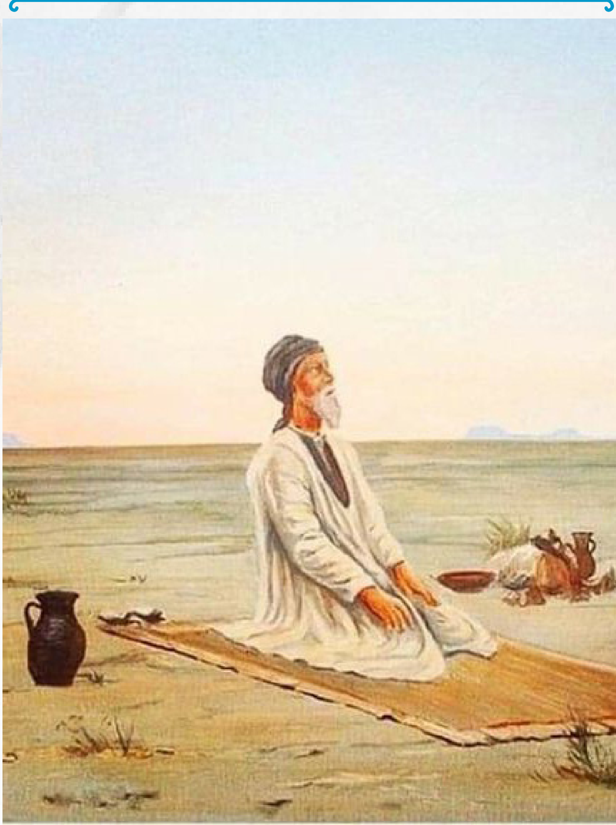
- ومنها، صحة البدن وقد أثبت الطب أن الصوم علاج نافع لأمراض كثيرة، كأمراض المعدة التي قلّ أن يسلم منها أحد، ولا سيما الذين تعودوا التفنن في المأكل والمشرب، وللمناسبة أذكر لكم أن طبيباً أجنبياً عرض عليه مريض قد أعيا الأطباء أمره فقال: لا دواء له إلا الصوم. فقالوا: هو صائم بطبيعته، فقال: لا إنما أريد صوم محمد ﷺ. فجربوا ذلك الدواء فعادت عليه صحته.



- ومنها، غرس ملكة الصبر على المكاره، قال ﷺ: «الصيام نصف الصبر».

- ومنها، تذكير الموسر بحالة الفقير المعسر؛ فإن الغني متى أحس بمرارة الجوع وحرارته عرف أن هناك طائفة دفعها الفقر وآلمها البؤس، فيحمله ذلك على أن يمد إليهم يد المعونة فيخفف من بؤسهم ويلطف من عنائهم.

- ومنها إجابة الدعاء وذلك من عناية الله بالصائم، قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم».



- ومنها فرح الصائم عند فطره وفرحه عند لقاء ربه، قال رسول الله ﷺ: «للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». وليس المراد بفرحه عند فطره فرحه بأكله وشربه وإنما المراد فرحه بإتمام صومه وتوفير أجره.

وقد جمع الله جميع هذه الحِكم في آية واحدة من كتابه العزيز فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

عباد الله إن جميع هذه الحكم العالية والمزايا الكاملة التي تكرّم الله بها على هذه الأمة المحمدية التي جعلها خير أمة أخرجت للناس، لا شك أنها تزيد في إيمانكم وترغبكم في مضاعفة الطاعة والإنابة إلى ربكم، وتتيقنون بها أن شهر رمضان ليس كما يزعمه بعضهم هو شهر سهر وضياع وقت ولعب ميسر وسرف وعصيان، ولكنه شهر عبادة واستقامة وحكم عالية لا يقدر على إحصائها إلا الله العزيز الرحمن.

فاحرص أيها المؤمن على هذه الحكم ولا تضيعها ففيها الشفاء والنجاة من جميع البلاء، وإياك ثم إياك أن تفهم رمضان مثل ما يفهمه الجهلة الذين قلبوا حكمته وغيروا غايته وشوهوا بهجته ونبذوا وراء ظهورهم حِكمته، كذلك أنصحك أيها الأخ إذا أردت أن يكون صومك مقبولاً وتخرج من هذا الشهر كيوم ولدتك أمك، يجب عليك أن تصون لسانك عن الكذب والغيبة والنميمة وجميع الصفات الذميمة، كذلك يجب

عليك أن تصرف وقتك فيما يعنيك ولا تصرفه في قيل وقال، واقتراء على الأحساب والأنساب، وانبذ لعب الأوراق وعوضها بقراءة القرءان وسماع حديث نبيئك العدنان، وأكثِر من الصدقات وإطعام المساكين، و بر بجيرانك وعشيرتك، وقدّم التوبة وعاهد ربك على ذلك واعزم على عدم العود إلى المعاصي.

عباد الله إن من خير أغراض الصيام تطهير النفوس من جميع العيوب وكف الجوارح من الآثام والذنوب. فمن اغتاب أحداً أو نمّ، أو هجا أو ذم، فقد فوت على نفسه ثواب الصيام. ومن قال زوراً أو باطلاً فقد عرض نفسه لغضب الله الملك العلام، وتلك خسارة لا تعوضها عليه الأيام، قال رسول الله ﷺ:

«من لم يَدَع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

وكذلك علّمنا نبيئنا ألا نجازي في رمضان مَن أساء، فإذا سبنا أحد أو شتمنا أعرضنا عنه وقلنا إنّا صائمون، لأننا إذا جاريناه في قوله كنا خاطئين ولثواب الصوم مضيعين، قال ﷺ: «إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين».

يقول ذلك ليشعر نفسه أنه في ضيافة الرحمن.

نسألك اللهم ونتضرع إليك أن تجعلنا في هذا الشهر من عبادك المقربين، وفي صيامنا وقيامنا من المقبولين، ومن عذاب القبر ووحشته آمنين، وإلى الخيرات والطاعات متسابقين بفضلك يا أرحم الراحمين!

ألا إن أحسن ما تتشوق إليه قلوب المؤمنين كلام مولانا رب العالمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ * أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

القرآن وعظَمة المسلمين الأوائل



محمد أسد*

رحمه الله

وتساءلت في ذات نفسي: هل من العجيب إذن أن ينتشر في الغرب كله مثل هذا العدد الكبير من الآراء الخاطئة على الإسلام نفسه؟ معززةً بمثل هذه الأدلة المحسوسة عن انحطاط المسلمين؟

هذه الآراء الشائعة هناك يلخصها الغربيون على الوجه الآتي:

* محمد أسد (ليوبولد فايس سابقاً)، كتاب: الطريق إلى الإسلام، ترجمة: عفيف البعلبكي، ط: دار العلم للملايين، ص١٩٣-١٩٥.

(إن سقوط المسلمين عائد قبل كل شيء إلى الإسلام.. الذي هو بالنظر إلى كونه بعيداً جداً عن أن يكون مذهباً دينياً يضاهي المسيحية أو اليهودية!

مزيج غير مقدس من الغلو الصحراوي والخرافة والقدرية الخرساء، يَحُول بين أتباعه وبين الاشتراك في تقدم الإنسانية نحو الأنظمة الاجتماعية العليا.



وبدلاً من أن يحرر الإسلام الروح الإنسانية من أغلال الإبهامية، تراه يُحكِم هذه الأغلال ويشدها).

هكذا يعتقد معظم الغربيين، أنه كلما كان تحرير المسلمين من تعلقهم بالمعتقدات والعادات الاجتماعية الإسلامية أعجل وأقرب، وحُملوا على أن يتبنّوا الطريقة الغربية في الحياة.. كان أفضل لهم ولسائر العالم.

صورة الإسلام المشوهة

وكانت ملاحظاتي الخاصة قد أقنعتني الآن بأن رأس الغربي العادي، كان يحمل صورة مشوهة بالكلية عن الإسلام.



إن ما رأيته في صفحات القرآن لم يكن نظرة عالمية (مادية) غير ناضجة، بل على العكس علم الله الواسع بالطبيعة التي هي من صنع الله.. تلازم متناغم بين العقل والدافع الحسي، بين الحاجة الروحية والحاجة الاجتماعية.

لقد كان واضحاً عندي أن تأخر المسلمين لم يكن ناجماً عن أي نقص في الإسلام، بل من عدم عملهم هم أنفسهم بتعاليمه. ذلك أن الإسلام في الواقع هو الذي حمل المسلمين الأولين إلى أعالي الذروات الثقافية، بتوجيه طاقاتهم كلها نحو التفكير الواعي كوسيلة وحيدة لفهم طبيعة خلق الله، وبالتالي لفهم إرادته.

إن الإسلام لم يطلب إليهم قط أن يؤمنوا بعقائد يعسر أو يتعذر فهَمها، والحق أنه ما من عقيدة كهذه يمكن أن توجد في رسالة النبي ﷺ.

وهكذا فإن التعطش إلى المعرفة الذي تميز به تاريخ المسلمين الأول، لم يحمل -كما حمل في سائر أنحاء العالم- على أن يؤكد ذاته في صراع مؤلم ضد الإيمان.

بالعكس، لقد انبثق من ذلك الإيمان وحده. لقد أعلن النبي العربي ﷺ أن «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». وهكذا جعل أتباعه يفهمون أنهم باكتسابهم المعرفة فقط يتسنى لهم أن يعبدوا الله عبادة تامة.

وعندما تدبروا قول النبي ﷺ: «ما خلق الله داء إلا وخلق له دواء»، أدركوا أنهم بالبحث عن الأدوية المجهولة يسهمون في تحقيق إرادة الله على الأرض. وهكذا اكتسى البحث الطبي ثوب القداسة لكونه فرضاً دينياً.

لقد قرأ المسلمون الآية القرآنية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وفي محاولتهم للنفاذ إلى معنى هذه الكلمات بدأوا يدرسون الكائنات الحية وقوانين نموها، وهكذا أنشأوا علم البيولوجيا.

لقد أشار القرآن إلى انسجام النجوم وحركاتها كشواهد على عظمة خالقها، ومن أجل ذلك اشتغل المسلمون بالعلوم الفلكية والرياضية بحمية واندفاع احتُفظ بهما في الأديان الأخرى للصلاة وحدها.

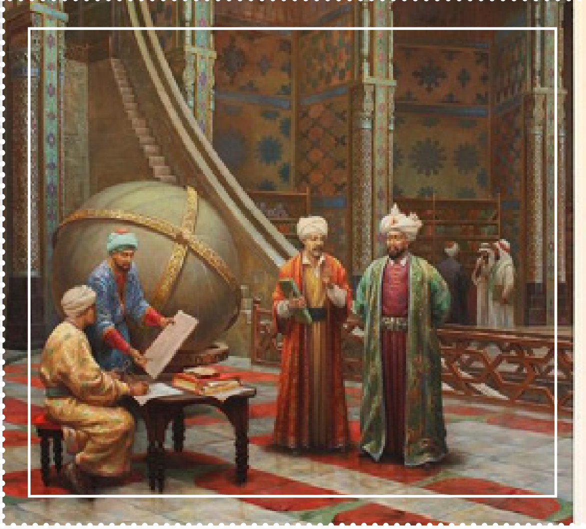
ونظام (كوبرنيكوس) الذي أثبت دوران الأرض حول محورها ودوران الكواكب حول الشمس، انتشر في أوروبا في مطلع القرن السادس عشر، وقابله القسس بالسخط لأنهم رأوا فيه تناقضاً لتعاليم كتابهم المقدس (الحرفية)، ولكن أسس هذا النظام كانت قد وُضعت في الحقيقة قبل ذلك بِستمائة سنة في البلدان الإسلامية.


نيكولاس كوبرنيكوس

ذلك أن علماء الفلك المسلمين في القرنين التاسع والعاشر كانوا قد توصلوا إلى الاستنتاج أن الأرض كروية وأنها تدور حول محورها، كما قاموا بحسابات دقيقة لخطوط الطول وخطوط العرض، وكثير منهم تمسكوا -دون أن يُتهموا بالكفر إطلاقاً- بأن الأرض تدور حول الشمس.

وبالطريقة نفسها عكفوا على الكيمياء والفيزياء والفسيولوجيا، وعلى سائر العلوم التي قدر للعبقرية الإسلامية أن تجد فيها أخلد آثارها، وهم في بنائهم ذلك الأثر لم يفعلوا أكثر من اتباع عظمة نبيهم في كثير من أحاديثه:

«إن العلماء ورثة الأنبياء».



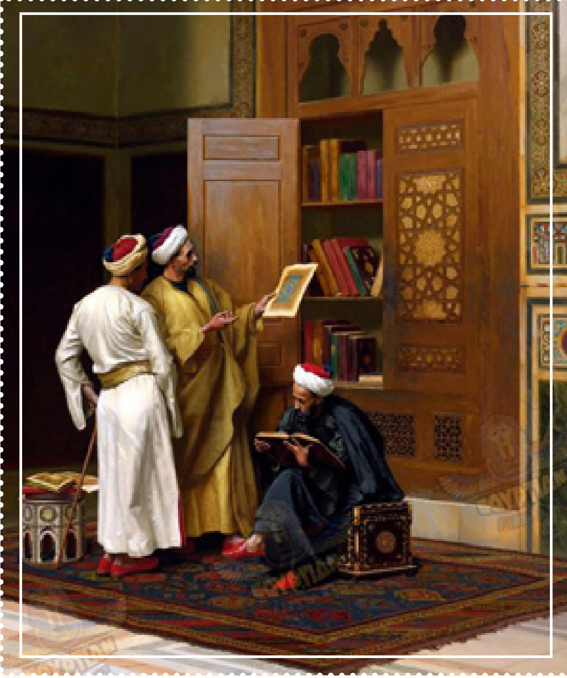
وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة». وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». وفي رواية أخرى: « كفضلي على أدناكم».

وخلال المدة الإنشائية في التاريخ الإسلامي كلها -أي إبان القرون الخمسة الأولى التي تلت عصر النبي ﷺ- لم يكن للعلم والتعلم بطل أعظم من المدينة الإسلامية، ولا وطن آمن من الأراضي التي كانت تعلو فيها كلمة الإسلام.

صبغة القرآن للحياة الاجتماعية

كذلك تأثرت الحياة الاجتماعية بتعاليم القرآن؛ ففي الزمن الذي كان الوباء يُعد في أوروبا المسيحية قصاصاً من الله لم يكن للإنسان إلا أن يخضع له بأناة وصبر في ذلك الزمن، وقبله بوقت طويل اتبع المسلمون وصية نبيهم ﷺ التي أمرتهم بمحاربة الأوبئة بعزل البلدان والمناطق المصابة.

وفي الزمن الذي كان الاستحمام يُعد حتى في نظر ملوك المسيحية وأشرافها نعيماً ورفاهاً يكاد يكون شائناً معيباً، كان في بيوت المسلمين حتى أفقرهم غرفة استحمام واحدة على الأقل، بينما كانت الحمامات العامة المتقنة شيئاً عادياً في كل مدينة إسلامية؛ في القرن التاسع مثلاً كان في قرطبة ثلاثمائة منها. وكل ذلك استجابة لهَدي النبي ﷺ.



ولم يجد المسلم تعارضاً مع مطالب الحياة الروحية إذا ما استمتع بجمال الحياة المادية، ذلك أن النبي ﷺ قد قال: «إن الله يُحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

واالخلاصة أن الإسلام قد حرص على النشاط الثقافي الذي يشكل صفحات من أنصع صفحات التاريخ الإنساني، وذلك بقوله: «نعم» للعقل و«لا» للإبهامية، «نعم» للعمل و«لا» للركود، «نعم» للحياة و«لا» للإماتة وقهر الجسد لخلاص النفس.

فليس عجيباً إذن أن الإسلام، حالما انطلق خارج حدود جزيرة العرب، اكتسب أتباعاً جدداً وأخذ الناس يدخلون فيه أفواجاً.

ورأى سكان سوريا وشمالي أفريقيا وسكان إسبانيا بعد ذلك بوقت قصير أنفسهم فجأة تجاه دين ينكر مبدأ (الخطيئة الأولى)، ويشدد على الكرامة الفطرية للحياة الأرضية الدنيوية.

وهكذا التحقوا زرافات بالدين الجديد الذي علمهم أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

هذا (لا أسطورة التسليم بحد السيف) هو التفسير لانتصار الإسلام المدهش في فجر تاريخه العظيم.

لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً؛ بل الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء، إلا أنهم ما إن أصبح إيمانهم عادة وانقطع عن أن يكون منهاجاً في الحياة يُتبع بوعي وإدراك، حتى خَبَت تلك القوة الدافعة الخلّاقة التي كانت من وراء مدينتهم، وأفسحت المجال إلى الاسترخاء والعقم والانحطاط الثقافي.

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى





استقبال شهر رمضان

د. سفر الحوالي



فك الله أسره*

جعل الله تبارك وتعالى الليل والنهار يتعاقبان كما قال عز وجل: ﴿خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [الفرقان: ٦٢] فالإنسان يتبلد إحساسه ويغفل، إذا كان على حالة واحدة، فإذا تغيرت الحالة بحالة أخرى، كان ذلك أدعى إلى أن يفكر ويستيقظ وينتبه.

وجعل الله تبارك وتعالى فصلاً للحر، وفصلاً للبرد، وبين ذلك فصلان؛ لكي يتذكر الإنسان. قال تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾، فهذه ذكرى حاضرة، ثم قال: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾، أي: أن يشكر الله تبارك وتعالى، والشكر يشمل جميع العبادات والطاعات.

---

* سفر الحوالي، فك الله أسره، محاضرة: استقبال شهر رمضان، موقع (الشبكة الإسلامية) الإلكتروني.

والإنسان لو تأمل في أمر واحد من هذه الأمور لكفى، فلو أن الخلق تأملوا في طلوع الشمس وفي غروبها، وفي إدبار الليل وإقبال النهار، لكفاهم ذلك، ولكانت ذكرى وأيما ذكرى.

لكن القلوب إذا تعودت شيئاً غفلت عنه ونسيته، فقليل من الناس من يُفكر ويعتبر بمرور الليل والنهار، لماذا؟! لأنه أمر متكرر، ولكن أولياء الله وعباد الرحمن، ومن كان قلبه معلقاً بالدار الآخرة لا تزيدهم إلا عبرة وعظة، فتتجدد لهم العبر والعظات بتجدد الليالي والأيام.

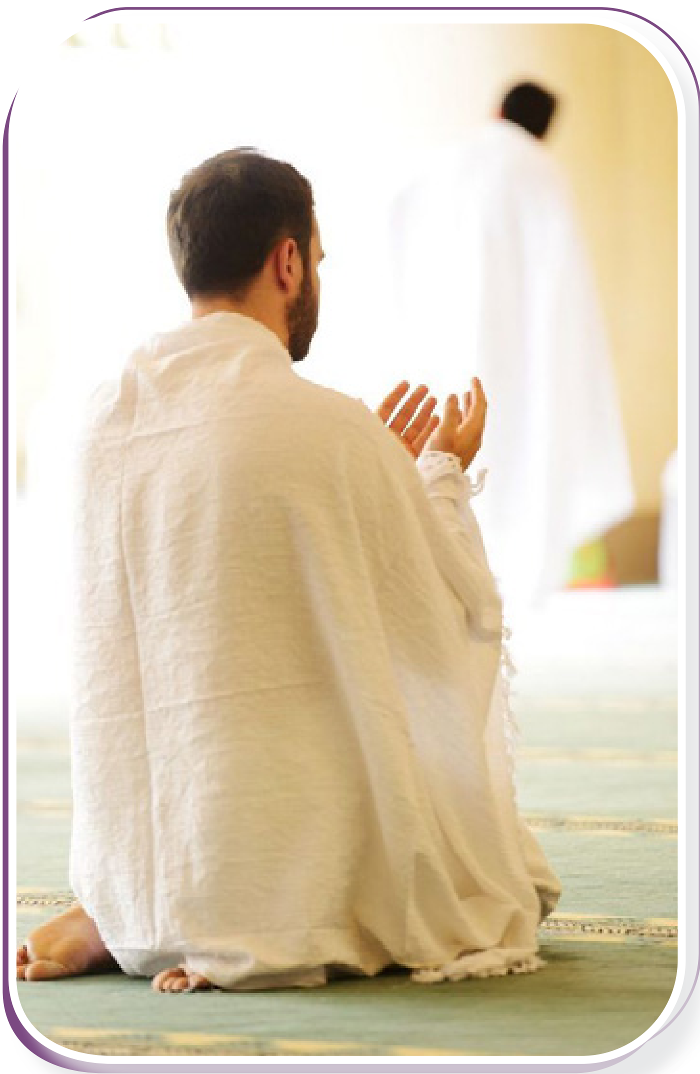
فما هذه الأيام والليالي إلا رواحل، تنقلنا من دار إلى دار، وتقربنا من دار هي الدار الآخرة، وتباعدنا عن هذه الدار الدنيا، لكن من الذي يستشعر ذلك؟! وكما قال بعض السلف: «الأيام والليالي خزائن، فضع في خزينتك ما شئت، فسوف تلقاه».



فإن وضعت ذهباً وفضة، وجدت النهاية هناك ذهباً وفضة، وإن وضعت تراباً أو فحماً أو حصىً، وكذلك فإن الخزائن هناك إذا فتحت تجد فيها ما وضعت، فهذه الليالي والأيام هي بهذه المثابة.

وإن الله تبارك وتعالى قد فضَّل هذا الشهر على سائر الشهور، وكان أصحاب النبي ﷺ -وهم أكثر الأمة اجتهاداً وعبادةً واعتباراً واتعاظاً- يقدرون لهذا الشهر قدره، تأسياً واقتداءً بالرسول ﷺ.

فهذا الشهر هو شهر الصبر وشهر التقوى وشهر الكرم والجود، وإن ديننا هذا يقوم على أمرين: على الصبر وعلى الشكر، وأساس ذلك اليقين، لهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الصبر شطر الإيمان، واليقين الإيمان كله».



رمضان شهر الصبر والجهاد

نعم! إنه شهر الصبر؛ لأنه يصبر الإنسان على الطاعة، ويصبر عن المعاصي، فإنه قد يفتن في نفسه وفي شهوته وفي جوارحه؛ فيكف ما كان يستمتع به، كما أمر الله تبارك وتعالى وكما شرع، إلى أن يأذن الله بأن يستمتع ويأكل.

وهو -أيضاً- شهر الجهاد: والجهاد من الصبر، ورسول الله ﷺ غزا في هذا الشهر غزوتين، هما أعظم الغزوات جميعاً: الأولى غزوة بدر؛ فإن الرسول ﷺ قد خرج من المدينة في الثاني عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وهو أول رمضان صامه ﷺ، وفي اليوم السابع عشر منه كان يوم الفرقان، وكانت معركة بدر الكبرى التي خلدها الله تبارك وتعالى في القرآن، ورفع أصحابها على سائر الأمة.

وأما الغزوة الأخرى: فهي فتح مكة المشرفة، هذا البلد الحرام الأمين.. فتحها النبي ﷺ وأصحابه وكانوا في شدة الحر، لهذا أمرهم النبي ﷺ بالإفطار شفقة عليهم.

رمضان شهر التقوى

وهو كذلك شهر التقوى، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالتقوى هي غاية كل عبادة، كما في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

فالعبرة في العبادات كلها بالتقوى، وليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب، أو بمجرد الانحناء في الركوع والسجود، أو بمجرد أن يذبح الإنسان أو يحجَّ أو يتصدق. كما في قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، فالأساس هو التقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

ومن هنا كان اهتمام السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم باستقبال هذا الشهر، وبمعرفة ما يصلح قلوبهم فيه أعظم الاهتمام.

ولو أننا قارنا بين حالنا وحالهم لرأينا العجب العجاب والبون الكبير!



التجارة مع الله

اعلموا أن كل إنسان منا هو في الحقيقة تاجر، وبضاعتك هي عملك الذي تقدمه كل يوم، وسوف تعرف الربح والخسارة إذا نُصبت الموازين يوم القيامة، فهنالك يظهر الرابحون الفائزون، ويظهر الخائبون الخاسرون.

وبما أن كل إنسان منا تاجر، إذاً فكيف نتاجر مع الله؟!

أقول: إن الله تبارك وتعالى قد جعل لنا -نحن التجار- مواسم للتجارة، وكل أيام العام فيها تجارة؛ لكن هناك مواسم زمانية -كشهر رمضان- تضاعف فيها الأرباح، وتكون التجارة فيها أعظم منها فيما سواها.

وكذلك جعل مواسم مكانية لهذه التجارة، فهناك أمكنة للتجارة أرباحها مضاعفة أضعافاً كثيرة عن غيرها من الأمكنة؛ فالبلد الحرام الطاعة فيه مضاعفة.



فمثلاً: الصلاة في المسجد الحرام ليست كالصلاة فيما سواه لشرف المكان.

وأيضاً: فإن شرف الزمان -كما هو الحال- في شهر رمضان له أثره في أن تكون الطاعة أكثر أجراً وأكثر قبولاً، فجعل الله تعالى هذا الشهر موسماً لذلك؛ ولهذا لما علم الجيل الأول بذلك، ظهر هذا في أعمالهم وفي حياتهم، فقد ورد أن الصحابة الكرام كانوا يدعون الله تبارك وتعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، فإذا صاموه دعوا الله تبارك وتعالى ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان.

فالحول كله تفكير في رمضان واهتمام بشأنه، إما استقبالاً له، وإما رجاءً أن يُتَقَبَّلْ؛ لأنه أشرف ما في العام، فكان الصحابة الكرام يتاجرون طوال العام بالذكر، وبالجهاد، وبقراءة القرآن، وبالصدقة، وبالتفكر في ملكوت السموات والأرض؛ لكن! إذا جاء هذا الشهر؛ ضاعفوا ذلك وغيَّروا طريقة حياتهم، واستقبلوه استقبال البصير العالم بقيمته وأهميته.

الاستغلال الأمثل لرمضان

كان العلماء من السلف وهم الذين أناروا للأمة طريقها بسنة رسول الله ﷺ وببيان الأحكام، وهم

الذين قاموا مقام الأنبياء، وورثوا ميراث النبوة، «وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم».

فهؤلاء العلماء كانوا إذا جاء شهر رمضان، يتركون العلم، ويتفرغون لقراءة القرآن، حتى قال بعضهم: «إنما هما شيئان: القرآن والصدقة».

وكان الإمام الزهري رحمه الله تعالى كذلك. وكذلك كان الإمام مالك، وهو ممن تعلمون منزلته وقيمته واهتمامه بحديث رسول الله ﷺ وتعظيمه له، حتى إنه كان لا يحدثهم إلا وهو على وضوء ويبكي ويتخشع، وكان يقدِّر ويُجل حديث رسول الله ﷺ، ومع ذلك كان إذا دخل رمضان، لم يشتغل بالحديث بل يترك الحديث ويقبل على القرآن.



وكذلك كان سفيان الثوري رضي الله عنه، وغيرهم من السلف كثير، ممن كانوا ينظرون إلى أن هذا هو موسم الخير تترك فيه الأعمال الفاضلة إلى ما هو أفضل منها، فهذا حالهم وهذا شأنهم.

لكن كيف يستقبل المسلمون اليوم شهر رمضان؟! لنكن صرحاء ولنبدأ بأنفسنا، وكيف نستقبل شهر رمضان؟!

إن الأمة الإسلامية بأفرادها من: (تجار - موظفين - عمال - أصحاب شهوات - أخيار) يستقبلون هذا الشهر.. فكيف يستقبل التجار هذا الشهر؟!

التجار في رمضان

ونقصد بذلك: التجار الذين يتاجرون بالدرهم والدينار، لا بالأعمال، كيف يستقبلون شهر رمضان؟!

هل يقولون: قد جاء شهر الخير والبركة، فلنتصدق ولنؤد الزكاة، ولنحذر من الحرام، ومن الغش، ومن الربا؛ لأننا في شهر عظيم، وإذا صمنا دعونا الله تبارك وتعالى، ونحن نأكل الحرام من أي مصدر كان! فيكون حالنا كحال ذلك الرجل الذي ذكره النبي ﷺ: «أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!».

وأعجب من ذلك أن بعض التجار ينتهزها فرصة؛ لزحمة الناس ولكثرتهم ولإقبالهم على المطعوم والمشروب وسائر الكماليات، فينتهزها فرصة للغش في شهر رمضان، وقد يأتي الغش بألوان متعددة.

فمن الغش: التخفيضات الكاذبة.

ومن الغش أيضاً: إخراج البضاعة التي تقادم عهدها وانقضى أوانها، فيقول: هذا رمضان والناس تشتري ولا ترى! اخرجوا كل ما في المستودعات وبيعوا منها!

فيكون موسماً للغش، وموسماً للتجارة الخاسرة في الدنيا والآخرة.

وأما الشهوات فماذا نقول عنها؟

فما من شهر تتوالى النذر فيه عن قلة الطعام والشراب أو احتمالها كشهر رمضان، ولهذا يسعى الناس بطمع وشره ليكون المخزون كافياً في شهر الصوم! وكل منا يشفق ألا يجد في رمضان ما يكفيه من بعض المؤن.

ولهذا نستعد من أول شعبان أو في آخره، لنجمع أكبر ما نستطيع أن نتزود به لرمضان، حتى إن البيت الواحد قد يشتري ما يكفي لثلاثة بيوت، لماذا؟!

لأنه شهر تعارفنا أنه ربما نقصت فيه المؤن، مع أن المخزون كافٍ والأمر متيسر، وكل البضائع من ضروريات وكماليات متوافرة في شهر رمضان، وكأننا مقبلون على شهر مأمورون فيه أن نعبَّ من الشهوات عباً، وأن نملأ البطون كل ساعة وكل حين.

وليس هو شهر الصيام الذي كان يستقبله الصحابة الكرام بالفرح، حتى إن الفقراء وأصحاب الحاجة كانوا يُسَرُّون في رمضان؛ لأنهم يجدون أنهم هم والأغنياء سواء.

أما الآن فالفقير يزداد حسرة على حسرة؛ لأنه ينفق في غير شهر رمضان (١٠٠٠) ريال، فيضطر أن يستدين في رمضان، ويقول للتجار: أقرضوني جاء رمضان وليس عندي شيء!

لأنه سينفق بدلاً من الألف ألفين أو ثلاثة، وإلا ذهب هو والعيال في حسرة مما يرى الناس يتفننون فيه بأنواع الأطعمة، وهو على التمر والخبز كأنه في الفطر! فهذا واقعنا.

وأشنع من ذلك وأشد أصحاب الشهوات المحرمة!



فرمضان عند أصحاب الشهوات المحرمة فرصة وموسم كبير، يستعدون له قبل رمضان بأشهر؛ فأصحاب السهرات يفكرون أين تكون الجلسات والسهرات في رمضان؟!

وأصحاب الإجازات يقولون: نأخذ الإجازة في رمضان ونغادر إلى خارج البلاد؛ لنلعب بالشهوات كما نشاء.

وأما وسائل الإعلام -ولأننا نريد الشهوات، ولأن فيها من يريد أن نتبع الشهوات- فيُستقبل هذا الشهر عندهم بأخبث المسلسلات والتمثيليات وأطول السهرات، وكذلك في الصحافة.. فأينما ذهبت تجد الكل -إلا ما رحم ربك- لا يشتد إلا إلى الشهوة الحرام وإن لم يكن إلى ذلك؛ فهو إلى الشبع وإلى النوم والكسل!

فيتعاون علينا شياطين الجن وشياطين الإنس ليضيعوا منا هذا الموسم العظيم، إلا ما رحم ربك وقليل ما هم.

إنْ هذا إلا قول البشر..

شُبهة تتجدد



هشام مشالي

فك الله أَسره*

دأب دعاة القراءة العصرية للنصوص الدينية على ترديد أن القرآن (منتج ثقافي!)، وهذا يعني عندهم أنه تشكل في واقع جماعة من البشر، في مرحلة تاريخية معينة، وثقافة خاصة بتلك الجماعة في هذا المكان والزمان.

وقالوا: إن القرآن «تأنسن» منذ أن نزل بلُغة البشر، تلك اللغة التي تنتمي إلى الثقافة باعتبار أن اللغة هي الدال والثقافة هي المدلول، فإذا نزل القرآن بلغة العرب فهذا يعبر بالمقام الأول عن ثقافة المتخاطبين بتلك اللغة.



* هشام مشالي، فك الله أسره، مقال: إن هذا قول البشر.. شبهة تجدد، موقع الجبهة السلفية، ١٧ يناير ٢٠١٧م.

وهذا القول في حقيقته يمثل الوجه الآخر للقول ببشرية القرآن! ولا يبعد كثيرًا عما حكاه القرآن على لسان الأسلاف: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]

وقد تأخذ عض القراء الدهشة إذا ما علموا أن فكرة بشرية القرآن وعلاقته بالثقافة التي نزل فيها ليست من ابتكار أو ابتداع أولئك المعاصرين، وإنما لاكتها قبلهم ألسنة المستشرقين، وتلقفتها تلامذتهم في الداخل، فنقلوا تلك الفكرة بعد إعادة صياغتها لتناسب البيئة ذات الطابع الإسلامي التي ستُلقى فيها.

وقد عرض الدكتور محمد البهي في كتابه **(الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي)**، والذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، لفكرة (بشرية القرآن) وبيّن أنها تُعرض في إحدى صورتين:



الصورة الأولى: أن القرآن (انطباع) في نفس النبي محمد، نشأ عن تأثره ببيئته التي عاش فيها، بمكانها وزمانها، ومظاهر حياتها المادية والروحية والاجتماعية.

والصورة الثانية: أنه (تعبير) عن الحياة التي عاش فيها النبي محمد، بما فيها المكان والزمان، وجوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية.

وإحدى الصورتين ملازمة للأخرى، فإذا كان القرآن انطباعًا منبثقًا من البيئة فهو يعبر عن ذات هذه البيئة، وبالعكس إذا كان تعبيرًا عن البيئة فقد انطبع أولًا بلا شك في نفس قائله قبل أن يعبر به وقبل أن يقوله! ويتوقف اختيار إحدى هاتين الصورتين على الأخرى لدى الكاتب الذي يرى (بشرية القرآن) على أحوال البيئة التي يعلن فيها الكاتب الرأي.

فإذا كانت بيئة أجنبية غير مسلمة: أمكن مواجهتها بالصورة الأولى وهي أن القرآن انطباع نفسي!

أما إذا كانت بيئة إسلامية: فيقتضي هذا الأمر أن يتبع فيها أسلوب اللف والمداورة، والصورة الثانية هي الأليق بهذا الأسلوب، وهي أن القرآن يعبر عن الحياة الجاهلية -أي حياة ما قبل الإسلام- أصدق تعبير!

فعلى سبيل المثال نجد المستشرق الانجليزي (جب)، أستاذ الدراسات العربية بجامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة الأمريكية في كتابه (المذهب المحمدي) قد آثر الصورة الأولى بأسلوب يبدو فيه تجنب للألفاظ النابية فيما يحكيه عن الرسول، وتجنب الصراحة المكشوفة فيما يريد أن يودعه في نفس القارئ؛ فالقرآن كما يريد (جب) أن يقول إذن هو من عمل (إنسان): إنسان معين هو محمد، عاش في حياة خاصة وهي حياة (المكيين)، وتبلورت حياته الخاصة هذه فيما قاله فيه!


هاملتون جب

أما الصورة الثانية للرأي القائل بـ (بشرية القرآن)، وهي أنه تعبير عن الحياة التي وُجد فيها الرسول، وهي حياة ما قبل الإسلام، فيحكيها كتاب الشعر الجاهلي.

ولعل إهداء الكتاب وقت نشره إلى صاحب السلطة الحكومية في ذلك الوقت يشعر بأن الفكرة التي تروى فيه ليس لها مكان في الجو الإسلامي الخالص، ولذا تحتاج لشيء من حماية السلطة السياسية!

ويقوم هذا الكتاب على فكرة واحدة هي: أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة العرب قبل ظهور الإسلام، فحياة العرب في الجاهلية كانت حياة حضارية، والعرب كما يقول المؤلف: «لم يكونوا على غير دين، ولم يكونوا جهالًا ولا غلاظًا، ولم يكونوا في عزلة سياسية واقتصادية بالقياس إلى الأمم السابقة الأخرى.. كذلك يمثلهم القرآن!».

ومعنى هذا القول -كما يريد المؤلف أن يفهم قارئه- أن القرآن انطباع للحياة القائمة في وقت صاحبه وهو النبي.. وهو يمثل لذلك بيئة خاصة في عقيدتها ولغتها وعاداتها، واتجاهها في الحياة، وهي البيئة العربية في الجزيرة العربية!

وطالما حدد الكتابان القرآن بالبيئة العربية، فما وراء ذلك من اختلاف لا يحدث فرقًا أصيلًا بينهما، وبيئة الكاتبين هي التي أدت إلى كل منهما بالاختلاف في التعبير على نحو ما رأينا.

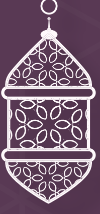


وبقليل من التأمل نجد أنه لا معنى للقول بانتماء النص لثقافة بعينها سوى أن المتكلم -قائل النص- يخضع للآفاق الخاصة بقومه، المحدودة بحدود الزمان والمكان، أما تأثر النص بثقافة المخاطب فهو في الحقيقة لعب بالألفاظ؛ لأن النص يتأثر بثقافة المتكلم -قائل هذا النص- ومن ضمن مكونات تلك الثقافة ما تكون لدى المتكلم من تصور معرفي خاص بالمخاطب، والذي على أساسه توجه إليه الخطاب، وقد يكون المتكلم مصيباً في تصوره أو مخطئًا، ولكن النص بأي حال لا يمكن أن يكون ناتجًا من واقع المخاطب.. وسواء اختلفت بيئة المتكلم عن بيئة المخاطب أو اتحدتا، فإن النص تابع لقائله ومعبر عنه، نعم قد يراعي النص أحوال المخاطبين -وقد لا يراعيها- ولكن المراعاة شيء والتعبير عنه شيء آخر، فلا أحد يعبر عن وجهة نظره تجاه هذا الغير دون أن يعبر عن نفسه أيضاً عندما يتكلم عن غيره.

ونحن نرى في محيطنا المعرفي خطابات عدة، منها ما يكون هدفه إرضاء مشاعر المخاطبين، ومنها ما يكون مثيرًا لغرائزهم، ومنها ما يكون مرشدًا لهم وتوجيهًا لسلوكهم، ومنها ما يكون للعامة ولا يضيف جديدًا للخاصة، ومنها ما يكون للخاصة ولا يفهم العامة منه شيئًا، وإن كتب بنفس حروف لغتهم، ولكن بمستوى معرفي لا يصلون إليه، وكل هذا محكوم بعلم المتكلم بالمخاطبين، وقدرته على استعمال قوانين اللغة لتحقيق الهدف من الخطاب، إلا أن أبرز ما ينبغي الإشارة إليه هو أن هذا التعدد في مستويات الكلام لا ينفي وحدة اللغة، أي أن اللغة وإن مثلت إطاراً مشتركًا يربط بين المتكلم والمخاطب، ولكن التعبير من خلالها أو صياغة كلام باستثمار مفرداتها مرهون بالمتكلم وحده؛ لأنه هو الذي يستعمل تلك اللغة كأداة لتوصيل مراده إلى المخاطب، وفصاحة المتكلم تمثل في الاستخدام الأمثل لمفردات اللغة وقوانينها، لإيصال ما يريده بدقة إلى عقول المخاطبين.

✧ والقرآن أنشأ ثقافة الإسلام -إن جاز التعبير- التي تقوم على أسس غير تلك الأسس التي قامت عليها ثقافة المخاطبين. والإسلام لا يتغير بتغير البيئات؛ لأنه خاطب ما لم يتغير في الإنسان، فالكل مخاطب بالقرآن. والذي يحصر القرآن في ثقافة العرب بعينها، فقد وقع بين أمرين لا ثالث لهما: إما أن يقول إن غير العرب غير مخاطبين بالقرآن، ولا يقوله مسلم، أو يقول أن القرآن ما راعى أحوال المخاطبين بعد عهد النبوة، وبهذا يكون قد طعن في القرآن، وفي علم الله تعالى الذي يعلم حال المخاطبين إلى يوم القيامة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وثم دليل آخر حاسم يبرز امتلاك المتكلم للنص، ويبطل القول بأن القرآن منتج ثقافي، وأن الواقع هو الذي شكَّله، هذا الدليل هو إعجاز القرآن لفصحاء العرب، وتحديهم أن يأتوا بسورة من مثله، بل والجزم بأنهم عاجزون عن ذلك، مع أن اللغة المستخدمة هي نفس لغتهم بحروفها وكلماتها وأساليبها. ومن ثم تبطل الشبهة.. ويستبين الحق لكل ذي عقل.





رمضان فرصة الجميع للتغيير


الشيخ محمد بن عبدالله الهبدان*

فك الله أسره

رمضان فرصة للتغيير.. ليصبح العبد من المتقين الأخيار، ومن الصالحين الأبرار. يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

فقوله ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ تعليل لفرضية الصيام؛ ببيان فائدته الكبرى، وحكمته العظمى. وهي تقوى الله والتي سأل أميرُ المؤمنين عمرُ رضي الله عنه الصحابيَ الجليلَ أبيَ بن كعب رضي الله عنه عن معناها ومفهومها، فقال: يا أمير المؤمنين، أما سلكتَ طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما صنعت؟ قال: شمرتُ واجتهدت (أي: اجتهدتُ في توقي الشوك والابتعاد عنه) قال أُبيّ: فذلك التقوى.

---

* محمد بن عبد الله الهبدان، كتيب: رمضان فرصة للتغيير، ط: المكتب التعاوني للدعوة - الربوة، ١٤٢١هـ، ص٦-١٤.

إذن فالتقوى: حساسيةٌ في الضمير، وشفافيةٌ في الشعور، وخشيةٌ مستمرة، وحذرٌ دائم، وتوقٍ لأشواكِ الطريق؛ طريقِ الحياة الذي تتجاذبُه أشواكُ الرغائبِ والشهوات، وأشواكُ المخاوفِ والهواجس، وأشواكُ الفتنِ والموبقات، وأشواكُ الرجاءِ الكاذب فيمن لا يملكُ إجابةَ الرجاء، وأشواكُ الخوف الكاذب ممن لا يملكُ نفعاً ولا ضراً، وعشراتٌ غيرُها من الأشواك.

خَلِّ الـذُنوبَ صَغيرَها •• وَكَبيـرَها فَـهوَ التُقى

كُن فَوقَ ماشٍ فَوقَ أَر •• ضِ الشَوكِ يَحذَرُ ما يَرى

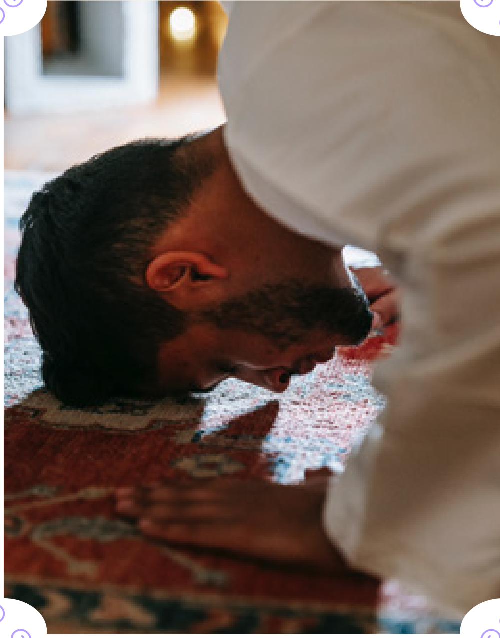
لا تَحقِـرَنَّ صَغيـرَةً •• إِنَّ الجِبالَ مِـنَ الحَصى

هذا هو مفهوم التقوى.. فإذا لم تتضح لك بعد.. فاسمع إلى علي رضي الله عنه وهو يعبر عن التقوى بقوله: «هي الخوفُ من الجليل، والعملُ بالتنزيلُ، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليوم الرحيل».

هذه حقيقة التقوى، وهذا مفهومها.

فأين نحن من هذه المعاني المشرقةِ المضيئة؟ لقد كان المجتمعُ الإسلاميُ الأول مضربَ المثل في نزاهتهِ، وعظمةِ أخلاقه، وتسابقِ أفرادهِ إلى مرضاةِ ربهِم جل جلاله، وتقدست أسماؤه، وكانت التقوى سمةً بارزة في محيا ذلكِ الجيلِ العظيمِ الذي سادَ الدنيا بشجاعتهِ وجهاده، وسارت بأخلاقهِ وفضائلهِ الركبان مشرقاً ومغرباً، فقد كان إمام المتقين ﷺ قمةً في تقواه وورعهِ، وشدةِ خوفهِ من ربهِ العظيمِ الجليل، فكان يقومُ الليل يصلي ويتهجد حتى تفطرتْ قدماه الشريفتان، وكان يُسمعُ لصدره أزيزٌ كأزيزِ المرجل من النشيجِ والبكاء، وهو الذي غُفر له ذنبه ما تقدم وما تأخر.

وأما صاحبهُ المبجل، وخليفته العظيم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فكان يقول: «يا ليتني كنت شجرةً تعضدُ ثم تؤكل»! وكان له خادمٌ يأتيه بالطعام، وكان من عادةِ الصديق أن يسأله في كل مرة عن مصدرِ



الطعام؛ تحرزاً من الحرام! فجاءه خادمه مرةً بطعامه، فنسي أن يسألَه كعادته فلما أكلَ منه لقمة قال له خادمُه: لمَ لم تسألني -يا خليفةَ رسولِ الله- كسؤالكِ في كلِ مرة؟ قال أبو بكر: فمن أين الطعامُ يا غلام؟ قال: دفعه إليّ أناسٌ كنتُ أحسنتُ إليهم في الجاهلية بكهانةٍ صنعتُها لهم. وهنا ارتعدتْ فرائصُ الصديق، وأدخلَ يده في فمه، وقاءَ كلَّ ما في بطنهِ وقال: واللهِ لو لم تخرجْ تلك اللقمة إلا مع نفْسي لأخرجتها.

كل ذلك من شدةِ خوفه وتقواه وتورعهِ عن الحرام.

وأما خوفُ عمر رضي الله عنه وشدةِ تقواه فعجبٌ من العجب، سمع قارئاً يقرأُ قولَه تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣] فمرِض ثلاثاً يعودهُ الناس. بل إنه قرأ مرةً قولَه تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] فمرض شهراً يعودُه الناسُ مريضاً، وأما عليٌّ رضي الله عنه فكان يقبض لحيته في ظلمة الليل ويقول: يا دنيا غُري غيري أليَّ تزينتِ أم إليَّ تشوقتِ؟ طلقتك ثلاثاً لا رجعةَ فيهن، زادُك قليل وعمرُك قصير. وخرج ابن مسعود مرة في جماعة فقال لهم: ألكم حاجة؟! قالوا: لا؛ ولكن حبُ المسيرِ معك! قال: اذهبوا فإنه ذلٌّ للتابع، وفتنةٌ للمتبوع.

دعنا من الخلفاء الراشدين المكرمين، ولنتجاوز الزمن سنين عدداً، فهاهو هارون الرشيد الخليفةُ العباسيُ العظيم الذي أذلَّ القياصرة وكسرَ الأكاسرة والذي بلغت مملكته أقاصي البلاد شرقاً وغرباً يخرج يوماً في موكبِه وأبهته فيقول له يهودي: يا أمير المؤمنين اتق الله! فينزل هارونُ من مركبه ويسجدُ على الأرض للهِ ربِ العالمين في تواضعٍ وخشوع، ثم يأمرُ باليهودي ويقضي له حاجته، فلما قيل له في ذلك! قال: لما سمعت مقولتَه تذكرتُ قولَه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] فخشيت أن أكون ذلك الرجل.

وكم من الناس اليوم من إذا قيل له اتق الله احمرتْ عيناه، وانتفختْ أوداجه، غضباً وغروراً بشأنه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بالمرء إثماً أن يقال له اتق الله، فيقول عليك نفسَك مثلكُ ينصحنيُ!

إذن فيوم عُمرت قلوبُ السلفِ بالتقوى، جمعهم اللهُ بعد فرقة، وأعزهم بعد ذلة، وفُتحت لهم البلاد ومُصرت لهم الأمصار، كل ذلك تحقيقاً لموعودِ الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] فليكن هذا الشهر بداية للباس التقوى، ولباس التقوى خير لباس لو كانوا يعلمون، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى •• تجرد عرياناً وإن كان كاسيا

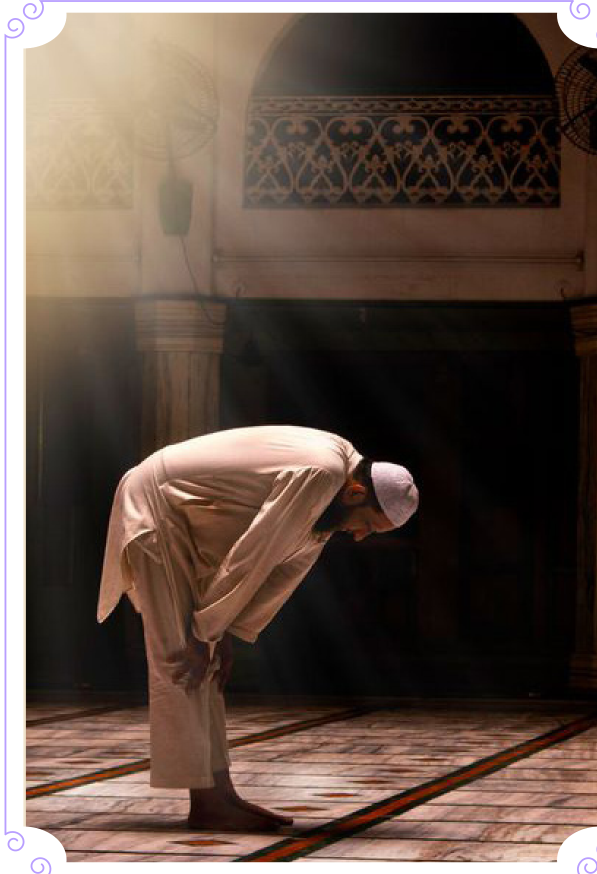
وخير خصال المرء طاعة ربه •• ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ورمضان فرصة للتغيير.. لمن كان مفرطاً في صلاته، فلا يصليها مطلقاً، أو يؤخرها عن وقتها، أو يتخلف عن أدائها جماعة في المسجد. ليعلم المتهاون في صلاته أنه يرتكب خطأً قاتلاً، وتصرفاً مهلكاً، يتوقف عليه مصيره كله، وإن لم يتدارك نفسه، فهو آيل لا محالة إلى نهاية بائسة، وليل مظلم، وعذاب مخيف، جاء في الحديث عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الرؤيا قال: «أما الذي يثلغ رأسه بالحجر، فإنه يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة»[1].

إن التهاون بأمر الصلاة والاستخفاف بها خطأ فادح بكل المقاييس، وجناية مخزية بكل المعايير. لا ينفع معها ندم ولا اعتذار عند الوقوف بين يدي الواحد القهار، إني أدعوك بكل شفقة وإخلاص، أدعوك والألم يعتصر قلبي خوفاً عليك ورأفة بك، أدعوك في مثل هذا الشهر المبارك إلى إعادة النظر في واقعك، ومُجريات حياتك، أدعوك إلى مراجعة نفسك، وتأمل أوضاعك قبل فوات الأوان، إني أنصحك ألا تخدعك المظاهر، ولا يغرك ما أنت فيه، من الصحة والعافية والشباب والقوة، فما هي إلا سراب

بقيعة، يحسبه الظمآن ماءً، أو كبرق خُلب، سرعان ما يتلاشى، وينطفئ ويزول، فالصحة سيعقبها السقم، والشباب يلاحقه الهرم، والقوة آيلة إلى الضعف، ولكن أكثر الناس لا يتفكرون.

أخي الكريم: إن أصحابك الذين غروك بالتهاون بشأن الصلاة، وزينوا لك إضاعتها، إنهم لن يذرفوا عليك سوى دموع التماسيح، يعودون بعدها، إلى مزاميرهم وطربهم وأُنسهم، غير مكترثين بك، ولا بألف من أمثالك، إنهم أنانيو الطباع، ميتو الإحساس، لا همّ لهم إلا أنفسهم وملذاتهم، ولو فقدوا الآباء والأمهات، فضلاً عن الأصحاب والخِلان، فاستيقظ يا هذا من غفلتك، وتنبه من نومتك، فالحياة قصيرة وإن طالت، والفرحة ذاهبة وإن دامت، واجعل من رمضان فرصة للمحافظة على هذه الصلاة العظيمة، فقد وفقك الله للصلاة مع الجماعة، وإلف المساجد، وعمارتها بالذكر والتسبيح، فاستعن بالله، واعزم من الآن أن يكون هذا الشهر المبارك بداية للمحافظة على الصلاة، والتبكير إليها.



يقول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٤]. ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤-٣٥].

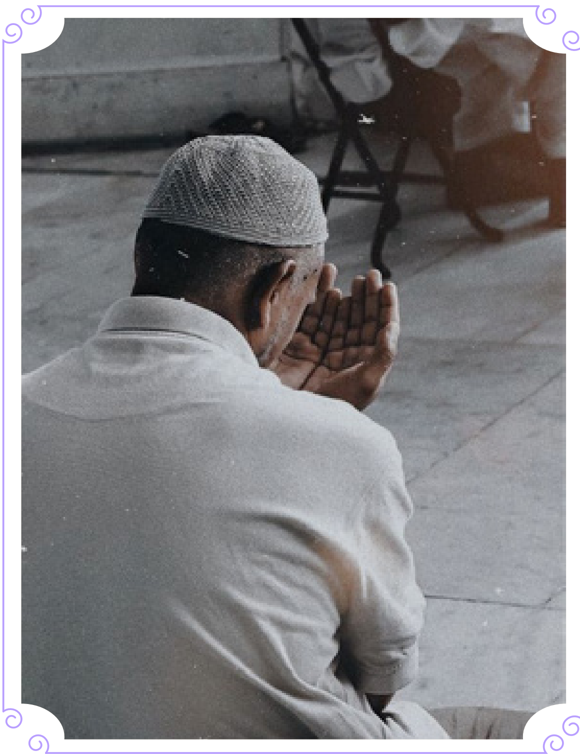
ورمضان فرصة للتغيير.. لمن ابتلاه الله تعالى بتعاطي الحرام، من خمر ومخدرات، أو دخان ومسكرات، أن لا يفعل بعد إفطاره ما يخلّ بهذه العزيمة القوية، أو يوهنها، أو يقلل من شأنها، تلك العزيمة التي جعلته يمسك طوال ساعات النهار،

١. رواه البخاري، ١١٤٣.

فيهدم في ليله ما بناه في نهاره من قوة الإرادة التي صبر بسببها عن محبوباته ومألوفاته. فما أحزمه لو استغل شهر الصيام كمدرسة يتدرب بها على هجر ما يكرهه هو، أو يكرهه الشارع، من مألوفاته التي اعتاد أكلها، أو شربها، أو مقاربتها. تالله ما أحزمه لو واصل هذه الحمية عن ذلك بالليل، كما عملها في النهار!

أخي الصائم: إني أشجع فيك إيمانك العظيم، ويقينك بالله تعالى. فمن الذي جعلك تمتنع عن تعاطي هذه السموم في وقت الصيام إلا خوفك من الجبار، ومراقبتك للواحد القهار؟ وإلا فَمَنْ مِنَ الناس يعلم أنك صائم أو لا؟! ولكن شعورك بنظر الله إليك، ومراقبته لك، صرفك عن تعاطي الحرام في وقت الصيام.

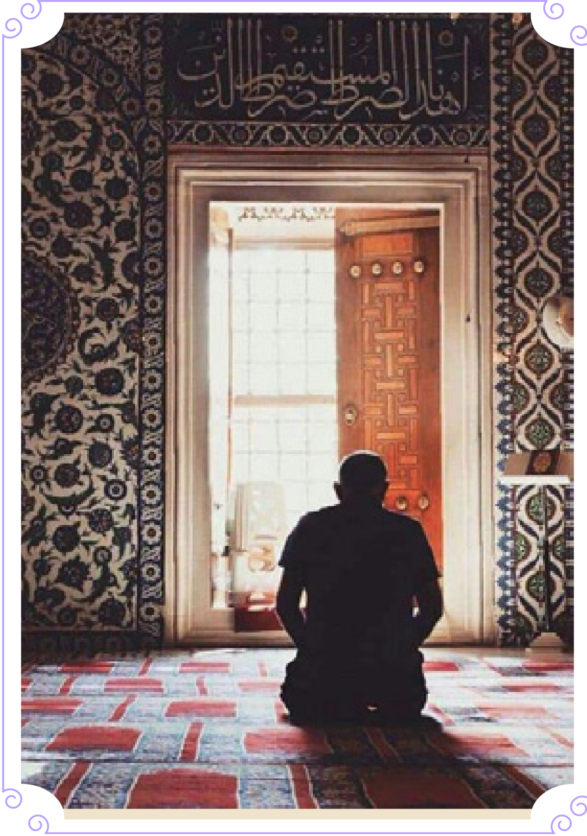
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقُل •• خلوت، ولكن قل عليّ رقيب



وإني أتساءل بصدق.. الإرادة التي استطاعت أن تصوم لأكثر من اثنتي عشرة ساعة، أتعجز عن مواصلة مسيرتها الإصلاحية؟! والعزيمة التي صمدت عن تعاطي هذا البلاء، لهذه الفترة الطويلة أثناء النهار.. أتنهار في آخر لحظات الإسفار، وإرخاء الليل الستار؟!

أين الهمة التي لا تقف أمامها الجبال الشامخات؟ وأين العزيمة التي لا تصدها العاتيات! استعن بالله تعالى على ترك هذا البلاء، فالنصر صبر ساعة، والفرج قريب، وإن الله مع الصابرين.

ورمضان فرصة للتغيير.. لمن كان مقصرًا في نوافل العبادات؛ فلم يجعل له منها نصيباً، ولم يأخذ لنفسه قسماً مفروضاً، فيغير من حاله، ويبدل من شأنه، ففي رمضان تتهيأ النفوس، وتقبل القلوب، وتخشع الأفئدة، فينتهز هذه الفرصة، فيحافظ على شيء منها، فهي مكملة لفرائضه، متممة لها، قال ﷺ: «إن أول ما



يحاسَب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة، فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع، فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك»[٢].

وأقلّ الوتر ركعة، وأقل الضحى ركعتان، وعدد السنن الرواتب ثنتا عشرة ركعة، ركعتان قبل الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، يقول النبي ﷺ: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة، إلا بَنى الله له بيتاً في الجنة»[٣].

ويقول ﷺ: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[٤].

ولماذا لا تجعل من رمضان فرصة، لأن يكون لك أيام تصومها لله رب العالمين فمن صام يوماً في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفاً، فهذه ستة من شوال، ويوم عاشوراء، وعرفة، وصوم الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر. فلا تحرم نفسك الدخول من باب الريان، عندما ينعم عليهم المنان بدخول الجنان.. فبادر شبابك قبل هرمك.. وصحتك قبل سقمك.. وحياتك قبل موتك.. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به.

ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٥].

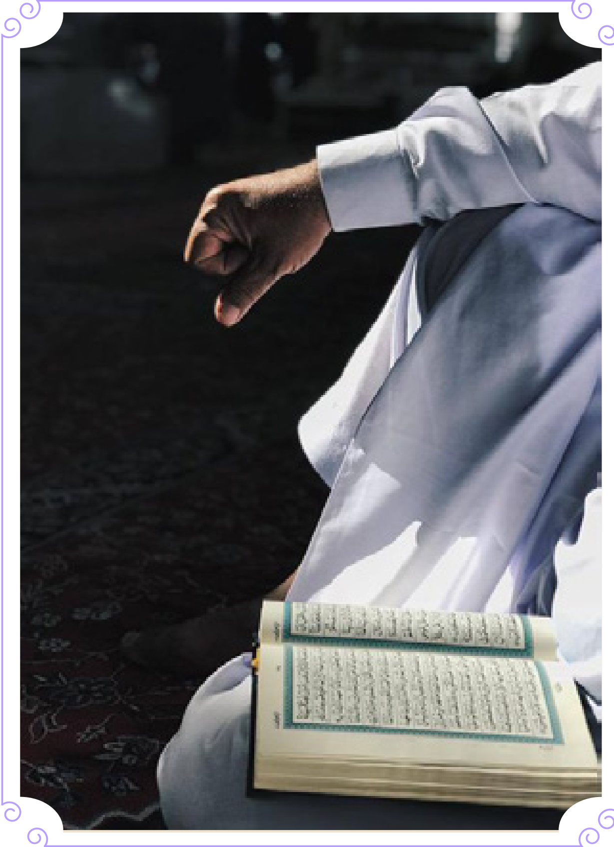
---

٢. رواه ابن ماجه، ١٤٢٥.

٣. رواه مسلم.

ورمضان فرصة للتغيير.. لمن هجر القرآن قراءة وتدبراً، وحفظاً وعملاً حتى أصبح القرآن نسياً منسياً، أن يكون هذا الشهر بداية للتغيير، فترتب لنفسك جزءاً من القرآن، لا تنفك عنه بأي حال من الأحوال، ولو كان هذا الجزء يسيراً، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وقليل دائم خير من كثير منقطع، ولا تنس الفضل الجزيل لمن قرأ كلام الله الجليل، يقول النبي ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[٦].

والقرآن يشفع لك يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أيْ ربي إني منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان»[٧].



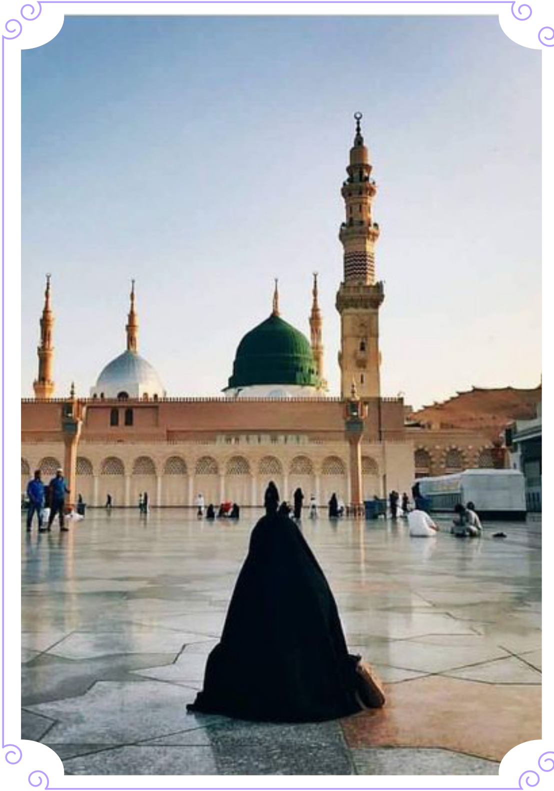
ولقد أدرك سلفنا الصالح عظمة هذا القرآن؛ فعاشوا معه ليلاً ونهاراً.. قال وهيب بن الورد: قيل لرجل ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي. وقال أحمد بن الحواري: «إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنئهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا».

---

٤. رواه مسلم.
٥. رواه البخاري.
٦. رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

ومن المفارقة العجيبة، أن يدرك أعداؤنا من عظمة هذا القرآن ما لا ندركه، وأن يعملوا جاهدين على طمس معالمه ومحو آثاره في العباد والبلاد، لخوفهم الشديد من عودة الأمة إلى هذا القرآن الذي يؤثر في النفوس، ويحييها، ويبعث فيها العزة والكرامة. يقول غلادستون: ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان.

وكان نشيد جيوش الاستعمار: أنا ذاهب لسحق الأمة الملعونة، لأحارب الديانة الإسلامية، ولأمحو القرآن بكل قوتي.



فما موقفك أنت يا رعاك الله؟ أدع الإجابة لك، وأسأل الله أن يوفقك للخير وفعله.

ورمضان فرصة للتغيير... للمرأة المسلمة التي أصبح حجابها مهلهلاً، وعباءتها مطرزة، وثيابها فاتنة، وعطرها يفوح وفي كل يوم إلى الأسواق تروح.. قال ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية»[٨].

ويزداد الأمر سوءاً، إذا كان الخروج بلا محرم.. فتركب مع السائق وحدها وما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، كما قال النبي ﷺ. فليكن -يا أخية- رمضان فرصة لأن تتربى نفسك على البقاء، في المنزل وعدم الخروج منه إلا لحاجة ماسة، وبضوابط الخروج الشرعية، وليكن رمضان فرصة لضبط النفس في قضايا اللباس، والموضة والاعتدال فيهما، دون إفراط ولا تفريط، وليكن رمضان فرصة للحفاظ على الحجاب الشرعي، طاعة لله، وإغاظة للشيطان وحزبه.

---

٧. رواه أحمد. قال الألباني رحمه الله: أي يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة.
٨. رواه أحمد.

لن تسرقوا منا رمضان



حسام أبو البخاري

فك الله أسره*

هناك موجة استباقية لنزع رمضان من القلوب والعقول والمساجد، ومن كل شيء.

هذه المحاولة مهندَسة ومخطط لها، ومتنوعة ما بين برامج ومسلسلات وفوازير وكرتون وأفلام وغيرها، ونوعية المسلسلات التي بدأ الآن الترويج لها عبر القنوات المختلفة، أقل شيء توصف به هذه الأعمال هي القذارة المنحطة، التي لا تراعي ديناً ولا تراعي عادات، ولا تراعي تقاليد، ولا تراعي حرمة، ولا تراعي حتى الذوق.

---

* من محاضرة تلفزيونية لحسام أبو البخاري، بعنوان: لن تسرقوا منا رمضان، موقع يوتيوب، تحرير: أنصار النبي ﷺ.

وشهر رمضان مهم للغاية لأنه من عوامل تجديد الأمة، فهذه الأمة فيها عوامل تجديد ذاتية، هناك صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة كل أسبوع، وحج يجتمع فيه المسلمون من كل أنحاء العالم، وهناك شهر الصيام كل سنة، وهو رمضان الذي يصومه المسلمون من كل أنحاء العالم في وقت واحد، وفي البلد الواحد يصومون ويفطرون في ذات الوقت.



والقيام والصلاة والأذكار والمساجد والصدقات وزكاة الفطر... إلخ، كل ذلك من عوامل تجديد الأمة الذاتية، وبالتالي لابد من أن يكون لنا خطة مواجهة من الآن، لأن التلفاز وغيره يخترق ويدخل البيت، ونحن لا نريده أن يدخل البيت بل نريد أن تكون عندنا قدرة على المواجهة.

كانت هناك أطروحة نظّرت لها وسميتها نظرية (الأنتي بايوتك)، أو نظرية المضاد الحيوي، أنت أحياناً لا تقدر على منع البكتريا أو الفيروس من الدخول إلى جسم الإنسان، لكنها ليست نهاية المطاف، وليست نهاية المعركة مع الفيروس أو البكتريا، لابد من تطوير مواجهتك لهذا العدو، حتى ولو كان خفياً وحتى لو كان صغيراً لكن في الحقيقة تأثيره كبير، وبالتالي لابد من تطوير محاولات مواجهتك، فتتناول (أنتي بايوتك).

فأيضاً لابد أن نتناول (الأنتي بيوتك) في معادلة رمضان، لذلك أنا أدعو كل من يسمعني -وأريد أن تتحول هذه الكلمة إلى مبادرات- إلى الخروج إلى الشوارع، ونحمل لافتاتٍ ونقول:

«لن تسرقوا رمضان منا»!

لن تسرقوه منا، وسنوزّع المنشورات والمطويات التي تحذر الناس من ذلك، وسننشئ صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، وسننزل كل الميادين ونتحدث في القنوات:

«لن تسرقوا رمضان منا»!

هم يريدون أن يسرقوا منا رمضان، بل ليست سرقة فقط! فهناك كمية كبيرة من المسلسلات تتضمن أفكاراً مواجِهة لـ(الإسلاميين) والفكرة الإسلامية، وتشويه التيار الإسلامي، ولكن هذه بجانب سرقة رمضان لا شيء، ولكنها أيضاً مهمة عندما توضع في السياق الذي نعيشه الآن.

فلن نتركهم يسرقون منا رمضان، وأنا أدعو الناس أن تحذّر من ذلك في كل مكان في مصر، لافتات مكتوب عليها:

لا تشاهدوا المسلسلات!

لا تجعلوهم يسرقون منكم رمضان!



نحن في معركة حقيقية، نعم معركة ناعمة ولكنها معركة حقيقية تحدى الدين، وتحدى شعائر الإسلام، وتحدى المتمثلين لهذا الدين، وتحدى كل شيء يمثله هذا الدين، ولذلك مبادرة لن تسرقوا منا رمضان، لابد أن تبدأ من الآن، ولابد أن تتنوع، والفكرة أمامكم تصاغ بأكثر من صيغة، سلاسل بشرية، وقفات، ورق، ملصقات، صفحات على مواقع التواصل، لكن لابد أن تكون مبادرةً على الأرض أكثر منها على العالم الافتراضي ومواقع التواصل الاجتماعي، لابد من توعية الناس أن هناك مَن يريد أن يسرق منك رمضان، فلا تدعه يسرقه منك!

سياسة النفس في رمضان

م. أيمن عبد الرحيم*



فكّ الله أسره

العبادة صعبة على النفس، بشهادة صاحب الخلق كما في حديث جبريل أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حَفّها بالمكاره».

---

*مقال مقتطف من محاضرة: سياسة النفس في رمضان، لأيمن عبد الرحيم، فك الله أسره، منشورة على موقع (يوتيوب) بتاريخ ٠٣-٠٥-٢٠١٩م، إعداد وتحرير: مجلة أنصار النبي ﷺ.

التدرج لا الهجوم!

إن العبادات ثقيلة جداً وتتطلب استعداداً، ونحن لا نستعد الاستعداد الطبيعي عادةً، فنقرأ القرآن ونردد الأذكار ونقلل المعاصي وغير ذلك.

ولو جردونا من الهيكل، فسنكون من الداخل مثل الأطفال الصغار، الفرق بينك وبين الطفل الصغير أنك قادر على تلبية رغباتك، أما الطفل الصغير فعندما يجوع يبكي، وكذلك إذا أراد النوم أو الطعام أو الشراب أو أي أمر آخر فإنه يبكي، ونحن تماماً مثل هذا الطفل، لكن بدلاً من البكاء تلبي نفسك رغباتك، فتشتري ما تريد وتفعل ما تريد دون أن تبكي لأحد.



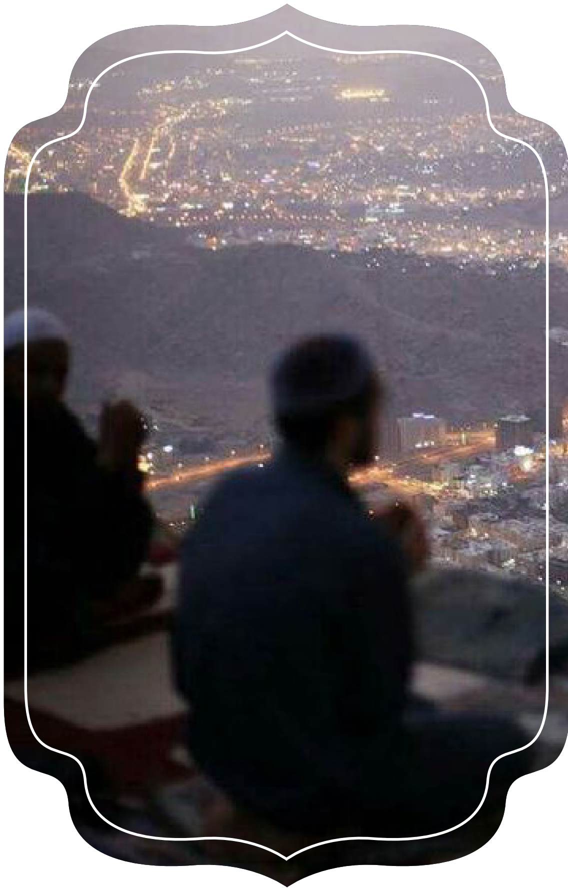
وكذلك عندما نلزم أنفسنا بكثير من العبادات والطاعات دفعة واحدة، فهذا أمر ينبغي التنبه له من الآن، وهو التدرج وعدم «الهجوم» على العبادات.

فإذا خُير الإنسان بين أن يقوم بطاعة، أو يكف عن معصية، مثلاً أقوم الليل أم أكف عن ذنب؟ فحينها يكون الكف عن الذنوب أولَى، يقول النبي ﷺ:

«فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

فجعل ﷺ الاستطاعة في الطاعات، أما المعاصي: وإذا نهيتكم عن شيء فدَعوه أو اجتنبوه.

لذلك ورد عن كثير من السلف: كُف عن محارم الله ولا تقم الليل ولا تصم النهار.



لا يقصدون الفرائض بالطبع، بل: لا تقُم الليل ولا تصم النفل ولا تعص الله عز وجل المعصية الظاهرة، التي تعرف أنها معصية. لأن المسلم بذلك يثقل القلب -وهو الوعاء الذي يتلقى المسلم فيه عن الله عز وجل- بالمعاصي ثم يتبع ذلك ببعض الطاعات!

أغلِق روافد المعاصي

ومما يجر إلى المعاصي الإفراط في الطعام، والإفراط في الكلام، وكذلك الإفراط في رؤية المعاصي نفسها، وهذا جزء مما عمت به البلوى، أننا كلما اقتربنا من الساعة تصبح المعاصي في صورة لا يمكن الخروج عنها.

ومثال ذلك: أنت كشاب أو فتاة لو أن معك هاتفاً من الهواتف الذكية متصلاً بالإنترنت، هل تستطيع آخر اليوم لو أُعطيتَ قائمة تحقق، بمعنى أنك مع حدوث أي أمر تضع علامة (صح) كم صورة امرأة عارية رأيتها في آخر اليوم، سيقول لك البعض: أنا لا أشاهد هذه الأشياء. والحقيقة أنك رأيتها دون أن تقصد، كم فحش رأيته؟ كم مرة رأيت شخصاً يشتم آخر؟ آخر اليوم ما الذي تجده في قلبك؟

لذلك أغلِقوا كل مصادر المعاصي، أولى من أن تجهدوا أنفسكم في طاعات زائدة عن الحد.

أي أنك لو منعتَ روافد المعصية، فهذا أبقى أثراً -عن تجربة- من أن تستكثر من الطاعات، فهل يقول أحدهم أفعل هذه أم هذه؟ لا، أغلِق روافد المعصية، وزِد من الطاعات، لكن بالشرط الأول، وهو عدم الهجوم على الطاعات، فتمشي بشكل وئيداً جداً في الطاعات، مع غلق تام للمعاصي أفضل.

لا تشاهد المسلسلات، ولا تجلس في مكان فيه تليفزيون، ونصيحة لله عز وجل: لو استطعت أن توقف بث التليفزيون خلال شهر رمضان فافعل، ولو استطعت ألا تدخل على مواقع التواصل الاجتماعي طوال الشهر فافعل، ولو استطعت أن تقلل من معرفة الناس فافعل!

يقال إن شخصاً رأى سفيان الثوري -إمام في الحديث والورع والزهد وإمام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإمام في الفقه- في منامه بعد وفاته، فقال له ماذا فعل الله بك؟ قال: رحمني. رآه يتقلب في الجنة، فقال: عظني أو انصحني. قال: أقلل من معرفة الناس.

لماذا؟ لأن هذه قاعدة أغلبية، كلما اقتربنا من القيامة نفسد، في العموم عدد الناس العارفة بالله تقل، وعندما تجتمع مع الناس بدلاً من أن يكون شيطان واحد سيكون اثنان وأكثر، وبدلاً من أن تكون ثلاث معاصٍ ستكون خمساً، وهناك معاصٍ بحاجة لأكثر من شخص مثل الغيبة والنميمة، ولذلك التقليل من معرفة الناس في هذا الزمن يقلل من المعاصي.

سيقول لك البعض: نحن نجتمع على الخير! قل له سيتحول الأمر إلى معصية، مثلاً نجتمع على الإفطار في رمضان، وبمجرد أن ندعو بالدعاء، ونفطر على التمر، ثم بعد ذلك الطعام والأكل مباح، لكنه رافد من روافد المعاصي، لذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «أول بدعة أحدثها الناس بعد الرسول ﷺ الشبع».

أننا نأكل ونشبع، والذي يترتب على هذا: موت الفكرة، أي فكرة جيدة كنت تفكر فيها. لذلك علينا التقليل من روافد المعاصي، والتي من بينها الأكل الكثير والشرب الكثير.

في أحد الشهور تركت أمي -لأنها مصنع أكل متحرك في رمضان- وجلست في شقة وحدي قبل الزواج، وبالتالي كنت لا أُكثر من الطعام، وكان لديّ كثير من التركيز، ثم اكتشفت أن الخلل يحدث بسبب الشرب الكثير، الماء والتمر والسوبيا!

فتقليل روافد المعاصي من المعينات على الطاعة في هذا الشهر الفضيل.

وكلما تعودنا على شيء لا نتصور عدم وجوده، ولأنني إنسان بصريّ، فأسهل معصية بالنسبة إليّ من البصر، لأن أي شيء يتحرك أمامي ألتفتُ إليه، مر عليّ عشر سنوات عيني لم تشاهد التليفزيون طوال شهر رمضان، لم يكن لدي تليفون محمول، وكنت لا أستمع إلا لإذاعة القرآن الكريم، فكنت أشعر آخر الشهر أن عيني قد نُقهت ونُظفت، هذا شعور حقيقي، وليس روحانياً، أشعر أن عيني كان بها وَسَخ وزال!

سيقول البعض أنت لم يكن لديك تلفاز! بل وحتى النظر العابر، كان بعض أصحابنا أثناء الجامعة إذا حدثَنا -ونحن رجال مثله- يغض بصره! فإذا سألناه عن السبب يقول: إن الأصل أنك لو رفعت بصرك في المجتمع الذي نعيش فيه هل سترى ما يسرك؟ فنقول له: نعم، يقول: ولكنه حرام. فإذا وقفنا في عصارة تجد بصره إلى الأرض، فنسأله عن السبب؟ يقول إن رفعت بصرك ستجد ما لا يحل.

أنت ليس عندك تلفاز، ولكنك تجده في العصارة، فأنت تغلق الروافد في مواضع، ولكنها تُفتح لك في مجالات أخرى، كالشوارع والإنترنت، وإذا سألت بعضهم: هل تتعرض إلى مواد إباحية؟ يقول لك: أبداً! وفي آخر اليوم لو أجروا تحليلاً لك، ستجد أنك تعرضت لما يسمونه العري بسبب الإنترنت، بسبب بالفحش والاستهزاء بآيات الله عز وجل عموماً، بسبب الشبكة.

فهذه نصيحة: عليك الانقطاع عن التلفاز ومواقع التواصل الاجتماعي وما شابه ذلك من أشياء، وقد يكون هذا الأمر بالنسبة لي ولأمثالي سهلاً لأنني لم أُولد وهي موجودة، ولم تأتِ مراهقتي في عصرها، فحتى وقت المراهقة لم يكن عندي كمبيوتر أو إنترنت أو هاتف جوال، لكن الموضوع اليوم أصبح صعباً وشاقاً.

ميزة رمضان الكبيرة

لقد مرّت علينا رمضانات كثيرة جداً، وشهر رمضان عظيم للغاية، فما ميزة شهر رمضان؟

أن الله أمهلك من الوقت أن تؤدي فريضةً تامة، ليس من أجل قيام الليل وفقط، بل أنت أدركت رمضان الفريضة التامة، هذا هو أقوى شيء في شهر رمضان.

وفي الحديث: «أن رجلين قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعاً، وكان أحدهما أشد اجتهاداً من صاحبه، فغزا المجتهد منهما فاستُشهد، ثم مكث الآخر بعده سَنة ثم تُوفي، قال طلحة: فرأيت فيما يرى النائم كأني عند باب الجنة، إذا أنا بهما وقد خرج خارجٌ من الجنة، فأذِن للذي تُوفي الآخر منهما، ثم خرج فأذِن للذي استُشهد، ثم رجعا إليّ فقالا لي: ارجع فإنه لم يأنِ لك بعد، فأصبح طلحة يحدّث به الناس فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:



«من أي ذلك تعجبون؟» قالوا: يا رسول الله، هذا كان أشد اجتهاداً ثم استشهد في سبيل الله، ودخل هذا الجنة قبله!

فقال ﷺ: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟» قالوا: بلى.

قال: «وأدرك رمضان فصامه؟» قالوا: بلى.

قال: «وصلى كذا وكذا سجدة في السنة؟» قالوا: بلى.

قال رسول الله ﷺ: «فلما بينهما أبعد ما بين السماء والأرض».

فصيام رمضان الذي هو من الفرائض أدخل صاحبه الجنة قبل الشهيد، لذلك أقول لك:

ركّز على الفريضة.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾



@ AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي